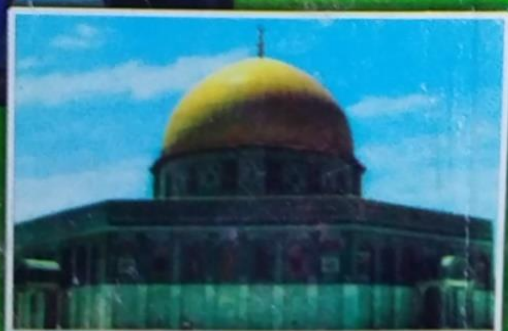
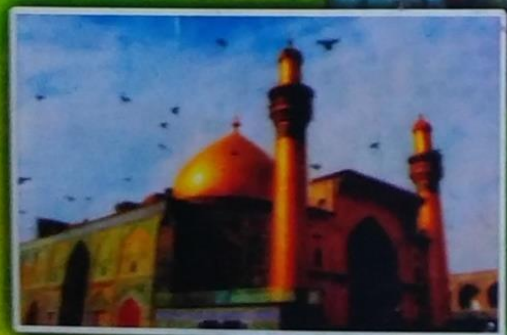
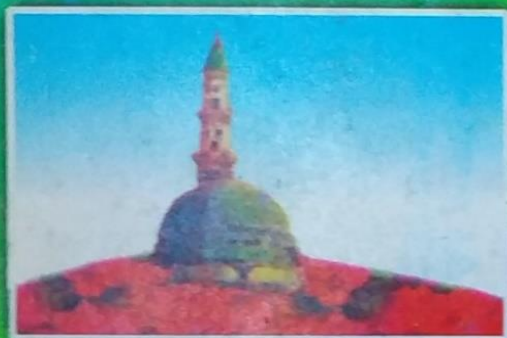


التصوف

من سلسلة كتب

الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

الطريقة العلية القادرية الكسنزانية



السيد الشيخ محمد الكسنزاني الحسيني
رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم

من سلسلة كتب

الطريقة العلية القادمية الكسنزانية

كتاب

الطريقة العلية القادمية الكسنزانية

السيد الشيخ محمد الكسنزان الحسيني

مرييس الطريقة العلية القادمية الكسنزانية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً

الحمد لله والصلاة والسلام على نور الوجود خير البرية ، قمر الهداية وكوكب
العناية الربانية ومصباح الرحمة المهداة وشمس نور الإسلام من تولاه مولاه بالعناية
السرمدية ، وأعلى مقامه فوق كل مقام وفضله على سائر الأنبياء والمرسلين ذوي
المراتب العلية وعلى آله الطيبين الذين طهرهم الله سبحانه وتعالى بمحكم التنزيل قال
تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ^(١) .
فكانوا خليفة الله في الأرض فهم مع كتابه المبين لا يفترقان إلى يوم الدين . وصحبه
الذين أطاعوه ولم يحيدوا عن أمره ولم يعصوه واتبعوا النور الذي انزل معه فكانوا خير
أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

أما بعد :

فيسعدنا ويشرفنا أن نقدم للناس كافة هذا الكتاب الموسوم بـ (الطريقة العلية
القادرية الكسنزانية) ليكون عبقاً شديداً تتعطر به الأرواح وتنجلي به القلوب من
كل غل وعلة ومغنياً لبيباً لكل من أراد السلوك والقراءة والبحث في هذا المجال -
مجال الطريقة - ذلك لما تضمنه من حقائق راسخة وإرشادات تعليمية وتوجيهات
مسلكية بوسعها أن تأخذ بيدي من سلك الطريق على يدي أهله بصدق وإخلاص
وتفانٍ فتوصله إلى أعلى المراتب والمقامات من بعد تقيده بالسير وفقاً لهذا المنهج

١ - الاحزاب : ٣٣ .

المستقيم الذي مشايخ الطريقة قدست أسرارهم ضوابط ما يجب على السالك الآخذ به والتحقق منه ، وأن هذا الكتاب لم يكن منهجياً فحسب بل دليلاً واضحاً يسيراً لمن أراد السلوك والترقي روحياً عبر مقامات الوصول المتمثلة بـ (التوبة ، التوكل ، الخوف ، الرجاء ، الصدق ، الإخلاص ، الصبر ، الورع ، الزهد ، الرضا ، الشكر) .

إن الطريقة هي الرحلة الشاقة الشيقة إلى الحضرة الإلهية عبر قناطر الفناء الثلاثة (الفناء في الشيخ ، الفناء في الرسول ﷺ ، الفناء في الله تعالى) وبذلك فهي تجمع بين الألم واللذة ، ألم مباينة العادة والطبائع ولذة التعود على خلق القرآن الكريم والتطبع بطبع رسول الله ﷺ الذي شرع الطريقة إلى ربه ﷻ وشقه بعشقه لمولاه وشوقه له فكانت الطريقة هي سفرة الحب ، حب العبد الطائع لمولاه ﷻ كونها جانباً من أخصب جوانب الحياة الروحية في الإسلام لأنها تعميق لمعاني العقيدة وتأويل للرموز والشعائر وأروع صفحة تتجلى فيها الروحانية الإسلامية ، ففيها إشباع للعاطفة وتغذية للقلب في مقابلة التفاسير العقلية الجافة والصورية .

ولارتباط الطريقة بعالم الملكوت كانت بحق ماء الحياة الأبدي وضرورة الخلود الأزلي قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾^(١) . على عكس الماديات التي مصيرها الموت والفناء لارتباطها بعالم الملك .

وطريقتنا الكسنزانية تميز مشايخها بأنهم خاصة الخواص من أهل الله ورجاله قدست أسرارهم جميعاً الذين اتخذوا عشق رسوله ﷺ معراجاً لسموهم الروحي لذلك أولت اهتماماً خاصاً بكل عبادة من شأنها أن تزرع حب الرسول ﷺ في قلب المرید الصادق زرعاً يستقيم على أساس الشريعة الغراء المتمثلة بأقوال الرسول ﷺ والتي تزدهر وتزهر بماء أفعاله ﷺ فكل البنيان العقائدي لهذه الطريقة المباركة

مؤسس على هذا الحب الواجب غرسه في صخر القلب القاسي من بعد تحوله
بمعاول الذكر الإلهي المأذون به من مشايخ الطريقة قدست أسرارهم والعشق المحمدي
إلى تراب هش خاشع هامد فإذا ما انزل إليه من بعد ماء تجلي الحقيقة اهتز هذا
القلب وربت تربته وأنبتت من كل زوج بهيج تجني ثمارها في الدنيا والآخرة .
وختاماً نأمل أن نكون قد وفقنا إلى ما رمينا إليه بكتابنا هذا الذي بين يديكم
والله ولي التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

السيد الشيخ محمد الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسيني
رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم

الباب الأول

* عظمة الرسول محمد ﷺ

* فضل الصلاة على الرسول ﷺ

* معجزات الرسول ﷺ

* القرآن معجزة الإسلام العظمى

– قدسية القرآن

* القرآن والمجتمع العالمي

– الإنسانية في القرآن

– الأسرة في القرآن

* خليفة الله في الأرض

* منزل آل البيت النبوي

* الحسين الرمز العظيم

– لماذا الحسين في كربلاء

– الحسين رمز الحرية

﴿عبدی اطعنی أجعلک ربانیا تقول للشیء کن فیکون﴾

حدیث قدسی

عظمة الرسول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

إنَّ من يقف متحدثاً عن حضرة المصطفى سيدنا مُحَمَّد ﷺ يقف في مقام المتحير ، فحقيقته ﷺ لا يعرفها إلا الله جل وعلا ، والعقول مهما آتاها الله ﷻ من فطنة وأدراك أن تحيط بهذا النور الرباني الذي تمثل في صورة سيدنا مُحَمَّد ﷺ فقال ربنا تبارك وتعالى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾^(١). أن هذا النور الإلهي هو العماد الرئيسي والأساسي لهذا الكون إذ هو علة الوجود وسبب كل موجود وقد أجاد ابن نباته المصري حين قال :

لولا ما كان أرض لا ولا أفق
ولا زمان ولا خلق ولا جيل
ولا مناسك فيها للهدى شهب
ولا ديار فيها للوحي تنزيل

من هذا لا بد أن نخرج متبركين على شخصية الحبيب المصطفى ﷺ مشيرين إلى نزر من المنح واللطائف الإلهية التي أختص بها سيدنا مُحَمَّد ﷺ في كتاب الله العزيز علَّ الله ﷻ أن يجعلنا من الذين فرحوا برسول الله ﷺ كي يفرح بنا .

قال تعالى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^(٢).

نبدأ من هذه الآية المباركة لفهم بعض السمات الإلهية التي خص الله ﷻ بها سيدنا مُحَمَّد ﷺ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، فقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ ﴾ إذ لم يذكر الحق ﷻ من هو هذا الرسول ولكن يتبادر إلى الذهن ابتداءً انه رسول الله ﷺ ، والإبهام في مثل هذا المقام يفيد التعظيم فكما في قول الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ على ما يقرره العلماء فإن هذا يسمى (مفهوم اللقب) ، ومفهوم اللقب لا ينزع صفة الرسالة عن غير رسول الله ﷺ من الأنبياء والمرسلين ، ولكن يشير هذا المفهوم إشارةً إلى أن تحقق هذا الوصف (أي وصف

١ - المائدة : ١٥ .

٢ - التوبة : ٣٣ .

الرسالة) على كماله وقامه في شخص رسولنا ﷺ فكأن الله تعالى قال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ ﴾ ، أي أرسل أعظم رسله ، ثم قال تعالى : ﴿ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ والهدى هو نقيض الضلال ، ودين الحق هو الدين الذي جاء مطابقا للواقع ذلك على تعريف المتكلمين للحق بأنه الحالة المطابقة للواقع ، إذ أنّ هذا الدين هو دينُ الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهذا ما قرره الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بقوله : ﴿ كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعَرَّبَ عَنْهُ لِسَانُهُ ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ وَيَنْصَرَانِهِ ﴾^(١) . فالإسلام هو دين الحق كونه قد طابق الفطرة البشرية التي فطر الناس عليها ، ثم قال تعالى : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ، وفعل الظهور هنا مسند إلى ضمير مبهم وهو (الهاء) وعائدية الضمير لابدّ أن تكون على اسمٍ ظاهرٍ ، والآية الكريمة فيها اسمان ظاهران هما (الرسول والدين) ، فإذا كان الضمير عائداً على الاسم الظاهر (الرسول) فإن تفسير الظهور في هذه الآية المباركة يأتي بمعنى (الإطلاع) ، فكأن الله ﷻ قال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ ﴾ . ولفظ (الدين) جاء معرّفاً (بالآلف واللام) المفيدة للاستغراق ، فكأن المعنى سيكون : هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليطلعهُ على الأديانِ كُلِّها .

أما إذا كان الضمير عائداً على الاسم الظاهر الثاني (الدين) ، فقد تقرر المعنى على شكل آخر ، فكأن الله ﷻ في قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ ﴾ قد قال : هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليرفع شأنه على الأديانِ كُلِّها ، فالظهور هنا جاء بمعنى الرفع ، وكما يقول القائل : ظهر بنو فلان على بني فلان ، أي انتصروا عليهم وارتفعوا شأناً عنهم .

مما تقدم لا بد أن تدرك ما هي أسباب هذا الظهور لهذا الدين الحنيف على بقية الأديان ؟ أن سبب ظهور هذا الدين الحنيف على بقية الأديان بموجب قاعدة

١ - الحديث أخرجه الطبراني في الكبير عن الأسود بن سريع ورواه الحاكم والبيهقي .

ربط الأسباب بالمسببات هو رسول الله ﷺ ، فالله ﷻ قد أعطى سيدنا محمداً ﷺ ما لم يعط غيره من الأنبياء والمرسلين من الإكرام والمنح الإلهية الربانية ، وقال الإمام الشافعي (رحمه الله) : ما من رحمة أصيب بها أهل الأرض والسماء إلا عن طريق رسول الله ﷺ .

فكل رحمة وصلت إلى الأنبياء والمرسلين وكل منحة إلهية منح بها نبي مرسل ما جاءت إلا عن طريق سيدنا محمد ﷺ الذي قال : ﴿ أنا كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ﴾^(١) . فإكرامه ﷺ قد سبق ظهوره ، والذي يقرر هذه المسألة ما قاله الله ﷻ في كتابه الكريم : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾^(٢) .

يتبين من هذا أن النور المحمدي قد بُعث إلى جميع الأنبياء والمرسلين وقد صدق البوصيري حين قال :

وكل آي أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها يُظهرن أنوارها للناس في الظلم
إن تفضيل رسول الله ﷺ على بقية الأنبياء والمرسلين أمر واجب ومشروع لا يُستدل على نفيه بقول الله تعالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾^(٣) . فالتفريق المقصود في هذه الآية الكريمة بين الرسل يكون بالإيمان ، أي نؤمن بهذا ونكذب ذاك ، فالله تعالى قال في موضع آخر من القرآن الكريم : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾^(٤) . قلم ينل أحد من الأنبياء والمرسلين والأفضلية التي نالها

١ - الحديث ورد في شرح القاشاني على الفصوص ص ٢٦٦ .

٢ - آل عمران : ٨١ .

٣ - البقرة : ٢٨٥ .

٤ - البقرة : ٢٥٣ .

رسول الله ﷺ وهذا ما يوضحه ويبينه قول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (١).

إنَّ هذا الخطاب موجهٌ من الحق ﷻ إلى الناس كافة فقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ ، أي لا ينبغي لأحدٍ منكم أيها الناس أن يُعامل رسول الله ﷺ كما يعاملُ بعضكم بعضاً لأنه ذو منزلةٍ وقُدسيةٍ خاصةٍ ، ثم تابع الحق قوله : ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ، ف (رسولُ الله) كما أسلفنا أنه مفهوم اللقب الذي يوضح لنا تقدّمه وأفضليته على بقية الأنبياء والمرسلين ولكن نقف عند قول الله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ بفتح التاء ، فلم يقل الحق ﷻ : خاتم النبيين بكسر التاء ، فما الفرق بين اللفظين ؟ .

الخاتم للشيء (بكسر التاء) : هو الذي يأتي في آخره ، أما الخاتم (بفتح التاء) فهو الذي يكون به الابتداء والانتهاء ، لذلك سُمي الخاتم خاتماً لأنه محيط بالإصبع من كل جانب فيبتدأ به ويُنْتَهِي إليه ، فالله ﷻ يقرر في هذه الآية الكريمة بأن هذا النبي الأعظم ﷺ هو محيط دائرة الأنبياء أجمعين منه المبتدئ واليه المنتهى . إضافة إلى ما تقدم فقد ختم الله ﷻ هذه الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ فالذي يناسب هذا المقام لا يكون إلا بمثل هذا الانتهاء ، ففيه إشارة إلى أن الله تعالى هو الوحيد الذي يعلم الحقيقة المحمدية ولا يمكن لأحد معرفة ذات رسول الله ﷺ إلا بمشيئة الله ﷻ فقد قال الله ﷻ : ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ (٢).

لندقق النظر في موطن آخر من القرآن الكريم ولنُعرج على الآية الكريمة التي أمر الله ﷻ العباد بالصلاة على رسول الله ﷺ فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

١ - الاحزاب : ٤٠ .

٢ - النور : ٣٥ .

وَمَلَأْتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿١﴾.

إن هذا الأمر الرباني في الآية الكريمة جاءنا بصورة قرآنية جديدة تتميز وتختلف عن بقية صيغ الأوامر الربانية الأخرى في القرآن الكريم ، فقد قال الله ﷻ : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٢).

وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٣).

وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤).

وقال : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٥).

هذا إلى ما شاكله من صيغ الأوامر التي تقتضي طلب الفعل ، ولكن حينما كان الأمر بالصلاة على رسول الله ﷺ جاء الأمر بصيغة أخرى فابتدأ الله ﷻ هذه الآية الكريمة بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ، ليشير إلى أن مقام الصلاة على النبي ﷺ مقام تشريف للعباد إضافة إلى أنه مقام تكليف يُراد به طلب الفعل ، فالصلاة على النبي ﷺ مقام تشريف وتكليف في آن واحد ، فكأن

١ - الاحزاب : ٥٦ .

٢ - الاسراء : ٧٨ .

٣ - البقرة : ١٨٣ .

٤ - البقرة : ١٧٨ .

٥ - آل عمران : ٩٧ .

الله ﷻ يقول لعبده : أنا أُصلي على حبيبي وملائكتي يصلون على حبيبي فإذا صليت عليه كنتَ حاضراً معي ومع ملائكتي في هذا المقام الرفيع .

ومن ناحية أخرى إذا ما نظرنا إلى تنفيذ أمر الصلاة على النبي ﷺ في هذه الآية الكريمة فإن كيفية تنفيذ هذا الأمر قد جعل الصحابة الكرام يسألون رسول الله ﷺ عنه ، فقالوا يا رسول الله علمنا الصلاة عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ فقال ﷺ قولوا : ﴿ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ .

فهكذا يكون تنفيذ أمر الصلاة على النبي ﷺ ، ولننظر إلى تنفيذ الفعل للأوامر في بقية الصيغ القرآنية الآمرة ، ففي قول الله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ فعلىنا في هذا الأمر تنفيذ وأداء فعل يبدأ بالتكبير وينتهي بالتسليم . وفي قول الله تعالى : ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ، فما علينا إلا أن نخرج جزءاً من مالنا امتثالاً لهذا الأمر الرباني ، ولكن حينما أُحيل الفعل على العباد لتنفيذ أمر الصلاة على النبي ﷺ بقوله تعالى : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ قال العباد : اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، أو يقولون : اللهم صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيماً ، إلى ما شابهها من صيغ الصلاة على النبي ﷺ ، وفي هذا إشارة من العباد إلى تفويض أمر الصلاة على النبي ﷺ إلى الله تعالى ، فكأن العباد يقولون : يا رب إذا كنت أنت وملائكتك قد صليتم على نبيك فلا طاقة لنا على أداء هذا الفعل ، لذلك يقول بعض المفسرين : إِنَّ الأمر التكليفي الوحيد الذي

عجزَ عن أدائه العبادُ هو الصلاةُ على رسول الله ﷺ ، ففيه يتحققُ الذلُّ والانكسارُ والتجردُ إلى الله تعالى والإقرارُ بالضعفِ .

إنَّ الله ﷻ لم تغادر رعايته ولطفه حبيبه مُحَمَّدًا ﷺ وهذه حقيقةٌ قد أكدها الله ﷻ في كتابه العزيز بقوله : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾^(١).

إنَّ عِظَمَ هذه الرعايةِ الإلهيةِ لسيدنا مُحَمَّد ﷺ ورفعتها تتجلى لنا بوضوحٍ إذا ما قورنت بالرعايةِ الإلهيةِ لسيدنا موسى ﷺ ، إذ قال الله ﷻ في حقه : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾^(٢). وأما قولُ الله تعالى في حق نبينا مُحَمَّد ﷺ : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾^(٣). فالفارقُ واضحٌ في الرعايةِ الإلهيةِ الرفيعةِ لسيدنا مُحَمَّد ﷺ من رعايةِ الله تعالى لسيدنا موسى ﷺ ، ومن ناحيةٍ أخرى فقد كانَ هنالك ميعادُ لسيدنا موسى ﷺ فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾^(٤). أما رسولُ الله ﷺ فلم تفارق رعايَةُ الله ﷻ ذاته الشريفة في أي حالٍ من الأحوال فقال تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾

إنَّ حقيقةَ هذه العظمة وهذه الرفعة التي خصَّ الله ﷻ بها سيدنا مُحَمَّد ﷺ ، قد خاضَ في بحرِها وغاصَ في معانيها كثير من الأعلام العارفين وقد عبر عن هذه الحقيقة الشيخ محيي الدين بن عربي وسماها بـ (الحقيقة الحمديدية) والتي اعتبرها العمادَ الذي قامت عليه (قبةُ الوجود) فهي صلةُ الوصلِ بين الله والناس وهي القوةُ المدبرةُ التي يصدرُ عنها كلُّ شيءٍ ، ولندع ابن عربي يشرح هذه المسألة بفهمه :

« اعلم أنَّ الله لما خلق الخلق جعلهم أصنافاً ، وجعل في كل صنفٍ خياراً ، وأختار من الخيار خواصاً وهم المؤمنون ، وأختار من المؤمنين خواصاً وهم الأولياء ،

١ - الضحى : ١ ، ٢ ، ٣ .

٢ - طه : ٣٩ .

٣ - الطور : ٤٨ .

٤ - البقرة : ٥١ .

واختارَ من هؤلاء الخواص خلاصةً وهم الأنبياء ، واختار من الخلاصة نقاوةً وهم أنبياء الشرائع المقصورة عليهم ، واختار من النقاوة شردمةً قليلين هم صفاء النقاوة المروقة وهم الرسل أجمعهم ، واصطفى واحداً منهم ، ليس منهم هو المهيمن على جميع الخلائق جعله الله عمداً أقام عليه قبة الوجود ، وجعله الله أعلى المظاهر واسناها ، صح له المقام تعييناً وتعريفاً ، فعلمه قبل وجود طينة البشر وهو مُحَمَّد ﷺ لا يُكاثَر ولا يُقاوم ، وهو السيد ومن سواه سوقة «(١)».

وقد بحث في تحرير هذه القضية (القاشاني) فقال : « إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَوَّلُ التَّعِينَاتِ الَّذِي تُعَيَّنُ بِهِ الذَّاتِ الْأَحَدِيَّةُ قَبْلَ كُلِّ تَعَيَّنٍ فَظَهَرَ بِهِ مَا لِأَنْهَاءِ لَهُ مِنَ التَّعِينَاتِ ، فَهُوَ يَشْمَلُ جَمِيعَ التَّعِينَاتِ ، فَهُوَ وَاحِدٌ فَرْدٌ فِي الْوُجُودِ لَا نَظِيرَ لَهُ : إِذَا لَا يَتَعَيَّنُ مِنْ يَسَاوِيهِ فِي الْمَرْتَبَةِ ، وَلَيْسَ فَوْقَهُ إِلَّا الذَّاتِ الْأَحَدِيَّةُ الْمَطْلُوقَةُ الْمَنْزُوعَةُ عَنْ كُلِّ تَعَيَّنٍ وَصِفَةٍ وَاسِمٍ وَرَسْمٍ وَحَدٍ وَنَعْتٍ ، فَلَهُ الْفَرْدِيَّةُ مُطْلَقاً ، وَمِنْ هَذَا يُعْلَمُ أَنَّ الْأَسْمَ الْأَعْظَمَ لَا يَكُونُ إِلَّا لَهُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمِنْ فَرْدِيَّتِهِ يُعْلَمُ سُرُّ قَوْلِهِ : ﴿ كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ ﴾ كونه خاتم النبیین وأول الأولین وآخر الآخرين ، ومن أوليته وجمعيته سُرُّ قَوْلِهِ : ﴿ أُتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ﴾ وكونه أفضل الأنبياء فإنهم في التصاعد وسعة الاستعداد والمرتبة ، ينتهون إلى التعین الأول ولا يبلغونه ، والتعین الأول هو مُحَمَّد ﷺ الذي ترجع إليه جميع التعینات فهو البرزخ بين الذات الأحديّة وبين سائر الموجودات «(٢)».

وقد قال الشاعر أحمد شوقي :

كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماءُ
لم يساووك في علاك وقد حا لَ سناً منك دونهم وسناءُ

١ - الشيخ ابن عربي - الفتوحات المكية ج ٢ ص ٩٧ .

٢ - شرح القاشاني على الفصوص ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

إنما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء
ومن هنا يتضح لنا بأن جميع الأنبياء عليهم السلام من نور سيدنا محمد ﷺ
الذي هو أصل الوجود وأول تعين للذات الأحدية وعنه نشأت جميع التعينات ومن
أجل ذلك كان سيد جميع الناس وكان خاتماً للأنبياء .

وقد لخص هذه الحقيقة الشيخ محمد البكري رحمه الله في هذه الطائفة : (١)
قبضة النور من قديم أرتنا في جميع الشؤون قبضاً وبسطاً
وهي أصل لكل أصل تبدى بسطت فضلها على الكون بسطاً
وهي وتر قد أظهرت عدد الشفع بعلم فجلاً حصراً و ضبطاً
ولدت شكلاً فأنتج أشكالاً بشرياً أقام للعدل قسطاً
طلسم حارت العقول عليه كنز بحر قد شط في الدرك شطاً
إن الوسيلة الكبرى والعظمى للعباد هو حضرة المصطفى ﷺ فقال تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (٢). فهو بلا شك ولا
ريب وسيلتنا ووسيلة أبينا آدم عليه السلام ، فمن أراد الرحمة والمغفرة والقرب في الدارين
من الله تعالى فما عليه إلا أن يبادر إلى طرق باب المصطفى ﷺ ويناديه بلسان
العاشقين وبقلب المحبين وبروح فانية بمحبته ﷺ كي ينال مبتغاه ومرامه ، ولكن
الذي يضيئ ويجعل القلوب تنقطر ذلك الجدل العقيم الذي لجت به الألسن
في المجالس وهو هل إن للنبي ﷺ جاهاً عند الله أم
لا ؟.

إذا كنا نناقش في هذا الأمر إلى يومنا هذا فمتى نعرف قدر نبينا ؟! إن مجرد
المناظرة في هذه المسألة تعدّ إساءة أدب عظيمة مع حضرة المصطفى ﷺ وتفريط
في حقه فهو الباب الذي لا يوصد ولا يُدخل إلى رحمة الله تعالى إلا من خلاله ،

١ - ديوان الحقائق ص ٢٨٥ .

٢ - المائدة : ٣٥ .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَّهَهُ اللَّهُ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (١).

وإن من عظمة الرسول ﷺ وعِظَم جَاهه عند الله ﷻ أن جعل الأرزاق منوطةً به ﷺ فقد روي عن الرسول أنه قال : ﴿ إِنْ اللَّهُ مَعْطٍ وَأَنَا قَاسِمٌ ﴾ وكان الصحابة يرددون (هذا ما أتانا الله ورسوله من فضله) .

وقد صدق القائل :

ما أرسلَ الرحمنُ أو يرسلُ	من رحمةٍ تَصْعَدُ أو تنزُلُ
إلا وطه المصطفى عبده	نبیه مختاره المرسلُ
واسطةٌ فيها ووصلٌ لها	يفهم هذا كلُّ من يعقلُ
فحُطَ أحمالُ الرجا عنده	فهو شفيعٌ دائماً يقبلُ

ذلك إن الرسول ﷺ هو الشارِعُ الأشهر والخليفة الأكبر ، نور الله اللامع وبرقه الساطع وسيفه القاطع ومعناه الذي هو في أفق كل قلب سليم طالع .
ويكفينا رداً على من يعترض على وجاهته ﷺ هذان النموذجان من الصلوات التي اخترناها من كتاب الصلوات الكسنزانية والتي تبين عِظَم منزلته وجاهته عند الله تعالى :

صلاة الوظيفة لابن مَشيش (رحمه الله) :

(اللهم صلِّ على من منه انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزل علومُ آدم بأعجز الخلائق ، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه سابقٌ ولا لاحقٌ ، فرياضُ الملكوت بزهر جماله موقنةٌ ، وحياضُ الجبروت بفيض أنواره

متدفقةً ، ولا شيء إلا هو به منوط ، إذ لولا الواسطةُ لذهب - كما قيل -
الموسوط (١).

صلاةُ السحرِ لمصطفى البكري (رحمه الله) :

(اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على من تشرفت به جميعُ الأكوان ، وصلِّ وسلِّم
وبارك على سيدنا محمدٍ الذي أظهرت به معالمُ العرفان ، صلِّ وسلِّم وبارك على
عينِ الأعيانِ والسببِ في وجودِ كلِّ إنسان) (٢).

١ - أوراد البكري ، للشيخ محمد البكري ص ٧٤ .

٢ - المصدر نفسه - ص ٦٣ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

فضل الصلاة على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم

تتجلى عظمة الرسول ﷺ وعظمة جاهه في أن الله تبارك وتعالى صلى عليه بنفسه ثم ثنى بملائكته قدسه وثلث بخلقه وجنه وأنسه . وأية درجة أعظم ممن خصه الله تعالى بهذا التكريم العظيم الذي لم يُخصَّ به نبي من قبل قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وقد ورد أمر الصلاة عليه ﷺ في الأحاديث النبوية الشريفة :

- فقد اخرج ابن علي بن شعيب عن عمر بن عمر قال سمعت عبد الله بن بشير يقول : قال رسول الله ﷺ : ﴿ الدعاء كله محبوب حتى يكون أوله ثناء على الله ﷻ وصلاة على النبي ﷺ ثم يدعو يستجاب لدعائه ﴾ .
- وأخرج الإمام احمد بسنده أن أبا سلمان الداراني يقول : (من أراد أن يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ وليسأل حاجته وليختم بالصلاة على النبي ﷺ فأن الصلاة على النبي مقبولة والله أكرم من أن يرد ما بينهما)
- واخرج ابن حبان في صحيحه عن النبي ﷺ انه قال : ﴿ ما جلس قوم مجلساً ثم تفرقوا ولم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم من الله ترّة إن شاء عذبهم ، وأن شاء غفر لهم ﴾ .
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ ﴾ (١) .

• وروى ابن حبان في صحيحه عن انس ابن مالك قال ، قال رسول الله ﷺ :

﴿ البخيل من ذُكِرْتُ عنده فلم يُصَلِّ عَلَيَّ فإنه من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشرين ﴾ .

• واخرج البيهقي في سننه والطبراني في معجمه الكبير عن أبي أمامة إن النبي ﷺ قال : ﴿ أَكثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةً فَأَنْ صَلَاةَ أُمِّي تَعْرُضُ عَلَيَّ فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً 〉 .

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ 〉 .

• وقال الطبراني حدثنا حفص بن عمر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يَصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يَمْسِي عَشْرًا أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ 〉 .

• وروى أبو موسى المديني بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ كُلُّ كَلَامٍ لَا يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ فَيَبْدَأُ بِهِ وَبِالصَّلَاةِ عَلَيَّ فَهُوَ أَقْطَعُ مَحْقُوقٍ مِنْ كُلِّ بَرَكَةٍ 〉 .

• وروى ابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ أَفْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ أَجْرِنِي مِنَ الشَّيْطَانِ 〉 .

• وعن الثوري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ :

﴿ تَجْعَلُونِي فِي وَسْطِ الدُّعَاءِ فِي أَوَّلِهِ وَفِي آخِرِهِ 〉 .

• عن محمد بن علي بن الحسين قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ أَخْطَأَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ 〉 .

• وعن سعيد بن المسيب قال : (مَا مِنْ دَعْوَةٍ لَا يَصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَبْلُهَا إِلَّا كَانَتْ مَعْلُوقَةً بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) .

- وروى ابن أبي شيبه عن ابن فضيل عن ليث عن كعب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَيَّ زَكَاةٌ لَكُمْ ﴾ .
- وعن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنْ طَهْوَرِهِ فَلْيَقُلْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَيَّ فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ ﴾ .
- وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِذَا نَسِيتُمْ شَيْئًا فَصَلُّوا عَلَيَّ تَذَكُّرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ .
- وعن أبي سهل بن مالك عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِئَةَ صَلَاةٍ حِينَ يَصْلِي الصُّبْحَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ قَضَى اللَّهُ لَهُ مِئَةَ حَاجَةٍ عَجَلُ لَهُ مِنْهَا ثَلَاثِينَ حَاجَةً وَأَخَّرَ لَهُ سَبْعِينَ فِي الْمَغْرِبِ مِثْلَ ذَلِكَ ﴾ .

مُعْجَزَاتُ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ

كان الرسول ﷺ عظيماً في رسالته وعظيماً في جهاده وعظيماً في معجزاته التي بهرت عقول الفصحاء وأعجزت فطاحل العرب عن مجابهة القرآن الكريم والإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

ما أعظم الرسول ﷺ وما أعظم خلقه وأخلاقه . وما جاءت معجزاته إلا لتكون مماثلة لعظمة رسالته وعظمة خلقه الذي قال الله تبارك وتعالى في حقه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

أيُّ عظيم يبلغ عظمة الرسول ﷺ ، عظمة من وصفه الله في كتابه العزيز وصنَّعَهُ لنفسه وقرَنَ اسمه باسمه فهو نبي الإسراء والمعراج وقائد الغر المحجلين والإمام الاتقى وعلة الوجود الأعلى .

وإذا كان لا بد من ذكر بعض من معجزاته ﷺ لتبصير من غفل عن حقيقته فنختار منها ما يأتي :

• قال ابن اسحق : أُصِيبَ يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته ، قال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما .

• ذكر الزبير قال أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه رسول الله ﷺ عُرجونَ نخلة فصار في يده سيفاً وكان يسمى العرجون .

• وعن عاصم بن أبي النجود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنت أرى غنماً لعقبة بن أبي معيط فمرَّ بي رسول الله ﷺ وقال لي : ﴿ يا غلام هل من لبن ﴾ ، فقلت : نعم ولكني مؤتمن قال : ﴿ فهل من شاة حائل لم ينز عليها

الفحل ؟ ﴿ قال فأتيته بشاةٍ حائلٍ فمسحَ ضرعها فنزل اللبن فحلبه في إناء وشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع : ﴿ أَقْلُصْ ﴾ فقلّص .

• قال ابن اسحق كان من حديث الأسود الراعي انه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم له كان فيها أجيراً لرجلٍ من اليهود فقال يا رسول الله أعرض عليّ الإسلام فعرضه عليه فاسلم فلما اسلم قال يا رسول الله أني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم فكيف اصنع بها قال رسول الله ﷺ : ﴿ اضرب في وجوهها فأثمها سترجع إلى ربها ﴾ ، فأخذ الأسود حَفَنَةً من الحصى فرمى بها في وجوهها وقال : ارجعي إلى صاحبك فو الله لا أصحابك أبداً فخرجت الغنم مجتمعة كأن سائفاً يسوقها حتى دخلت الحصن .

• وقال ابن اسحق حدثني عاصم بن عمر بن قُتادة قال : كان فينا رجلٌ غريب لا يدري من هو يقال له قُرمان وكان رسول الله إذا ذُكِرَ له يقول : ﴿ إنه لمن أهل النار ﴾ ، فلما كان يوم أحد قاتل مع المسلمين قتالاً شديداً فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس فأثخنه الجراح فأحتمل إلى دار بني ظفر ثم أثنى عليه نفر من الصحابة عند رسول الله ﷺ وذكروه بخير فقال رسول الله ﷺ : ﴿ إنه لمن أهل النار ﴾ فأخذ الصحابة يعجبون من ذلك حتى كاد يساورهم ريبة في ذلك فذهب جماعة من المسلمين إلى قُرمان يقولون له لقد والله أبليت اليوم يا قُرمان فأبشر فقال بماذا أبشر ؟ فو الله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت قال : فلما اشتدت عليه جراحاته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه فعاد الصحابة إلى رسول الله ﷺ يقولون نشهد انك لرسول الله ذكروا له أمر قُرمان فقال ﷺ : ﴿ إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر ﴾ .

• وقال ابن اسحق أن ابنة لبشير ابن سعد أخت النعمان بن بشير قالت دعني أُمي عَمْرَةَ بنت رواحة فأعطتني حَفَنَةً من تمر في ثوبي ثم قالت أي بُنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما قالت فأخذتها فانطلقتُ بها فمررتُ على رسول الله ﷺ وأنا التمسُ أبي وخالي فقال : ﴿ تعالي يا بُنية ما هذا معكِ ﴾ قالت : فقلتُ يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أُمي إلى أبي وخالي فقال : ﴿ هاتيه ﴾ قالت : فَصَبَبْتُهُ في كفي رسول الله ﷺ فما ملأتهما ثم أمر بثوب فَبَسَطَ له ثم دحا بالتمر عليه فتبددَ فوق الثوب ثم قال لرجل عنده : ﴿ نادِ في أهل الخندق أن هلموا إلى الغداء ﴾ قالت : فاجتمع عليه القوم فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صَدَرَ أهل الخندق عنه وإنه لَيَسْقُطُ من أطراف الثوب .

• قال الإمام البخاري حدثني مُحَمَّد بن بشار ، حدثني يحيى بن سعيد عن قتادة أن انس بن مالك رضي الله عنه حدثهم أن النبي ﷺ صعد على جبل أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجَفَ بهم فقال رسول الله ﷺ : ﴿ اثبت يا أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ﴾ .

• قال الإمام البخاري حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا حُصَيْن عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله عنهما قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه زكوة فتوضأ فجَهَشَ الناسُ نحوه فقال : ﴿ مالكم ؟ ﴾ قالوا : ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ! قال جابر فوضع النبي ﷺ يده في الزكوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا ، قال سالم قلت لجابر كم كنتم ؟ قال كنا خمس عشرة ومائة ولو كنا مائة ألف لكفانا .

• كان رسول الله ﷺ يزور أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث ويسميها الشهيدة وحين غزا صلوات الله عليه بدرًا قالت له ائذن لي أن أخرج معكم فأداوي جرحاكم لعل الله يهدي إلي الشهادة فقال لها رسول الله ﷺ : ﴿ إن الله يهديك الشهادة ﴾

وَقَرِّي فِي بَيْتِكَ فَأَنْتَ شَهِيدَةٌ ﴿١﴾ ، وكان النبي ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها وكان لها مؤذن فكانت تؤم أهل دارها حتى غمها غلامٌ لها وجارية وكانت قد أوصت بأن يعتقها بعد وفاتها فقتلها في خلافة عمر بن الخطاب فبلغ ذلك عمر فأمر بطلبهما فأدركا فأُتيَ بهما فضُلبا وكانا أول مصلوبين بالمدينة وقال عمر صدق رسول الله حين كان يقول : ﴿ انطلقوا نزر الشهيدة ﴾ .

• وأخرج الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه إن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ إلا اجعل لك شيئاً تقعد عليه فإن لي غلاماً نجاراً قال إن شئت قال فعملتُ له المنبر فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنّع فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق فنزل النبي ﷺ فضمها إليه فجعلت تننُ أنين الصبي الذي يُسكتُ .

• قال ابن اسحق : أن رسول الله ﷺ لما سار إلى تبوك حتى إذا كان ببعض الطريق ، ضلت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه يُقال له عمارة بن حزم وكان عقيباً بدرياً وهو عمُ بني عمرو بن حزم وكان في رحله زيدُ بن اللصيت القينقاعي وكان منافقاً فقال زيد المنافق وهو في رحل عمارة وعمارة عند رسول الله ﷺ : أليس مُحَمَّدٌ يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده : ﴿ إن رجلاً قال : هذا مُحَمَّدٌ يخبركم أنه نبي ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته ؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله . وقد دلي الله عليها ، وهي في هذه الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتوني بها ﴾ ، فذهبوا فجاءوا بها . فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال : والله لعجبٌ من شيء حَدَّثَنَاهُ رسول الله ﷺ أنفاً عن مقالة قائلٍ ، أخبره الله عنه بكذا وكذا ، للذي قاله زيد بن اللصيت . فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ زيدُ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي فاقبل عمارة

على زيد يجأ في عنقه (يطعنه) ويقول : إلي عباد الله ، إن في رحلي لداهية وما أشعر ، أخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحبني .

• قال ابن اسحق : قدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر ، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة الشاعر لأمه وجبار بن سلمى وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم ، فقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله ﷺ وهو يريد الغدر به وقد قال له قومه : يا عامر إن الناس قد اسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنت آليت أن لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي أفأنا اتبع عقب هذا الفتى من قريش ؟ ثم قال لأربد إذا قدمنا على الرجل فأني سأشغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فأضربه بالسيف . فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالني (يعني أخرج لي خالياً حتى أتحدث معك) فقال رسول الله ﷺ : ﴿ لا والله حتى تؤمن بالله وحده ﴾ . وقالها ثلاث مرات وكان النبي ﷺ يجيبه بنفس الجواب ، فقال عامر أما والله لأملأها عليك خيلاً ورجالاً . فلما ولى قال رسول الله ﷺ : ﴿ اللهم اكفني عامر بن الطفيل ﴾ . فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك وأيم الله لا أخافك بعد اليوم . قال أربد لا أبالك لا تعجل عليّ والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف ؟ وخرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله سبحانه الطاعون في عنق عامر بن الطفيل فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول ، قال ابن اسحق : ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا قومهم شاتين (في الشتاء) ، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شيء والله دعانا إلى عبادة شيء ، لوددت انه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج أربد بعد مقالته بيوم أو بيومين ومعه جمل له يبيعه فأرسل الله تعالى عليه وعلى الجمل صاعقة من السماء فأحرقتهما ...

• قال الإمام أحمد عن عبد الله بن جعفر قال دخل رسول الله ﷺ بستاناً
للأنصار ذات يوم فإذا جملٌ قد أتاها فجرجرَ وذرفت عيناه ولما رأى رسول الله ﷺ
ذلك حنَّ له ومسحَ سرائه وذفراه فسكن فقال : ﴿ من صاحب الجمل ؟ ﴾ فجاء
فتى من الأنصار فقال : هو لي يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ أما تتقي
الله في هذه البهيمة التي ملكها الله ؟ إنه شكي إلي قلة الطعام وكثرة
العمل ﴾ .

• قال الحافظ أبو يعلي : حدثنا شيبان ، حدثنا محمد بن زيادة البرجمي عن أبي
طلال عن أنس عن أمه قال : كانت لنا شاة فجمعت من سمنها في عكة فملأت
العكة ثم بعثت بها مع ربيبة فقالت : يا ربيبة ابلي هذه العكة رسول الله ﷺ
يأتم بها فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله هذه
عكة سمن بعثت بها إليك أم سليم : فقال : ﴿ أفرغوا لها عكتها ﴾ . ففرغت
العكة ، فدفعَت إليها فانطلقت بها وجاءت وأم سليم ليست في البيت فعَلقت
العكة على وتد فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر . فقالت أم سليم يا
ربيبة ، أليس أمرتُكِ أن تنطلقي بها إلى رسول الله ﷺ ؟ فقالت : قد فعلت : فأَنْ
لم تصدقيني فانطلقي فسلي رسول الله ﷺ فانطلقت ومعها ربيبة ، فقالت : يا
رسول الله إني قد بعثت معها إليك بعكة فيها سمن قال : ﴿ قد فعلت ، قد
جاءت ﴾ . قالت : والذي بعثك بالحق ودين الحق إنها لممتلئة تقطرُ سمناً . قال :
فقال لها رسول الله ﷺ : ﴿ يا أم سليم أعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعم
نبيه ؟ كُلِّي وأطعمي ﴾ .

• روى الإمام البخاري : عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : أنشق القمر على
عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال النبي ﷺ : ﴿ أشهدوا ﴾ .
وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه حدثهم : أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن
يريهم آية فأراهم انشقاق القمر .

عن ابن عباس رضي الله عنه أن القمر أنشق في زمان النبي صلی الله علیه وآله ، واسلم أثر ذلك خلق كثير .

• أخرج أبو نعيم الاصبهاني من حديث لهشام بن حبان عن الحسن عن ضبة بن محصن عن أم سلمة زوج النبي صلی الله علیه وآله قالت : بينما رسول الله صلی الله علیه وآله في حجر من الأرض إذا هاتف يهتف يا رسول الله ، قال رسول الله صلی الله علیه وآله : ﴿ فالتفت فلم أر أحداً قال فمشيتُ غير بعيد فإذا الهاتفُ يا رسول الله ، يا رسول الله قال : فالتفتُ فلم أر أحداً ، وإذا الهاتفُ يهتفُ بي فأتبعْتُ الصوت وهجمت على ظبيةٍ مشدودة في وثاق ، وإذا أعرابي مُجدلٌ في شملة نائم في الشمس فقالت الظبية يا رسول الله إن هذا الأعرابي صادني قبلُ ولي خشفانٌ في هذا الجبل ، فأن رأيت أن تطلقني حتى ارضعهما ثم أعود إلى وثاقي ؟ قال : وتفعلين ؟ قالت : عذبي الله عذاب العِشار إن لم افعل ﴿ فأطلقها رسول الله صلی الله علیه وآله فمضت فأرضعت الخشفين وجاءت . قال : فبينما رسول الله صلی الله علیه وآله يوثقها إذ انتبه الأعرابي فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول إني أصبتها قبلاً فلك فيها حاجة ؟ قال : ﴿ نعم ﴾ قال : هي لك فأطلقها رسول الله صلی الله علیه وآله فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً تضرب برجليها الأرض وتقول : اشهد أن لا اله إلا الله واشهد أن محمد رسول الله .

الإسلام دين الجميع

إن الإسلام هو طريق الله المستقيم في الأرض فمن سار عليه ونهج طريقه من أهل الأرض في كل مكان فهو من الفرقة الناجية التي يمنحها الله حياة حرة سعيدة بعيدة عن التعصب والجمود والاستغلال ، (إن الدين عند الله الإسلام) أي السلم والسلام الذي تتوق اليهما البشرية وكافة شعوب الأرض لانهما رمزان مقدسان وشعاران لا بد من تحقيقهما في الأرض لتعميم الخير والسلام : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّاحُونَ ﴾^(١).

أيتها الشعوب المحبة للعدل والحق يا شعوب العالم لا يخفى على أحد منكم ولا على أحد من الأمم التي اتخذت الأرض مهاداً لها بأن الإسلام في جوهره وحقيقته دين الحرية والإخاء والمحبة فهو لا يفرق بين الأسود والأبيض والعربي والأعجمي ويرفض رفضاً أساسياً كل مظاهر التفرقة والتعصب والعرق وينظر إلى الإنسان إنساناً بغض النظر عن أصله وفصله وعرقه وجنسه ولونه . فهو يعتبر الخدمة والعمل والتقوى أساساً للتقييم دون غيرها من المقاييس : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^(٢).

إن الدين الإسلامي الحنيف بما يحمله من مثلٍ وقيم وأحكام جاء ليخرج الناس جميعاً من الظلمات إلى النور وينقذهم من ظلمات الجهل والتعسف والطغيان وليبني لهم في الأرض بناءً شامخاً وقوياً من الحرية والسعادة على أساس العقيدة الإسلامية الثابتة عقيدة الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله التي جاء بها الأنبياء جميعاً على مراحل التطور والتدرج وعلى مستوى درجات العقول والأدراكات ليستظل الوارفة كل الشعوب والأمم مُنعمين مُوحدين إخوة مُتحابين يعملون بدأب من اجل تقدم البشرية ورفقها وسعادتها على هدى كلمة الله العليا ومنهج القويم الذي أنزل على

١ - الانبياء : ١٠٥ .

٢ - الحجرات : ١٣ .

الرسول ﷺ ليكون نظاماً ودستوراً عالمياً يزيل غشاوة الكفر والضلال عن أعين الغافلين ويفتح عقولهم وبصائرهم على حقيقة الإيمان والحق والعدل بأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض ، وعليه تقع المسؤولية الكبرى في تعمير الأرض وإصلاحها في نفوس أهلها ليشقوا طريق الحياة المحفوف بالمخاطر والمصاعب مجاهدين مكافحين معززين مكرمين صامدين عالمين بأمور الحق والحياة منتجين إنتاجاً نافعاً يفيد البشرية ويسد حاجتها الضرورية مسلحين بسلاح العقل والعلم والمعارف ليتمكنوا من مواصلة مسيرة الحياة الحافلة بالأعمال العظيمة والمشاريع الكبيرة والمفاجآت التي تعترض سبيلها والسعي المتواصل على درب العلم الحقيقي والفكري النافعين للصعود في ملكوت السموات وإطلاعهم على الأسرار الحقيقية والغامضة التي لم تبلغها البشرية بعد ولينجلي أمامهم الحق والحقيقة من حكمة الله في خلقه وهي السعادة البشرية وتحقيق حياة هائلة يسودها التفاني والتعاون ونكران الذات في سبيل رفعة الإنسانية إلى ذروة السعادة والمجد والخلود لكل مجتمعات الإنسانية ولتتعارف الشعوب وتتعاون فيما بينها أخوة متحابين باذلين كل جهودهم في سبيل خلاص البشرية من التخلف والانحطاط وتحقيق العطاء الدائم وعلى أعلى مستوى علمي في ظل التقدم والرقى .

يا شعوب الأرض إن الإسلام الذي نحن اليوم نُمجِّدُه ونزكيه ليس الإسلام الذي تلمسونه لدى البعض من الذين أضاعوا جوهره وأهملوا بنيانه وتخبطوا تخبطاً عشوائياً في مصالحهم اللا إنسانية واللا إسلامية الباطلة ليجعلوه أساساً لاستغلال الآخرين ، ولكن الإسلام الحقيقي لو برز على حقيقته لخضع له كل الجبابرة والطغاة مُترَكعين أمام عظمتهم وروعته وأصالة مبادئه التي تُحقِّق الحق ولتضاءلت أمامه جميع الأنظمة والقوانين البشرية .

إنَّ الدليل الساطع على جوهر الإسلام واصالة مبادئه ومُثله التي تعشقها القلوب وترتادها النفوس موحدة إياها في بودقة المجتمع الواحد قوة ومثانة فتصهرهم

جميعاً ليكونوا أمةً واحدةً لا يختلفون ولا يتفرقون هو أن جميع الأنبياء والرسل الأولين كانوا مسلمين م مهدين للإسلام ، فكان نوح عليه السلام مسلماً إذ قال لقومه : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ^(١).

وكان إبراهيم عليه السلام مسلماً وداعياً إلى الإسلام : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٢).
وبنو إسرائيل كانوا مسلمين : ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(٣).

وكذلك كان السيد المسيح عليه السلام رسول المحبة والخير والسلام وكان مسلماً محباً للسلم والخير للبشرية : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(٤).

إن القرآن الكريم رمز للدين الموحد بكلمة (الإسلام) والتي تعني الاستسلام لأوامر الله تعالى والانقياد له بطاعته والتذلل لقهره بعبوديته والإخلاص في التوجه بها إليه وحده .

وهذا المعنى الموحد للدين هو الذي وصى به إبراهيم خليل الله أبو الأنبياء بنيه ووصى به حفيده يعقوب بنيه وقصه علينا القرآن الكريم في قوله : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(٥).

١ - يونس : ٧٢ .

٢ - آل عمران : ٦٧ .

٣ - البقرة : ١٣٣ .

٤ - آل عمران : ٥٢ .

٥ - البقرة : ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ .

لقد كانت العرب تدعي إن لها ديناً خاصاً وأنه الحق وكانت اليهود والنصارى كلٍ يدعي ديناً خاصاً وأنه الحق فبينت هذه الآيات أن هذه الدعاوى من التعصب للتقاليد وأن دين الله تعالى واحد في حقيقته ، وروحه التوحيد والاستسلام لله تعالى والخضوع والإذعان لهداية الأنبياء وبهذا كان يوصي الأنبياء أبناءهم وأممهم .

وقال القرآن في آية أخرى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (١).

فالتفرق في الدين ما جاء إلا من الجهل والتعصب للأهواء والمحافظة على الخطوط والمنافع المتبادلة بين المرؤوسين والرؤساء فالإسلام يطالب الجميع بالاتفاق في الدين والاجتماع على التوحيد والبراءة من الشرك بأنواعه والإخلاص لله في جميع الأعمال .

فشرائع آدم ونوح وإدريس من متقدمي الأنبياء والرسل عليهم السلام ليست كشرائع إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام في نظام الحياة الاجتماعية وشرائع الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى ليست كشرعية سيدنا محمد ﷺ التي ختم بها الله الشرائع السماوية فقد جاءت شريعة سيدنا محمد ﷺ جامعة لجميع ما تحتاج إليه البشرية من نظم تكفل لها في مستقبلها الاستقرار في ظل ظليل من العدل والإحسان والتراحم والتعاون والتساوي بين أفراد المجتمع .

فالإسلام هو هدى الأنبياء والرسل الذين أمر الله النبي محمد ﷺ أن يهتدي بهديهم لوحدة الدين الحق الذي لا يقبل الله غيره ديناً : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ ﴾ (٢).

١ - الشورى : ١٣ .

٢ - الأنعام : ٩٠ .

وهذا الهدى الذي جمع الله عليه الأنبياء والمرسلين فوحد به الدين الحق هو الكلمة العادلة المقسطة التي تستوي في الإقرار بها جميع الملل المتعبدية بوحى السماء وهذه الكلمة التي دعا إليها الرسول مُحَمَّد ﷺ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليجمعهم مع المسلمين على الحق وهدى الأنبياء والمرسلين : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

فيا شعوب العالم المحبة للسلام نحن وأنتم اليوم ما أحوجنا إلى نظام اجتماعي متكامل أو نظرية أو فكرية صائبة تفك رموز حياتنا الضائعة وتحل كل مشاكلنا الاجتماعية والاقتصادية وتبعدنا عن التحكم والاستبداد اللذين يذهبان بروعة الحياة ويقضيان على جوهرها وأن هذا النظام أو تلك الفكرة التي تبحث عنها جميعاً لتروي غلتنا وتبرد نفوسنا نحن المتعطشين إلى الأسرار الروحية العلوية التي تربطنا ربطاً كلياً بقدرته ﷻ لنترفع عن عالم المادة الذي يؤدي بأهله إلى الهاوية هو نظام الإسلام المتكامل الذي حمل رايته سيدنا مُحَمَّد ﷺ قدوة الشعوب والأمم وهاديها إلى الحق والنور فهو النموذج الأعلى والرسول الأعظم ﷺ الذي دعا العالم بأجمعه إلى الخير : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

فالإسلام ليس ملكاً لأحدٍ ولا ينحصر في مجتمع أو دولة بل الإسلام هو ملك الجميع ولجميع الأمم والشعوب على الأرض : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٢). لذلك ندعوكم جميعاً لتلبية نداء الإسلام

١ - آل عمران : ٦٤ .

٢ - الفرقان : ١ .

نداء الحق بكل ما أوتيتهم من همم وعزيمة وإيمان ليعم الخير والسلام تحت راية الإسلام : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١).

القرآن معجزة الإسلام العظمى

القرآن : هذا الكتاب المعجز الذي وقفت العقول حائرة أمام عظمته وأسراره عاجزة عن الإتيان بمثله ولو كان بعضها لبعض ظهيرا « وهو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات والترجمان الأبدي لألستها التاليات للآيات التكوينية ومفسر كتاب العالم وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السموات والأرض ، وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المضمرة في سطور الحادثات وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة وكذا هو خزينة للمخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي ، وكذا هو خريطة للعالم الأخروي وكذا هو القول الشارح والتفسير الواضح والبرهان والترجمان الساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه . وهو المرشد المهدي إلى ما خلق البشر له كما انه كتاب شريعة كذلك هو كتاب حكمة »(١).

وهو كما قال القائل :

يَفْتَرُ مِنْ عَجَبٍ إِلَّا إِلَى عَجَبٍ	به فُنُونُ المعاني قد جُمِعْنَ فَمَا
وحكمة أودعت في أفصح الكتب	أمر ونهي وأمثال وموعظة
وروضة يجتنيها كل ذي أدب	لطائف يجتليها كل ذي بصر

ولما كان القرآن العظيم شريعة نبينا محمد ﷺ ومأخذ الأحكام الإلهية كما كان أعظم معجزة وأظهر دليل وبرهان على نبوته ورسالته لم يكن يعتري هذه الشريعة نقص ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير لأن كلام البشر لا يلتئم مع الكلام المعجز الخارج عن طوقهم والعيان شاهد بذلك ، إلا أن أحداً لا يمكنه أن يزيد حرفاً فضلاً عن كلمة في آية من آيات الله تعالى ثم يتلوها بين ملام من المسلمين ويقرؤه على

١ - سعيد النورسي - إشارات الإعجاز في قطان الإيجاز ص ٢٢ .

ذلك ، بل يردون عليه أعظم ردٍ وينكرون عليه أشدَّ الإنكار ولو كان من أعظم الناس قدراً .

قال مُحمَّد حقي النازلي في خزينة الأسرار الكبرى :
إن من شرف القرآن الكريم وعظمته عند الله ﷻ قد سماه بأسماء عديدة بالدلائل والإشارات :-

- فسماه (كتاباً مبيناً) في قوله تعالى : ﴿ حَم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾^(١) .
وسماه (قرآناً كريماً) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾^(٢) .
وسماه (كلاماً) في قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾^(٣) .
وسماه (نوراً) في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾^(٤) .
وسماه (هدى ورحمة) في قوله تعالى : ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٥) .
وسماه (فرقاناً) في قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ الْفُرْقَانِ عَلَى عَبْدِهِ ﴾^(٦) .
وسماه : (شفاءً) في قوله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٧) .
وسماه (موعظة) في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾^(٨) .
وسماه (ذكراً مباركاً) في قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾^(٩) .

١ - الزخرف : ١ ، ٢ .

٢ - الواقعة : ٧٧ .

٣ - التوبة : ٦ .

٤ - النساء : ١٧٤ .

٥ - يونس : ٥٧ .

٦ - الفرقان : ١ .

٧ - الإسراء : ٨٢ .

٨ - يونس : ٥٧ .

٩ - زخرف : ٤ .

وسماه (علياً) في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾^(١).

وسماه (حكمة) في قوله تعالى : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾^(٢).

وسماه (حكيماً) في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾^(٣).

وسماه (مهيمناً) في قوله تعالى : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾^(٤).

وسماه (حبلأ) في قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾^(٥).

وسماه (صراطاً مستقيماً) في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ ﴾^(٦).

وسماه (قيماً) في قوله تعالى : ﴿ قِيَمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾^(٧).

وسماه (نبأً عظيماً) في قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴾^(٨).

وسماه (تنزيلاً) في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٩).

وسماه (روحاً) في قوله تعالى : ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾^(١٠).

وسماه (وحيأ) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ﴾^(١١).

١ - القمر : ٥ .

٢ - لقمان : ٢ .

٣ - المائدة : ٤٨ .

٤ - البقرة : ٩٧ .

٥ - آل عمران : ١٠٣ .

٦ - الأنعام : ١٥٣ .

٧ - الكهف : ٢ .

٨ - النبأ : ٢٠١ .

٩ - الشعراء : ١٩٢ .

١٠ - الشورى : ٥٢ .

- وسماه (بصائراً) في قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ ﴾^(٢).
- وسماه (بياناً) في قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾^(٣).
- وسماه (علماً) في قوله تعالى : ﴿ مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾^(٤).
- وسماه (هادياً) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾^(٥).
- وسماه (عجباً) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾^(٦).
- وسماه (تذكرة) في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾^(٧).
- وسماه (العروة الوثقى) في قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ﴾^(٨).
- وسماه (صدقاً) في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ ﴾^(٩).
- وسماه (عدلاً) في قوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾^(١٠).
- وسماه (أمراً) في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾^(١١).
- وسماه (منادياً) في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾^(١٢).
- وسماه (بشرى) في قوله تعالى : ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١).

١ - الأنبياء : ٤٥ .

٢ - الجاثية : ٢٠ .

٣ - آل عمران : ١٣٨ .

٤ - البقرة : ١٤٥ .

٥ - الإسراء : ٩ .

٦ - الجن : ١ .

٧ - طه : ٣ .

٨ - البقرة : ٢٥٦ .

٩ - الزمر : ٣٣ .

١٠ - الأنعام : ١١٥ .

١١ - الطلاق : ٥ .

١٢ - آل عمران : ١٩٣ .

وسماه (مجيداً) في قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ (٢) .
وسماه (بشيراً ونذيراً) في قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (٣) .
وسماه (عزيزاً) في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ (٤) .

قدسية القرآن وعظمته

أن القرآن من أقدس الكتب التي انزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله وله قدسيته وحرمته الخاصة في قلوب المؤمنين لكونه يضم بين دفتيه أعظم الشرائع السماوية فهو الخاتم لما قبله ومهيمن عليه وقد بلغ من قدسيته أنه من استخف بالقرآن أي بمبناه أو معناه أو بأهله الوارد في حقهم من أهل القرآن أهل الله وخاصته فقد كفر ومن حرّف معنى من معانيه أو حكماً من أحكامه متعمداً فهو كافر بالإجماع .

وقد وردت أحاديث كثيرة عن فضل حال القرآن - مُعلمه ومتعلّمه - فقد ورد عن الرسول ﷺ : ﴿ خيركم من تعلم القرآن وعلمه ﴾ وفي رواية البيهقي أن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه .

وفي جامع الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري عنه قال رسول الله ﷺ يقول الله ﷻ : ﴿ من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ﴾ .

• وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس ؓ أنه قال ، قال رسول الله ﷺ : ﴿ من تعلم كتاب الله تعالى ثم اتبع ما فيه هداة الله به من الضلالة ووقاه الله يوم القيامة سوء الحساب ﴾ .

١ - البقرة : ٩٧ .

٢ - البروج : ٢١ .

٣ - فصلت : ٣ ، ٤ .

٤ - فصلت : ٤١ .

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : ﴿ يا أبا هريرة تعلم القرآن وعلمه الناس ولا تزال كذلك حتى يأتيك الموت فإنه أن أتاك الموت وأنت كذلك حجت الملائكة إلى قبرك كما يحج المؤمنون إلى بيت الله الحرام ﴾ .

• واخرج ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ﴿ يُقال لصاحب القرآن يوم القيامة إذا دخل الجنة اقرأ وأصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه ﴾ .

• وقال صلى الله عليه وآله : ﴿ أن القرآن ليلقي صاحبه يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفني فيقول ما أعرفك فيقول أنا صاحبك الذي اضمأتك في الهواجر واسهرت ليلك وان كل تاجر من وراء تجارته اليوم واني من وراء كل تجارة قال فيعطي الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسي والداه خلتين لا يقوم لهما الدنيا فيقولان بم كسيتنا هذا ؟ فيقال لهما بأخذ ولدكما القرآن ﴾ .

• وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : من قرأ القرآن ولم يخضع لله ولم يرق قلبه ولا يتسم حزناً ووجلاً في سره ، فقد استهان بعظم شأن الله تعالى وخسر خسراناً مبيناً فقارئ القرآن محتاج إلى ثلاثة أشياء : قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خالٍ ، فإذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ^(١) . فإذا تفرغت نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة ولا يعترضه على أرض فيحرمه بركة نور القرآن وفوائده . فإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل عن الخلق بعد أن أتى بالخصلتين - خضوع القلب وفراغ البدن - استأنس روحه وسره بالله وعز وجل ووجد حلاوة مخاطبات الله وعز وجل عباده الصالحين . وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصهم بفنون كراماتهم وبدائع إشاراته فمن يشرب كأساً

من هذا المشرب لا يختار على تلك الحال حالاً ، وعلى ذلك الوقت وقتاً بل يؤثره على كل طاعة وعبادة ، لأن فيه المفاجآت مع الرب بلا واسطة فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشور ولايتك وكيف تجيب أوامره وتجنب نواهيه وكيف تمثل حدوده فإنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فرتله ترتيلاً وقف عند وعده ووعيده وتفكر في أمثاله ومواعظه ، واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده .

والقرآن في رأي ابن عربي هو الإنسان الكامل والمقصود به سيدنا محمد ﷺ ونائبه لانهما القرآن بصفته يقول ابن عربي : « فمن أراد أن يرى رسول الله ﷺ ممن لم يدركه من أمته فليتنظر إلى القرآن فإذا نظر فيه فلا فرق بين النظر إليه وبين النظر إلى رسول الله ﷺ فكأن القرآن إنتشأ صورة جسدية يقال لها محمد ﷺ ، والقرآن كلام الله وهو صفته ، فكان محمد ﷺ صفة الحق » (١) .

القرآن والمجتمع العالمي

نزل القرآن وتحدث عن كثير من الأمور والأنشطة والتشريعات والعلوم فأقر بعض الأفكار وسفه البعض الآخر واتى بفكرٍ جديدٍ وتصور جديد عن الوجود وما بعد الوجود والأرض والسماء والإنسان والحيوان والنبات ، نزل القرآن في عصر لم يكن الإنسان يعرف فيه عن الطبيعة إلا القليل النادر وكانوا يرون أن الأمطار تقذفها السماء وأن الأرض مستوية وأن السماء سقف الأرض وكانوا يرون إن النجوم مسامير لامعة من الفضة مركبة في قبة السماء . وبعد أن تقدم العلم وزادت قوة المشاهدة والدراسة لدى الإنسان فكشف عن أسرارٍ كثيرة دلت بكل صراحة على انه لا وجود للكلام الإنساني في القرآن الكريم وإنما هو دستور الهي لان الإنسان يتكلم عما هو معروف من المعتقدات والعلوم في عصره انه سوف يسدد ما هو موجود في زمنه سواء وقع ذلك منه في حالة الشعور أو اللا شعور ولذلك لا

تجد كتاباً مضى عليه حين من الدهر إلا وهو مملوء بالأخطاء من سائر نواحيه نظراً إلى الكشف الجديدة في كل الميادين ولأن الكلام الإنساني لا تدوم صحته لجهله بمستقبل الأحداث ، ولكن مسألة القرآن الكريم تختلف تمام الاختلاف عن هذا فهو حق وصادق في كل ما قال كما كان في القرون الغابرة ولم يطرأ على ما قاله أي تغيير رغم مضي قرون وعصور طويلة وهذا دليل على أن منبعه ذات علمية تحيط بالأزل وبالأبد علماً ، وتعلم سائر الحقائق في صورها النهائية والحقيقية وهو الله الذي لا يخضع علمه ومعرفته لحواجز الزمان والمكان والأحوال ولو كان هذا الكلام صادراً عن بشر محدودي النظر لكان الزمان قد أبطله منذ عصور عديدة كما يحدث لكل كلام إنساني في مستقبله .

الإنسانية في القرآن الكريم

الإنسانية : هي صفة الإنسان الكامل التي تؤهله ليكون خليفةً لله تعالى لتعمير الأرض ونشر الخير والمحبة فيها والإنسانية الكاملة هبة من الله تعالى يهبها لمن يشاء بهيئة أنبياء أو رسل أو أولياء يكلفهم ﷺ لإصلاح الطغاة كتكليف سيدنا موسى عليه السلام لإصلاح فرعون : ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾^(١).

وهكذا يبعث الله تعالى سلسلة من الرسل لمنع انتشار الظلم في الأرض وتعليم البشرية بقيمة الإنسان ومدى تكريمه من قبل الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾^(٢). حتى بُعث سيدنا مُحَمَّدٌ ﷺ المشهود له بالكمال رحمةً للعالم ومنفذاً لكل ما هو موجود في الوجود : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٣).

وستظل هذه الرحمة المهداة للعالم أجمع مستمرة خالدة عبر القرون والأجيال إلى ما شاء الله لأن مُحَمَّدًا ﷺ هو القرآن والقرآن هو مُحَمَّدٌ ﷺ ولا يمكن الفصل بينهما ، وخلود القرآن واضح في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا

١ - طه : ٢٤ .

٢ - الإسراء : ٧٠ .

٣ - الأنبياء : ١٠٧ .

لَهُ حَافِظُونَ»^(١). وتظهر إنسانية الإسلام في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾^(٣). فالإسلام دين الإنسانية والتسامح والمحبة شرّع العفو عند المقدرة وأقرّ حرية الفرد المسلم وساوى بين المسلمين وأزال الفوارق بينهم قال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^(٤).

وقال الرسول ﷺ : ﴿ الناس كلهم لآدم وآدم من تراب ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ﴾ .

هذا هو مبدأ المساواة الذي جاء به الإسلام وساوى بين العبد وسيدهِ وقضى على نظام الرق والعبودية وظهر للضعيف قوةً وللقوي تواضعاً وعظفاً ومحبة مع الفقير الضعيف .

إن أهم عملية في تدمير الإنسانية هي استرقاق البشر من قبل بشرٍ مثله أو بعبارة أخرى استبعاد القوي للضعيف ، ولقد نصر الرسول ﷺ منذ البداية الفئات الضعيفة وساوى بشرعه بين الأمير السيد الحاكم الجبار والعامل الصعلوك وحرر المستعبدين من رق العبودية الروحية والجسمية والأدبية حتى من رقهم للملوك وكان شخصه ﷺ القدوة الرفيعة في ذلك التحرر والتساوي فيساوي نفسه وهو البشير النذير الرسول النبيل السلالة ، الكوني العقلية بالأسود بلال الذي حرره وأوقفه فوق

١ - الحجر : ٩ .

٢ - الفتح : ٢٩ .

٣ - المائدة : ٢ .

٤ - الحجرات : ١٣ .

سطح الكعبة المقدسة مؤذناً ينادي المؤمنين والذين ينادون صحابته واخصائه وأهله وعشيرته وأشراف مكة محجة العرب .

بلال الرقيق الأسود المحرر ينتصب فوق ارفع مكان - فوق الكعبة - بأمر الرسول ﷺ فوق أقدس مسجد تجلّهُ العرب لينادي أشراف العرب ودهماء العرب وعلماء العرب وفرسان العرب وشعرائهم والحجاج العالمين للصلاة ومعرفة الحق وإتباع الحق .

وتوالت الآيات القرآنية لتكمل تحرير العبيد وإلغاء الرق وذلك على عدة مراحل :

١ . بدأ بالتحرير للرقيق عن طريق شرائهم وعتقهم وكان ذلك في فترة العهد المكي حيث كان الإسلام في بداية طريقه وانبرى الصحابة الكرام يبذلون أموالهم في ذلك .

٢ . لما كان أسر الحرب هم الرافد الأول لعملية الاسترقاق فقد قطع الإسلام هذا الشريان الحيوي المغذي للعبودية فأمر بإطلاق الأسرى إما بالتفضل عليهم أو قبول فدية وبذلك منع استعبادهم قال تعالى : ﴿ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ ﴾^(١).

٣ . جعل الإسلام في مجال التشريع نصيباً من الصدقات للمسلمين الذين يرومون شراء حرياتهم والتخلص من العبودية قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ ﴾^(٢).

٤ . وكذلك جعل الإسلام كفارة المؤمن الذي يخطيء (فك رقبة) أي تحرير عبد ما من المسلمين العبيد وشرع ذلك في ثلاثة مواضع :

١ - مُجَدَّ : ٤ .

٢ - التوبة : ٦٠ .

أ . عقد الإيمان قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ (١).

ب . في القتل الخطأ أي غير المتعمد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ ﴾ (٢).

ج . في الظهر قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ﴾ (٣).

هـ . وعندما اشتدت الدولة الإسلامية وعادت الحرية للمسلمين وقويت بهم وأصبحوا أقوياء بها شرع الله ﷻ المكاتبه بين العبد وسيده فالعبد ينال حريته ثم يكتب على نفسه ديناً ثمن حريته إلى أجل معلوم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ (٤).

إن تحرير البشر من استعباد أخيه البشر لأعظم عمل إنساني قام به الإسلام ، ولقد جعل الإسلام خمسة منافذ للحرية أمام العبد المسلم وهو حكم شامل غايته القضاء على الإسترقاء بشكل تام كما شرع الإسلام حرية الاعتقاد الديني وليس أدل على احترام الإسلام للإنسان من قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٥) ، إذ أن المجادلة بالحسنى دليل على حرية الرأي والمناقشة بالنسبة للمقابل ثم جاءت آيات عديدة أخرى تؤكد ذلك فقال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٦).

١ - المائدة : ٨٩ .

٢ - النساء : ٩٢ .

٣ - المجادلة : ٣ .

٤ - النور : ٣٣ .

٥ - النحل : ١٢٥ .

٦ - البقرة : ٢٥٦ .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (٢) .

فهل بعد هذه الحرية في النفس والعقيدة من مجال للحاقدين الذين يدعون أن الإسلام قام بحد السيف ؟ لقد قصرت الآيات القرآنية مهمة الرسول ﷺ على إبلاغ الناس وكان ﷺ منفذاً لأمر الله ، وأن نظرة فاحصة إلى شروط صلح الحديبية توضح أن الإسلام لم يكن دين قتال وسفك دماء كما يقول البعض حيث كان من الشروط المهمة هذا البند (من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده إليه ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه) . يظهر من هذه العبارات المتفق عليها بين الرسول ﷺ وقريش حرية الرأي والاعتقاد فمن نَفَرَ من تعاليم الإسلام لا يُرد إليه بقوة وبذلك فقد أطلق الإسلام للإنسان إرادة التفكير وبرز قيمته كإنسان ، فالإسلام لم يحارب الناس ليدخلوا في الدين إنما حارب الذين اعتدوا على المسلمين وأخرجوهم من ديارهم ونهبوا أموالهم ولما أراد توسيع رقعة الدولة الإسلامية لتثبيت قواعدها وحماية المسلمين قام ببعض الغزوات ، وهادن أهل الكتاب ممن يرغبون في دفع الجزية واخذ العهد عليهم بعدم التعرض للمسلمين قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣) . وكثيراً ما كانت تُفتح المدن بالصلح والسلم ومنها فتح مكة . ورغم كبر ذنب المشركين عند الله فاسمع أخلاق الإسلام في التعامل الإنساني معهم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

١ - آل عمران : ٢٠ .

٢ - التغابن : ١٢ .

٣ - الانفال : ٦١ .

٤ - التوبة : ٦ .

وبهذه الروح الإنسانية للقرآن الكريم والرسول الأعظم ﷺ تكلم وعمل أصحابه وخريجو مدرسته حيث يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه موصياً قائداً جيش المسلمين الفاتح : « إني موصيك بعشر : لا تقتلن امرأة ولا صبياً ، ولا كبيراً هرمًا ، ولا تقطعن شجراً مثمرًا ، ولا تُخربن عامراً ، ولا تُعقرن شاةً ولا بعيراً إلا لمأكلة ، ولا تحرقن نخلاً ولا تفرقنه ، ولا تغلن ، ولا تجبن » (١).

إن كل لبيب أو ذا بصيرة يطلع على القرآن الكريم وكنوز أسرار لا يسعه إلا أن يقول ويسلم لما قاله (الكونت ادورار كيوجا) : أن القرآن يتضمن بين دفتيه كل ما تحتاج إليه الروح الإنسانية في ارتقائها وكما لها المعنوي (. وما قاله (غوستاف لوبون) : (إن القرآن لم ينتشر إلا بالاعتناع لا بالقوة فاستطاع بذلك أن يجذب إليه الشعوب وتدين به تلك الشعوب) .

الأسرة في القرآن الكريم

قامت الوحدة بين أفراد المجتمع الإسلامي استجابةً لأمر الله ﷻ وامثالاً لما دعت إليه الآيات القرآنية : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (٢). وتأصلت هذه الوحدة التي تعتبر طابع المجتمع الإسلامي ، فالقرآن الكريم يأمر بأن يكون طابع هذه العلاقة بين هؤلاء الأفراد جميعاً (الإحسان) وليس الإحسان هو العطاء فقط وليس هو المعاملة الحسنة فقط وإنما الإحسان المقصود في هذه الآية يشمل العلاقات المثالية التي يجب أن تكون بين أفراد المجتمع الواحد فالإحسان إلى الوالدين إنما يكون باحترامهما وتوقيرهما والسهر على مصالحهما قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٣). ولو تتبعنا الآيات القرآنية في هذا المجال لوجدناها تعطي حقوقاً للجار بحيث تصل إلى درجة تجعل منه وكأنه فردٌ من العائلة ومن أهم ما دعا إليه

١ - موطئ ابن مالك ص ٤٤٨ .

٢ - المؤمنون : ٥٢ .

٣ - النساء : ٣٦ .

القرآن الكريم في التضامن الاجتماعي وسبق به كل الدعوات الإصلاحية للمجتمع حتى الآن ولن تصل أية دعوة إليه هو التواصي بالحق والصبر والمرحمة .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾^(٢).

والتواصي ارفع صور التضامن الاجتماعي إذ يوصي المسلمون بعضهم بعضاً بضرورة الالتزام ما تأمر به الآيات الشريفة فلا خوف على المسلم من النسيان والانحراف ، وبالتواصي يتأكد التضامن فيصبح أفراد المجتمع جميعاً متضامنين في التنفيذ .

وقد وضع التشريع للأيتام والمساكين والمحتاجين صوراً عديدة للرحمة وللتكفل والرعاية والمحافظة الكاملة تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾^(٤).

والأسرة هي اللبنة الأولى لتكوين المجتمع لذا نرى القرآن وجه اهتمامه إلى هذا الجزء الحيوي في المجتمع وراح ينظم حياتها شيئاً فشيئاً فأول تنظيم لها هو إلزام الفرد بالتعايش في أسرة موحدة يسودها الودّ والاحترام والتعاون ، وألزم الآباء والأمهات العناية بالأطفال كما ألزم هؤلاء الأطفال احترام الوالدين وإطاعتهم والعناية بهما

١ - البلد : ١٧ .

٢ - العصر : ١ ، ٢ ، ٣ .

٣ - الضحى : ٩ .

٤ - البقرة : ٢١٥ .

قال تعالى : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾^(١).

ولما كانت المرأة جزءاً أساسياً في تكوين الأسرة فقد وجه القرآن الكريم اهتمامه نحو المرأة منذ طفولتها ومنحها حق الحياة فبدأ بتحريم وأدها قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾^(٢). فقضى على أكبر جريمة كانت ترتكب ضد المرأة ، ثم أمرها بالتعفف وحمل شرفها من القذف والافتراء قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾^(٤). ثم جعل القرآن الكريم الزواج حصناً للمرأة من كل زلة وجعل لها الرأي والاختيار قال تعالى : ﴿ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾^(٥). وتوالت الآيات القرآنية تمجد دور الأم قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ﴾^(٦).

وظل القرآن يتابع المرأة مرحلة بعد مرحلة فمنعها من إظهار زينتها إلا لزوجها وضرب عليها سترًا من الحجاب لقدسيتها فمنع الدخول عليها في أوقات خاصة فهي سيدة بيتها ولا يُدخل عليها إلا باستئذان قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتْ أَدْنَىٰكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ

١ - الإسراء : ٢٣ .

٢ - التكوين : ٨ ، ٩ .

٣ - النور : ٢٣ .

٤ - النور : ٣٣ .

٥ - المائدة : ٥ .

٦ - الاحقاف : ١١٢ .

العِشَاءُ ﴿١﴾. وليس المهر كما يعتقد بعض خصوم الإسلام ثمناً للمرأة إذ يجعلها كالسلعة تشتري بالثمن ولكنه في الحقيقة رمز يحفظ للمرأة كرامتها ويشير إلى حاجة الرجل إليها ، والمرأة في غير الإسلام تدفع لزوجها مبلغاً من المال وهذا نوع من العطاء تبذله المرأة لكي تتزوج فكأنها تشتري زواجها ، فأى تكريم للمرأة وهي تبدأ حياة مشتركة مع رجل هي وهو فيها على قدم المساواة ؟ بينما دفع الرجل لزوجته مهراً إنما هو إعلان منه بحاجته إلى زوجته وهو ما يحققه الإسلام للمرأة إذ يحتفظ بكرامتها وكبريائها لاسيما في أدق وأخطر ما تتعرض له المرأة في حياتها ألا وهو الزواج . والقرآن حينما أباح الطلاق وتعدد الزوجات لم يهدف إلى إسعاد الرجل على حساب المرأة كما يحلو لبعض خصوم الإسلام القول به ولكنه هدف إلى المحافظة على المجتمع الإسلامي بعضوية الرجل والمرأة .

فقد عالج أمر الزواج علاجاً يحفظ كرامة الزوجين وييسر لهما طريق الحياة إما معاً أو يبدأ كل منهما حياة زوجية جديدة لعل فيها العوض عما فقدوا فليس الطلاق بسبب كراهية لا دخل للمرأة فيها إذ يقول الله ﷻ : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢).

بل حتى المرأة إذا لم تطع زوجها أو انخرقت أو تمردت فإن الإسلام قرر علاجها بعيداً عن الطلاق قال تعالى : ﴿ وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيرًا ﴾ (٣).

١ - النور : ٥٨ .

٢ - النساء : ١٩ .

٣ - النساء : ٣٤ .

وإذا تعذرت الحياة الزوجية بين الزوج وزوجته بسبب الخلاف الشديد بينهما بحيث تفرقا وأصبح كل منهما شقاً لو حده ويصعب عليهما بذلك أو يلتقيا كأن يكون أحدهما عقيماً والثاني ولوداً أو مريضاً بمرض يمنعه من القيام بوظيفته والآخر سليماً طالب القرآن بأن يجتمع نفرٌ من أهل الزوج ونفر من أهل الزوجة ويستعرضا المشكلة فقد يُستطاع إصلاح ذات البين قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾^(١).

وإذا تعذر ذلك وكان لابد من الطلاق لأسباب اشد من هذه فإن القرآن الكريم محافظةً على الزوجية إلى أقصى حد ممكن جعل الطلاق ثلاث مرات يجوز في المرتين الأوليين منهما الرجوع عنه كما قال تعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾^(٢). وجعل عدة الطلاق ثلاثة اشهر لغير الحامل وطيلة فترة الحمل إن كانت حاملاً إلى أن تضع ، وذلك إفساحاً للوقت لعل الزوج يراجع نفسه في هذه المدة . وبهذا فإن الإسلام يهيئ من الأسباب ما يجعل الطلاق أمراً صعباً ووقت التروي فيه طويلاً .

وأما تعدد الزوجات فإن كان الإسلام قد أباحه بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾^(٣). فقد وضع له من القيود ما يجعل أمر التعدد متعذراً إذ تقول نفس الآية : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ .

١ - النساء : ٣٥ .

٢ - البقرة : ٢٢٩ .

٣ - النساء : ٣ .

فهل يمكن للإنسان أن يعد لاسيما وان الآية هنا عامة ولم تحدد جهة العدل
ثم تقرر الآيات فشل الإنسان في تحقيق العدالة بين الزوجات يقول تعالى : ﴿ وَلَنْ
تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ ﴾ (١).

ويبقى القرآن بجرأ زاحراً بالأسرار الربانية والمعاني الروحية العميقة والعلوم الدقيقة
ولا يمكن أدراك كُنْه أسرارهِ إلا من خصه الله تعالى بالعلم اللدني عناية منه ﷻ وقد
أدرك الكثير من غير المسلمين ممن كان لهم نظر ثاقب وعقل سديد عظمة القرآن
فقالوا فيه :-

• قال رينوت : يجب أن نعترف أن العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة
والرياضيات التي أنعشت أوروبا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن .

• وقال دافيد يود : القرآن دستور اجتماعي ، مدني ، تجاري ، حربي ،
قضائي وهو فوق كل ذلك قانون سماوي عظيم .

• وقال سنابس : أن القرآن هو القانون العام الذي لا يأتيه الباطل من بين
يديهِ ولا من خلفهِ فهو صالح لكل زمان فلو تمسك به المسلمون حقاً وعملوا
بموجب تعاليمه وأحكامه لأصبحوا سادة الأمم كما كانوا من قبل .

• وقال مراشي : من يتأمل آي القرآن يجد أن أساس الإسلام التوحيد وقطبيه
التآخي وتحسين شؤون العالم تدريجياً بواسطة العلم فهذه هي الأسباب الحقيقية
لظهور الإسلام .

• وقال السير وليم ميور : إن القرآن ممتلئ بالأدلة عن الكائنات المحسوسة
والدلائل المعقولة على وجه الله تعالى وانه الملك القدوس وأنه سيجزي المرء على
عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر وإن إتباع الفضائل واجتناب الرذائل فرض على
العالمين وإن الواجب على كل مكلف أن يعبد الله وهي علة سعادته .

• وقال الدكتور جرنيه : تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية التي درستها من صغري وفهمتها جيداً فوجدتها منطبقة كل الانطباق مع معارفنا الحديثة فأسلمت لأنني تيقنت أن مُحَمَّدًا ﷺ أتى بالحق الصريح من قبل ألف سنة من غير أن يكون له مدرس من البشر .

• وقال برناردشو : لابد أن تعتنق الإمبراطورية البريطانية النظم الإسلامي قبل نهاية هذا القرن ولو أن مُحَمَّدًا ﷺ بعث في هذا العصر وكانت له دكتاتورية على هذا العالم الحديث لنجح تماماً في حل جميع المشكلات العالمية وقاد العالم إلى السعادة والسلام .

• وقال الدكتور غوسطون كوسطا : وانك لتجد في كل موضع من القرآن آيات تحض على فعل الخير . وكما أوضح الإسلام رحمة المولى جل وعلا فقد نوه بأعمال المحبة التي هي ثمرة رحمة المرء وظهر شديد عنايته باليتيم وحماية الفقير والرضيع والمحروم وجعل الإخاء والمحبة ركنين للمجتمع الإسلامي وهذا لعمري تقدم باهر .

• وقال اللادي ايفلن كوبرلد : الواقع أن جمال القرآن وبديع أسلوبه أمر لا يستطيع له العالم وصفاً ولا تعريفاً لأنه صوت الهي يخرج من قلب صاحب الشريعة مُحَمَّد ﷺ بصورة آيات حتى انه يردد في كل الأصقاع ويرتل في كل بلد تشرق عليه الشمس .

• وقال المستشرق ون كز : كلما أكثرنا في مطالعة القرآن يزدادنا انجذاباً وتحيراً واحتراماً وتعظيماً له ذلك لان أغراضه سامية وأهدافه عالية ، وهو حاو لرتبة كريمة من الأيمان والصدقة وهذا الكتاب (القرآن الكريم) تجري قوانينه على عامة البشر يوماً واحداً ، لما فيه من القدرة العجيبة .

• وقال الكس لوازون : خَلَفَ مُحَمَّد ﷺ للعالم كتاباً هو آية البلاغة وسجل الأخلاق وهو كتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكثفة حديثاً أو

المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية ، فالانسجام تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية .

• وقال الأب لامنس : إن القرآن لم يدخل العرب في الإسلام فحسب ، بل ادخل مئات الملايين من مختلف الشعوب وان ظلاله ينبسط يوماً على أفريقيا وآسيا وغيرهما من القارات ، بينما المبشرون ينظرون ولا يستطيعون شيئاً .

• وقال لوماكس الأمير كاني : أول قبس يشع نوره من القرآن الكريم بسم الله الرحمن الرحيم ففي كلمة الرحمن يشعر المؤمن أن الله تعالى هو الإله الواحد الذي يسبغ على عبادة النعم في الحياة الدنيا والحياة الأخرى فمن هنا ترى حقيقة لا يدانيها الشك إن هذا هو النور الأعظم وهو نور الإله إنما هو الشفقة والرحمة .

• وقال المستر بسور زسميز : إن القرآن جامع القوانين ، موافق للآمال العمومي ، فهو كتاب مقدس يعظمونه ويحترمونه سدس من العالم البشري وهذا الكتاب يحتوي حكماً ومواعظ وعلومًا حقيقة وقوانين ثابتة . وهو الكتاب جاء به محمد ﷺ قبل ثلاث عشرة قرناً ، وأخذ يدعو الناس إلى التحدي بأعجازه وهو معجزة ثابتة ومعجزة جليلة حقيقة .

• وقال ليون : حسب القرآن جلاله ومجداً أن الأربعة عشر قرناً التي مرت عليه لم تستطع أن تخفف ولو بعض الشيء من أسلوبه الذي لا يزال غضاً كأن عهده بالوجود أمس .

• وقال الخطيب السياسي الإنكليزي آدمونديك : القانون المحمدي (القرآن) قانون ظابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه . وهو قانون ينسجم بحكم نظام قضائي وأعظم قضاء علمي ، تشريع منور ، ما وجد قط مثله في هذا العالم من قبل .

• وقال الدكتور لوراوكسيا واكليري : إننا نرى في القرآن كنوز ومخازن للعلم ، التي هي فوق استعداد وقابليات أذكى رجل ، وأكبر فيلسوف ، وأقوى رجل في السياسة .

• وقال جونسون : إن القرآن نافذ إلى صميم الفؤاد يحمل معنى عالياً أبدياً ستحمله جميع الأصوات في جميع الأمصار شاءت أم أبت وسيسمع صدهاء فوق القصور العالية والصحارى المقفرة والمدن والممالك والإمبراطوريات ، فأضاء نوره أولاً في القلوب المختارة لفتح العالم . ثم اخترق ظلمة أوروبا النصرانية الدامسة .

• وقال فون هامر : إننا نعتقد في القرآن انه اليوم بكل تأكيد كما نطق به محمد ، مثلما يعتقد المسلمون انه كلام الله .

• وقال المستشرق سيل : إن أسلوب القرآن جميل وفياض ، ومن العجب انه يأسر بأسلوبه أذهان المسيحيين ، فيجذبهم إلى تلاوته ، سواء في ذلك آمنوا به أم لم يؤمنوا به وعارضوه .

• وقال العالم رينورت : يجب أن نعترف بان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي انتعشت في أوروبا في القرن العاشر ، مقتبسة من القرآن ، بل أن أوروبا لمدينة للإسلام .

• وقال الكونت هنري دي كستري : لو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب .

• وقال اللورد جلادستون : ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق الأوسط ، ولا تكون هي نفسها في أمان .

خليفة الله في الأرض

عندما أوجد الله ﷻ الأرض وأراد بث الحياة فيها شاءت إرادته جل وعلا أن يستخلف فيها من يقيم حكمه فيها ، ومعنى آخر أن من أوجده الله على الأرض عليه أن يعمل ما يحبه الله ويترك ما لا يرضاه أي انه يكون خليفة الله في الأرض لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾^(١). والمقصود بالخليفة هو آدم عليه السلام كما يتضح من سياق الآية حيث لم يقل خلائف كما ورد في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٢). حينما خاطب نسل آدم عليه السلام فيما بعد : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾^(٣).

أن الملائكة المجهولين على الطاعة لا يلغي خضوعهم لله واعتراضهم بالسؤال طلباً للعلم من الله عن صفات هذا الخليفة لأنهم ظنوا انه سوف يفسد وحكموا عليه بغير علم فلما كان الجواب ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أطاعوا وخضعوا لأمر الله وسبحوه واستصغروا علمهم أمامه ﷻ بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾^(٤).

فما هي صفات هذا المخلوق ؟

القرآن الكريم ذكر عدة صفات للإنسان الذي هو نسل آدم عليه السلام فقال تعالى : ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾^(٥). وقال تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾^(٦).

١ - البقرة : ٣٠ .

٢ - فاطر : ٣٩ .

٣ - البقرة : ٣٠ .

٤ - البقرة : ٣٤ .

٥ - النساء : ٢٨ .

٦ - النحل : ٤ .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾^(١) .
 وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لَجْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً
 فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ﴾^(٢) .
 وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ
 كَفُوراً ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ﴾^(٤) .
 هذه بعض عيوب الإنسان التي وردت في القرآن الكريم . الضعف والخصومة ،
 كثرة المجادلة ، الغرور ، اليأس من رحمة الله ، والهلع وسرعة الجزع وقلة الصبر ، والآن
 إلى حسنات هذا الإنسان وهي كثيرة نختار منها :
 قال تعالى : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾^(٥) .
 وقال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴾^(٦) .

وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾^(٧) .
 تقرر الآيات القرآنية أن الإنسان مختص بالعلم دون غيره من بقية المخلوقات
 وهو شكور لله وهو صاحب هداية من الله وله عقل مدبر يرشده إلى الصواب .
 إن نظرة فاحصة إلى الآيات القرآنية توضح أن جنس الإنسان يُقسَّم من حيث
 السلوك إلى قسمين : الأول سيء يستحق العقاب والثاني صالح يستحق الثواب
 ويتضح من هذا أن طبيعة الإنسان مزدوجة فهو يختلف عن الملائكة لقابليته على

١ - الانفطار : ٦ .

٢ - يونس : ١٢ .

٣ - هود : ٩ .

٤ - المعارج : ١٩ ، ٢٠ .

٥ - العلق : ٥ .

٦ - سبأ : ١٣ .

٧ - الزمر : ١٨ .

الفسق والفجور ويختلف عن إبليس لقابليته على التقوى والخضوع قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ ﴾^(١).

فما هو سر دعوة الملائكة إلى السجود لآدم ؟

بغض النظر عن الحكمة الإلهية في هذا السجود نرى أن هذا الإنسان استحق تكريم الله لأنه بطبيعته قابل للتعرض للغواية والفجور وهو غير معصوم كالملائكة وإنما ركبت فيه شهوات يصعب التغلب عليها ، فعندما يتجه هذا الإنسان نحو الخير والطاعة يكون قد عمل هذا من ذات نفسه لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾^(٢). وهو أمر يختلف عن الملائكة الذين هم مسخرون للطاعة وليس أمامهم خيار آخر ، لذلك تميز الإنسان الصالح عن الملائكة بأنه مخير واختار الطاعة وغير معصوم وابتعد عن الفجور وبذلك فقد استحق تكريم الله له ، فالإنسان تحمل مسؤولية تعمير الأرض وخوض الصراع بين الخير والشر وهو وسيلة الله في تحدي إبليس اللعين قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾^(٣). وهذا هو الابتلاء والأمانة التي تحملها الإنسان في حياته الدنيا ، أمانة تعمير الأرض ونشر الخير فيها وعدم الفساد مع القدرة على ذلك والصمود أمام جيش إبليس وغوايته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^(٤).

١ - الشمس : ٧ ، ٨ .

٢ - الإنسان : ٣ .

٣ - الحجر : ٤٢ .

٤ - الأحزاب : ٧٢ .

واستخلف آدم عليه السلام في الأرض وتحمل نسله ما تحمله من الأمانات والمسؤوليات وتواتر انتقالها في نسله آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر ، مقيمين حدود الله حافظين لها إلى أن ظهر النور الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله المشهود له بالكمال فكان الخليفة الأعظم لله تعالى في أرضه : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾^(١).

وفي حجة الوداع أودع الرسول صلى الله عليه وآله الولاية عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وعقدها لها وأوصى بالتزام طاعته فقال صلى الله عليه وآله : ﴿ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ ﴾ ، وبذلك أصبح سيدنا علي عليه السلام خليفة خليفة الله في الأرض وانتقلت الولاية والخلافة بين أولاده وأحفاده من بعده لأنهم مطهرون بسابق عناية من الله تعالى في قوله جل وعلا : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(٢).

وفي هذا المجال قال الشاعر متحدثاً عن الإمام علي عليه السلام :
 فيه فخرُ الملوكِ قد قال قولاً هو مولى لمن أنا مولاه
 أهل بيتٍ قد صرح النصُّ فيهم قائلاً (إنما يريد الله)
 فهم عباد الله المتقون له حق تقاته الداعون إليه السائرون على نهج
 جدهم صلى الله عليه وآله .

وقد وضع ابن عربي خلافة الله في الأرض وجعل لمن يستحقها شرط تكوينه على صورتين : يقول ابن عربي : « وإنما كانت الخلافة لآدم عليه السلام دون غيره من أجناس العالم لكون الله تعالى خلقه على صورته »^(٣) ، ويقول : « فلما أراد كمال

١ - المائدة : ١٥ .

٢ - الأحزاب : ٣٣ .

٣ - الشيخ ابن عربي - الفتوحات المكية ج ١ ص ٢٦٣ .

منزلة آل البيت عليهم السلام

إن أول وأفضل ما يبتدأ به الحديث عن آل البيت النبوي الشريف هو سرد الآيات القرآنية الكريمة التي نزلت في حقهم فقد قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١).

إن هذه الآية الكريمة تقرر بشكل واضح تطهير الله ﷺ لآل البيت النبوي الشريف وعصمتهم طهارة دائمية وعصمة ربانية مستمرة مع تعاقب الأجيال ، وأهل البيت الذين عنتهم الآية الكريمة هم أولاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأحفاده وما نزل إلى يوم القيامة بدليل آية المباهلة : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾^(٢).

حيث أرسل الرسول ﷺ إلى فاطمة وعلي عليهما السلام وجمع معهما الحسن والحسين وذهب لبياهل النصارى ولم يدخل أحداً من أزواجه أو أعمامه معهم فتبين إن أهل البيت هم علي وفاطمة عليهما السلام وأولادهما وأحفادهما نزولاً .

ومحبتهم فرض في كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ فقد قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾^(٣).

روي إنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم قال : ﴿ علي وفاطمة وابناهما ﴾ وهذا تصريح واضح وتوصية من الله ﷻ بمحبة أهل البيت النبوي الشريف .

وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام : ﴿ حبك أيمان وبغضك نفاق وأول ما يدخل الجنة محبُّك وأول ما يدخل النار مبغضُك ﴾ .

١ - الاحزاب : ٣٣ .

٢ - آل عمران : ٦١ .

٣ - الشورى : ٢٣ .

وقال ﷺ : ﴿ فاطمة بضعة مني يرضيني ما يرضيها ويسخطني ما يسخطها ﴾ .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ من أحب علياً قبل الله عنه صلاته وصيامه وقيامه ومن أحب آل محمد آمن من الحساب والميزان والصراط ألا ومن تاب على حب آل محمد فأنا كفيله بالجنة ألا ومن ابغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ﴾ .

وعن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ من زعم انه آمن بي وبما جئت وهو يبغض علياً فهو كاذب وليس بمؤمن ﴾ .
وقال رسول الله ﷺ : ﴿ من أحب أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ، ويعتصم بحبل الله المتين فليوالِ علياً وليعادِ عدوه ﴾ .

ومن منزلة آل البيت عند الله تعالى

• ما روي عن عبد الله بن عباس قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبلت فاطمة عليها السلام تبكي فقال لها رسول الله ﷺ : ﴿ ما يبكيك ؟ ﴾ قالت : يا رسول إن الحسن والحسين خرجا فوالله ما أدري أين سلكا فقال النبي ﷺ : ﴿ إن الله جلا وعلا خلقهما وهو أرحم بهما ، اللهم إن كانا أخذنا في برٍ فأحفظهما وإن كانا أخذنا في بحرٍ فسلمهما ﴾ فهبط جبريل عليه السلام فقال : يا رسول الله لا تغتم ولا تحزن هما فاضلان في الدنيا فاضلان في الآخرة وهما في حضيرة بني النجار نائمين وقد وكل الله بهما ملكاً يحفظهما قال ابن عباس فقام رسول الله ﷺ وقمنا معه حتى آتينا حضيرة بني النجار فإذا الحسن معانق الحسين وإذا الملك قد غطاهما بأحد جناحيه .

• واخرج الإمام أحمد في مسنده عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ :

﴿ إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله ﷻ حبل ممدود بين السماء والأرض . أو ما بين السماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ﴾ .

• وعن أبي بكر رضي الله عنه فيما أخرجه البخاري قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ يا أيها الناس ارقبوا محمدًا في أهل بيته ﴾ .

• واخرج الطبراني في المعجم الكبير وابن عساكر والحاكم في المستدرک عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : ﴿ أيها الناس إلا أخبركم بخير الناس جداً وجدة ، إلا أخبركم بخير الناس عملاً وعممة ، إلا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة ، إلا أخبركم بخير الناس أباً وأماً ، الحسن والحسين جدهما رسول الله ﷺ وجدتهما خديجة بنت خويلد وأمهما فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأبوهما علي بن أبي طالب

وعمهما جعفر بن أبي طالب وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب وخالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب ورقية وأم كلثوم بنات رسول الله ، وجدتهما في الجنة وأبوهما في الجنة وأمهما في الجنة وعمهما في الجنة وخالهما في الجنة وخالتهما في الجنة وهما في الجنة ومن أحبهما في الجنة ﴿ .

• ومما أخرجه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال : ﴿ الحسن والحسين أبنائي من أحبهما أحبته ومن أحبته أحبه الله ومن أحبه الله ادخله جنات النعيم ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله ومن أبغضه الله ادخله نار جهنم وله عذاب مقيم ﴾ .

• وأخرج الشعبي بسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : إن النبي صلی الله علیه وسلم ، جلّ حسناً وحسيناً وفاطمة بكساء ثم قال : ﴿ اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ﴾ .

• وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : ﴿ إن لكل بني أب عصة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم وهم عترتي من طينتي ، ويل للمكذبين . بفضلهم من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله ﴾ .

• وأورد ابن حجر في الصواعق المحرقة مرفوعاً إلى النبي صلی الله علیه وسلم أنه قال : ﴿ ألا من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى ﴾ .

• وقال صلی الله علیه وسلم : ﴿ والذي نفسه بيده لا يؤمن عبد بي حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي ﴾ .

• وعن كعب بن عجرة لما نزلت الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ^(١) .

قلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك
فقال : ﴿ قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ 〉 . وعن النبي ﷺ انه
قال : ﴿ لَا تَصَلُّوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ الْبَتَاءَ 〉 فقالوا وما الصلاة البتاء قال :
﴿ تَقُولُونَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَتَمْسُكُونَ بِلِ قَوْلُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِ مُحَمَّدٍ 〉 .

• وذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة أن الفخر الرازي قال : إن أهل بيت
الرسول ﷺ يساوونه في خمسة أشياء :

- في السلم : كما في قولنا في الصلاة (السلام عليك أيها النبي) .
- وفي الصلاة عليه وعليهم في التشهد .
- وفي الطهارة : قال تعالى ﴿ طه 〉 أي يا طاهر : ﴿ وَيَطْهَرُكُمْ تَطْهِيرًا 〉 .
ففي تحريم الصدقة .

- في المحبة : قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ 〉^(١) .
وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى 〉^(٢) .

• وقال أبو سعيد الخدري إن النبي ﷺ قال في شرح الآية ﴿ وَقَفُّوهُمْ إِنْهُمْ
مَسْئُولُونَ 〉 إنها ولاية أهل البيت والمعنى أنهم يسألون هل وألؤهم حق الولاية
والموالة كما أوصاهم النبي ﷺ أم أضاءوها وأهملوها .

- وفي رواية الطبراني وأبي الشيخ عن الرسول ﷺ أنه قال : ﴿ إِنْ لَمْ يَحْفَظْ
ثَلَاثَ حُرْمَاتٍ فَمَنْ حَفَظَهُنَّ حَفِظَ اللَّهُ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْهُنَّ لَمْ يَحْفَظْ
دُنْيَاهُ وَلَا آخِرَتَهُ فَقِيلَ مَا هُنَّ ؟ قَالَ حُرْمَةُ الْإِسْلَامِ وَحُرْمَتِي وَحُرْمَةُ رَحْمِي 〉 .

١ - آل عمران : ٣١ .

٢ - الشورى : ٢٣ .

• واخرج ابن سعد عن الرسول ﷺ أنه قال : ﴿ استوصوا بأهل بيتي خيراً فأني أخاصمكم عنهم غداً ومن أكن خصمه أخصمه ومن أخصمه دخل النار ﴾ .

وأنه قال ﷺ : ﴿ من حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهداً ﴾ .
وقال ﷺ : -

- ألا ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً .
- ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له .
- ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً .
- ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان .
- ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير .

- ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها

- ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة .
 - ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة .
 - ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة .
- وذكر ابن خالويه اللغوي في كتاب الآل عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ الحسن والحسين سيदा شباب أهل الجنة من أحبهما أحبني ومن أبغضهما أبغضني ﴾ .

وحب آل بيت النبي فرض عين على كل مسلم آمن بالله ورسالة نبيه محمد ﷺ ولا ينكر هذا الحب إلا جاحدٌ بفضل أهل البيت أو منكر متجاهل . وهذا الإمام الفاضل الشافعي يظهر حبه وولاءه لأهل بيت النبي الطاهرين في قوله :

يا أهل بيت رسول الله حبيكم
كفاكم من عظيم الفخر أنكم
فرض من الله في القرآن أنزلهُ
من لم يصل عليكم لا صلاة لَهُ

• وقال ابن عربي في فضل ومنزلة آل البيت النبوي الشريف : (فإننا إذا نزلنا عن طلب حقوقنا وعفونا عنهم في ذلك أي فيما أصابوه مِنّا كانت لنا بذلك عند الله اليد العظمى والمكانة الزلفى فإن النبي ﷺ ما طلب منا من أمر الله إلا المودة في القربى وفيه سر صلة الرحم ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما سأله فيه مما هو قادر عليه بأي وجه يلقاه غداً أو يرجو شفاعته وهو لم يشفع نبيه ﷺ فيما طلب منه من المودة في قرابته) .

وقال أيضاً : فلو صحت محبتك لله ورسوله أحببت أهل بيت الرسول ﷺ ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك مما لا يوافق طبعك ولا غرضك أنه جمال تنعم بوقوعه منهم فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند الله الذي أحببتهم من أجله حيث ذكرك من تحبه وخطرت على باله وهم أهل بيت رسول الله : فتشكر الله تعالى على هذه النعمة لأنهم ذكرك بالسنة طاهرة بتطهير الله طاهرة لم يبلغها علمك ، فلو كشف لك عن منازلهم عند الله في الآخرة لوددت أن تكون مولى من مواليتهم ، ولا يظهر هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة فأنهم يحشرون مغفوراً لهم ، فينبغي لكل مسلم مؤمن بما أنزله الله تعالى ويصدق بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ^(١) . أن يعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت أن الله قد عفى عنهم فيه فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة بمن شهد الله بتطهيرهم وذهاب الرجس عنهم لا بعمل عملوه ولا بخير قدموه بل يسابق عناية من الله بهم : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(٢) .

١ - الأحزاب : ٣٣ .

٢ - المائدة : ٥٤ .

الحسين الرمز عليه السلام

هناك في أعلى مراتب الوجود وفي أعماق تاريخ الإنسانية سبراً وغوراً أولاً
وآخرأ رمزٌ من الرموز عجزت عقول البشرية بمفكرها وعلمائها وعظمائها وناغيها
جميعاً عن إدراك كُنه حقيقته التي تجلت عظمة رائعة في تضحيته وفدائه بذاته في
سبيل الحق والشهادة والحرية ، ذلك الرمز الخالد الذي أتخذ المجد أعلى مثل له
والشموخ والعلو مناراً اهتدى به ونبراساً ينير الدرب للمحبين العاشقين لجلال
الشهادة وقديستها .

إن ذلك الطور الشامخ والرمز الخالد والإنسان الكامل أتقى الأتقياء وأوفى
الأوفياء وأعظم العظماء وأنبل الشرفاء الذي وقف وقفته القوية الصابرة الحامدة
الراضية شامخاً شموخ الأبطال أيباً إباء الحق أمام الباطل في أرض كربلاء التي تشرفت
وتبركت بمقدم هذا التقي النقي الذي هو علم من أعلام الهدى وعلم العالم
والإنسانية جمعاء معنى الحرية ومعنى الشهامة والنخوة والرجولة ومعنى العظمة التي
وقفت دونها ذليلة كل العظماات ليحقق معنى الحق والعدل الإلهي بأعلى صورته
وبوجه أطغى الطغاة وافسد الفاسدين في الأرض ، ذلك هو رمز الرموز الشامخ
الذي خضع لهيبته وعظمته جبين التاريخ فهو سر أسرار هذا الوجود وسيد الأبرار
الحسين السبط الشهيد الذي كان ربحانة رسول الله ﷺ وأحب الناس إليه . ونال
بذلك من المراتب ما لم ينله أحد من الشهداء من الأولين والآخرين .

إن شخصيةً تحلت بهذه المثل العليا وهذه الخصال والفضائل الحسنة وهو نجل
سيد المخلوقات وأكرم الأكرمين ﷺ لا يرد لها حقها في إقامة المآتم ومجالس العزاء
وإنشاد أبيات الرثاء المثيرة للبكاء والعيول والنحيب وإنما بالسير على نهجه وهداه
وإتباع طريقه في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل وإحياء مآثره وفضائله واستنباط

الدروس والعبر من مسيرة حياته المفعممة بالجهاد والإشادة بمواقفه الحقة وحملاته وصولاته الجريئة على جموع الأعداء في ساحة الوغى .

لماذا الحسين عليه السلام في كربلاء

لما كان جده ﷺ قد بُعث رحمة للعالمين ونشر كلمة الله عالية في ربوع الأرض جميعاً ضمن المبادئ الإسلامية العظيمة التي جاء بها القرآن الكريم وتحقيقاً لرفع الظلم والجور والفساد الذي عمّ الأمة الإسلامية نتيجةً لتغير المفاهيم الإسلامية الحقيقية وإحياء مجد جده ﷺ في إعادة الحق إلى أهله وتطبيق المبادئ الإسلامية الحنيفة لبى الحسين عليه السلام نداء الحق وتوجه من فوره نحو كربلاء ليحارب أهل الظلم والظلال ويعيد الحق ويدفع الباطل وبذلك تحققت المرحلة الثانية من مسيرة الرسالة الإسلامية وهي مرحلة سيدنا الحسين عليه السلام وجهاده في سبيل نشر العدل بعد إن كانت قد مرت بمراحلها الأولى في عهد سيدنا محمد ﷺ وجهاده ضد ظلم وطغيان الجاهلية .

الحسين عليه السلام رمز الحرية

لم يكن الحسين عليه السلام ثائراً مطالباً بإعادة الخلافة من مغتصبيها وحسب وإنما كانت مسيرته لتحطيم قيود الظلم والاستبداد وليفتح أبواب الخير والنور والسلام وإشعال شعلة الحرية ويكون قدوةً لعشاق التحرر في العالم ، وما كان استشهاد الحسين عليه السلام وتضحيته مع نفرٍ من أهله الطاهرين إلا بمشيئة الله تعالى وقدره حيث شاءت القدرة الإلهية أن تمنح الحسين عليه السلام أعلى وأسمى مراتب القرب من الحضرة الإلهية وذلك ليحظى بشرف الشهادة في سبيل الحق والعدل .

إن الحسين عليه السلام بما أوتي من القوة الروحية الإلهية كان بمقدوره أن يبيد تلك الجموع الضالة بمهمة ولايته المستمدة من أنوار جده المصطفى صلى الله عليه وآله ولكنه رضي بما قدر الله له ﷺ لينال الخلود في الدنيا والآخرة ويكون رمزاً للجهاد في سبيل الحق : ﴿ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾^(١).

فأصبح الحسين عليه السلام بما قدمه من عصارة روحه الطيبة المباركة لمقارعة الظلم والطغيان الذي لا تكاد البشرية تخلو منه يوماً من الأيام . فأصبح بذلك العمل العظيم مصباحاً مضيئاً وشعلةً وهاجّةً يزداد نورها مشعشعاً هنا وهناك مُنبئاً الأجيال بعد الأجيال بأن الخلود والمجد لا تُبلَغ ذروتها إلا بالجهاد والمثابرة والمصابرة على طريق الحق ولأجل رفعة كلمة الله على قوى البغي والضلال وقوى الشر التي لا يمكن استئصال جذورها إلا بالمواقف البطولية المشهوددة والممتزجة بالقوى الروحية الهائلة والأيمان العميق الذي يطهر الأرض لوارثيها ويحفر القبور العميقة لأشرارها وباعثي الفساد فيها .

فهنيئاً لبُضعة رسول الله ﷺ وهنيئاً لوارثه الروحي بما حققه وناله من ذروة المجد في عالم الشهود والحق .

الباب الثاني

* الطريقة وتاريخها

* حقيقة الطريقة

* الطريقة والشريعة

* الطريق والمجتمع

* الطريقة والنفس

– الروح والنفس

– النفس والجسد

– منازل النفس في الطريقة

* الإمام علي عليه السلام

– الإمام علي إمام أهل الطريقة

– مناقبه عليه السلام

– منزلته العلمية

– ما قاله الإمام عليه السلام من الحكم

– ما قيل في حق الإمام علي عليه السلام

– كراماته عليه السلام

* الخلود في الطريقة

* المرأة في الطريقة

* البيعة

– البيعة في القرآن الكريم

– البيعة في السنة النبوية

– البيعة والعهد في الطريقة الكسنزانية

القلوب أوعية فخيرها أوعاها ،
والناس على ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل
ناعم ميلون مع كل مرج

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

الطريقة وتأريخها

نقصد بكلمة الطريقة طريق القرآن الكريم ونهج الرسول ﷺ وأهل بيته وأصحابه الكرام ، أي الطريق المستقيم الذي ذكره الله تعالى في سورة فاتحة الكتاب : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾^(١). أي طريق الحق والهداية طريق الله الذي نَعِمَ وفاز في الدنيا والآخرة من استقام عليه : ﴿ وَأَلِّوْا اسْتِقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾^(٢).

ويتساءل البعض في عدم انتشار الدعوة إلى الطريقة في صدر الإسلام وعدم ظهورها إلا بعد عهد الصحابة والتابعين والجواب لأنهم لم يكونوا في حاجة إليها وذلك لأن أهل ذلك العصر كانوا متصوفين أصلاً وأهل ورع وتقوى ومجاهدة وكانوا قرب رسول الله ﷺ يتبارون في الإقتداء به في كل أعماله وحركاته : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾^(٣). كما أن أول مدرسة نشأت في المدينة المنورة وظهر فيها زهاد كثيرون منذ وقت مبكر تمسكوا بالقرآن وجعلوا الرسول ﷺ قدوتهم في زهدهم وظلوا كذلك حتى أصبح الإمام علي عليه السلام الإمام الثاني في الطريقة بعد الرسول ﷺ لكون سيدنا علي عليه السلام من اقرب الناس لرسول الله ﷺ وأحبهم إليه وموضع سره وثقته وقال في حقه ما يعظم شأنه فوق كل ذي شأن فقال في موضع غدير خم : ﴿ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ ﴾ ، فالأحاديث النبوية هذه أكدت عظمة علي وولايته فهو إمام الطريقة وبابها عملاً بقول الرسول ﷺ : ﴿ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا ﴾ ، وكان له تلاميذ من أصحاب الطريقة والصفاء والورع وهم من الصحابة ومن هؤلاء أبو ذر الغفاري المتوفي سنة (٢٢ هـ) وأبو عبيدة ابن الجراح المتوفي سنة (١٨ هـ)

١ - الفاتحة : ٧ ، ٨ .

٢ - الجن : ١٦ .

٣ - الأحزاب : ٢١ .

وسلمان الفارسي المتوفي سنة (٢٦ هـ) ومن التابعين سعيد بن المسيب المتوفي سنة (٩١ هـ) وسالم بن عبد الله المتوفي سنة (١٠٦ هـ) . وتعد مدرسة المدينة المنورة من كبرى المدارس للطريقة والتصوف الإسلامي وتليها مدرسة البصرة وكان شيخ هذه المدرسة الإمام الزاهد الحسن البصري المتوفي سنة (١١٠ هـ) وهو من واضعي دعائم الطريقة البيعة (العهد) من سيدنا الإمام علي عليه السلام وأتم مدرسته على نهجه ومن ثم تابعت الطريقة وانتقلت من شيخ إلى شيخ حتى وصل إلى عصر سلطان الأولياء والباز الأشهب الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله فأنشأ مدرسة كانت الوحيدة في عصره والتي كان المئات من محبي الطريقة وعلومها وأصحاب الزهد والورع والحقيقة يتوجهون إليها لينهلوا من مناهلها ، علوم الطريقة والشرعية والتصوف وذاعت شهرتها حتى اهتدى بها الكثير إلى طريق الحق والإيمان وكانت خير مدرسة يعرض فيها سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني أفواجاً من الناس والسالكين يفدون إليها لسماع الوعظ وكانت هذه المدرسة وشيخها سبباً في هداية كثير من الضالين إلى طريق الحق وأصبحوا سالكين على نهج طريقته حيث أن كثيراً من المدن والبلدان فتحت في عهده ودخلوا في دين الله أفواجا .

وبعد ذلك لاحت في الأفق أنوار ساطعة تجسدت في شخصية عظيمة وهي شخصية الشيخ عبد الكريم شاه الكسنزان رحمته الله الذي أنار الآفاق بوجوده وأشرقت الأرض بنوره المستمد من نور جده المصطفى صلوات الله عليه محمد صلوات الله عليه الذي أصبح علماً من أعلام الطريقة والهدى ومناراً اهتدت به جموع من شتى أبقاع الأرض ومن بينهم الملوك والأمراء وكثير من العظماء كانوا يلقون بأنفسهم على عتبة بابه راجين نظرته ، وكانت كل هذه القدرات والمواهب الروحية هي امتداد ووصل وإحياء لماثر جده المصطفى صلوات الله عليه حيث تجلت في مدرسته (المدرسة الكسنزانية) التي أحييت الدين الإسلامي ومبادئه السامية بجهاده وإرشاده المتواصل وسلوكه لقّب بـ (محيي الدين) بعد الشيخ عبد القادر الكيلاني وبلغت منزلته منزلة لم يبلغها أحد .

وقد أنجبت المدرسة الكسنزانية رجالاً مؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأصبحوا دعاةً للطريقة وهداية الناس إلى طريق الخير والمحبة فكانوا خير من يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ويتبعون سبيل الرشاد . وان ما ذكرناه أنفاً من تاريخ الطريقة يؤكدُه قول الحافظ السيد مُحَمَّدُ صديق الغماري رحمه الله عندما سئل عن أول من أسس الطريقة (التصوف) وهل بوحى سماوي ؟ فأجاب : أما أول من أسس الطريقة فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي ، إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي مُحَمَّدٌ ﷺ بعد ما بيّنها واحداً واحداً ديناً بقوله : ﴿ هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم ﴾^(١). وهو الإسلام والأيمان والإحسان .

فالإسلام إطاعة وعبادة ، والأيمان نور وعقيدة ، والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة : ﴿ أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾ ، ثم قال السيد مُحَمَّدُ صديق الغماري في رسالته تلك : « فإنه - كما في الحديث - عبارة عن الأركان فمن أخلّ بهذا المقام (الإحسان) الذي هو الطريقة فدينُه ناقص بلا شك لتركه ركناً من أركانه فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والأيمان »^(٢).

وقال القشيري : « اعلّموا بأن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسمّ أفاضلهم في عصورهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول ﷺ إذ لا أفضلية فوقها فقليل لهم الصحابة ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقليل لخواص الناس - من لهم شدة عناية بأمر الدين - الزهاد والعُباد ثم ظهرت البدعة وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهاداً فأنفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله ﷻ الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف »^(٣).

١ - جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن عمر بن الخطاب ؓ .

٢ - مُحَمَّدُ صديق الغماري - الانتصار لطريق الصوفية ص ٦ .

٣ - حاجي خليفة - كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ج ١ ص ٤١٤ .

إن هذه الأدلة تؤكد على وجود الطريقة بمعناها الروحي في صدور الإسلام - في عهد الرسول ﷺ - ولم تظهر باسم التصوف لأنهم كانوا جميعاً بصفة واحدة ، وبعد نكبة أهل بيت رسول الله ﷺ وتغير نظام الخلافة الإسلامية أئجه الناس إلى الابتعاد عن التعاليم الإسلامية وجوهرها بين طامع في المال وخائف على نفسه فتأخرت الأعمال وتنافس الناس في الدنيا وحييت النفوس بعد موتها فتأخرت بذلك أنوار القلوب ووقع ما وقع في الدين وكادت الحقائق تنقلب ولم يزل ذلك إلى أن حصل وجوب التصدي لذلك التداعي والانحلال لحفظ قواعد وأصول الطريقة وفيما يأتي الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد أزلية الطريقة :

• الحديث الأول : اخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال أن الله تعالى قال : ﴿ من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني أعطيته وان استعاذ بي أعذته ﴾^(١). صدق رسول الله ﷺ .

• الحديث الثاني : اخرج أبو نعيم في الحلية عن طريق طاووس عن أبي عباس رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى : ﴿ إنما أتقبل الصلاة من تواضع بها لعظمتي ولم يتعظم على خلقي وكف نفسه عن الشهوات ابتغاء مرضاتي فقطع نهاره في ذكري ولم يبت مصراً على خطيئته ، يطعم الجائع ويكسو العاري ويرحم الضعيف ويؤوي الغريب فذاك الذي يضيء وجهه نور الشمس يدعوني فألبي ويسألني فأعطي ويقسم عليّ فأبتر قسمه اجعل من الجهالة علماً وفي الظلمة نوراً أكلاه بقوتي واستحفظه ملائكتي ﴾ .

١ - الحديث رواه البخاري ومتفق عليه .

• الحديث الثالث : اخرج البزاز والبيهقي في الشعب عن ابن انس رضي الله عنه أن رسول الله صلی الله علیه وسلم لقي رجلاً يقال له حارثة فقال : ﴿ كيف أصبحت يا حارثة ﴾ ، قال أصبحت مؤمناً حقاً فقال صلی الله علیه وسلم : ﴿ إن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك ﴾ فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي وأظمأت نھاري وكأني انظر إلى عرش ربي وكأني انظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني اسمع عواء أهل النار فقال صلی الله علیه وسلم : ﴿ عرفت فالزم ﴾ .

• الحديث الرابع : اخرج الترمذي وحسنه عن شداد بن اوس قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : ﴿ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ﴾^(١) . [الكيس : العاقل] [من دان نفسه : من حاسبها] .

• الحديث الخامس : اخرج أبو الشيخ وابن حبان والبيهقي عن عمران بن الحصين قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : ﴿ من انقطع إلى الله ﷻ كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها ﴾^(٢) .

• الحديث السادس : اخرج الشيخان عن أبي هريرة في حديث سؤال جبريل عن الإحسان قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : ﴿ الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴾^(٣) .

• الحديث السابع : اخرج الحاكم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : ﴿ أحبوا الفقراء وجالسوهم ﴾^(٤) .

ولو أردنا جمع جميع ما يتعلق بطريق الصوفية لطال بنا الكتاب ولنكتف بما أوردنا وفيه كفاية أن شاء الله من الدلالة على صحة أهل الطريقة .

١ - رواه مسلم .

٢ - رواه مسلم .

٣ - رواه مسلم .

٤ - في المستدرک .

ففي الحديث الأول بيان مبدأ نهج الطريقة ونهايته وذلك لان سالكي هذا النهج يبدؤون بالمجاهدة ولا يزالون يجاهدون أنفسهم ويجتهدون في تطهير قلوبهم من كل ما يباعد عن الله وتزيينها بكل ما يقرب إليه من الأموال والأقوال والأعمال ولزوم الإقبال والمشول بين يديه في كل وقت من الأوقات وحال من الأحوال على حسب الامكان حتى يصلوا إلى مقام الفناء ، والواصل إلى مقام الفناء هو المحبوب الملحوظ والمربوب المحفوظ .

وفي الحديث الثاني تنويه عظيم بقدر أهل الطريقة وذلك لان الخصال التي ذكرت فيه كلها من الأخلاق التي يتخلق بها أهل الطريقة ويحثون على التخلق بها .
وفي الحديث الثالث بيان مبدأ أهل الطريقة ونهايته فأن حارثة رضي الله عنه .
اخر انه جاهد نفسه بالقيام والصيام والتجافي عن دار الغرور حتى من الله عليه بالوصول إلى عين اليقين .

وفي الحديث الرابع تنويه بقدر كل سالك صادق وذلك لأن من أخلاق أهل الطريقة محاسبة النفس وتعمير كل وقت بما يليق ، قال الشافعي رضي الله عنه صَحِبْتُ الصوفية واستفدت منهم ثلاث كلمات : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، نفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر ، الندم عصمة .
وفي الحديث الخامس الحث على التخلق بأخلاق أهل الطريقة إذ هم المنقطعون إلى ربهم المتخلقون بأخلاق نبيهم صلى الله عليه وآله .

وفي الحديث السادس فيه إشارة جامعة لمنهج أهل الطريقة لان أصل هذه الطريقة كمال المعرفة ودوام المراقبة للحق سبحانه في الحركات والسكنات .
وفي الحديث السابع الحث على صحبة الصوفية ومجالستهم . إذ الفقير الكامل هو الصوفي الصادق لأن الصوفي الصادق يتلذذ بفقره ويشهد فيه المنّة لربه ويحمده عليه كما يحمده الغير على الغنى .

مما تقدم من الأحاديث الشريفة ودلالاتها تبين لنا أن الطريقة هي روح الإسلام
وُلُبه وأساسه وأن كان اسمها ظهر فيما بعد فذلك لا يعني إنها ظهرت متأخرة ،
وقال ابن خلدون في مقدمته :

« إن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين
ومَن بعدهم طريقة الحق والهداية ، وأهل العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله
تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذةٍ
ومالٍ وجاهٍ والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاماً في الصحابة
والسلف ، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وضجَّ الناس إلى
مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة »(١). أي أهل
الطريقة .

من ذلك يتبين إن إطلاق اسم معين أو حالةٍ كالطريقة ليس كإطلاق اسمٍ
معين على مولود جديد من بني آدم بل يمر ذلك الإطلاق بتطورات تبعاً لتطور
ذلك المفهوم كما هو الحال في مصطلح (القُرَّاء والفقهاء والمحدثين) ذلك إن أناساً
ظهروا فاختصوا بقراءة القرآن الكريم من الرعيل الأول فَسُمُوا بالقراء وظهرت جماعة
تعني بالحديث فسميت بالمحدثين وتكونت جماعة تعني ببيان الرأي والفتوى في
الأحكام الشرعية سُميت بالفقهاء ثم اعترت هذه المصطلحات تطورات معروفة في
الدلالة على معانيها كما هو الحال في المستحدثات الجديدة كالميكانيكي
والكهربائي وغيرها من التسميات ، وكذلك أطلق اسم المريد أو الصوفي على المرء
الذي اعتزل مباهج الدنيا والحياة ، وتوجه بقلب خاشع ولسان ذاكر وأدب جمٍّ إلى
محراب العبادة قائم الليل صائم النهار يتغني رضوان الله وحده ، جمع بين طهارة
الجوارح وزكاة النفس وكان ممن وقفوا موقف الاستجابة للأمر الإلهي :

﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾^(١). ويواظب على ذكر لا اله إلا الله ، أو ذكر الله الله مع حضور القلب ، فالرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم حامل راية الإسلام ، كان التصوف ديدنه قبل البعثة فما ورد عنه في اعتزال الناس وانقطاعه إلى الله تعالى في غار (حراء) قبل البعثة لا اختلاف فيه .

ومما تجدر به الإشارة ذهاب البعض إلى الفلسفة مصدر للطريقة وأساس لها وهذا غير صائب لاختلاف الطريق والمنح لكل منها ، وللمعنى ذاته لا يجوز اعتبار التصوف الهندي أو الصيني من المؤثرات التي تأثرت بها الطريقة ، ذلك لأن نهج أهل الطريقة (أصيل نابع من الكتاب والسنة) .

إن حقائق الفلسفة اليونانية وأخبار حكماء الهند والصين وفارس نُقلت إلى العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين حيث تُرجمت كتب الفلسفة اليونانية إلى العربية في عهد هارون الرشيد (٧٦٦ - ٨٠٩ م) وفي عهد الخليفة المأمون (٧٨٦ - ٨٣٣ م) فلا الفلسفة اليونانية القديمة ولا الفلسفة الجديدة لأفلوطين المشهورة (بفلسفة الاسكندراني) أو فلسفة افلوطين الجديدة المنسوبة إلى أفلوطين (٢٠٣ - ٢٧٠ م) بذات أثر في التصوف الإسلامي ، ويبدو أن السبب الذي دفع المستشرقين إلى هذا الوهم ، هو وجود بعض التشابه في منطلقات بعض من رجال الطريقة ورجال الفلسفة لاسيما في نطاق فلسفة أفلوطين ، وهو في الحقيقة استقراء ناقص لا يُحتج به ، وأنَّ الحُكم بمقتضى التشابه يتطلب في الأقل مقارنة علمية بين عددٍ من الفلاسفة وعددٍ من كبار مشايخ الطريقة (يكون الحد الأدنى للرؤية المشتركة) يجري فيها التحليل الفكري بشكل موضوعي لأرائهم في الفلسفة والطريقة دون الركون إلى بعض المواقف أو الأقوال النادرة لبعض المشايخ ليس إلا .

والحقيقة إنَّ أهداف الطريقة وغايتها لا تلتقي مع أهداف الفلسفة وغايتها ، ذلك أن الإسلام هو أساس الطريقة ، وغايتها هو الإيمان بوحداية الله سبحانه

والالتزام بشريعة القرآن في العقيدة والتعامل والسلوك الذاتي والاجتماعي في ضوء السيرة النبوية المطهرة ، وقد اجمع كبار مشايخ الطريقة إلى أن الطريقة هي الوقوف عند حدود الإسلام ولكنه وقوف لا يكتفي بالظاهر بل يتعدى إلى القلب حتى يحقق تعاليم القرآن الكريم في سلوكه ويبلغ حق اليقين (مقام الإحسان) .

إن الإنسان لا ينفك في التأمل عما وراء الطبيعة والتساؤل عن حقيقتها وقد اختلف أفرادها في هذه النزعة فمنهم من كرس كل حياته للبحث عن هذا السر واختار العزلة عن الناس من اجله وأطلق على هؤلاء في الديانة المسيحية (الرهبان) ، ووصف الإسلام المؤمنين المتصوفين بأنهم : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(١).

لذلك نستطيع القول أن الإنسان كان دائم البحث لمعرفة الطبيعة وما وراءها وأن تشابه نهج الطريقة في هذه النزعة مع الاتجاه العبادي التنسكي للإنسان قبل الإسلام ذلك لا يعني تأثرها بنهج غير إسلامي في هذا المجال فهو تشابه في نزعة طبيعية لا تشابه في نهج مقصود وان الطريقة كما بينا هي سلوك طريق سيدنا محمد ﷺ في العبادة والتأمل والحياة .

ولو تأملنا في الحياة لوجدنا تشابهاً غريباً في كثير من ميادينها سببه تجانس الغريزة ، أو توارد الخاطر أو تماثل الحاجات وطرق إشباعها وتشابه الظروف وعواملها ولم يتأثر اللاحق فيه بالسابق ، وعلى سبيل المثال نذكر قصة العشق الذي ربط قيساً بليلى وهي قصة عرفت بقصة (مجنون ليلى) في الأدب العربي ، وهي نفسها تتكرر في قصة (روميو وجوليت) في الأدب الإنكليزي ، وفي قصة (مم وزين) في الأدب الكردي ، و (شيرين وفرهاد) في الأدب الفارسي .

وفي علم القانون شواهد عديدة على تشابه الأعراف القانونية في بلاد تتشابه الظروف الاجتماعية والاقتصادية فيها .

فإذا كان نهج الطريقة فيه بعض الشبه مع اتجاه في السلوك الإنساني قد ظهر بشكل أو بآخر قبله فأن هذا لا يعني علاقة امتداد في الوجود بل يعني علاقة تشابه في تطلع الإنسان ذاته .

فالطريقة هي سلوك حَدَدَت الشريعة الإسلامية مقامها ووضع كبار مشايخ الطريقة حقائقها .

حقيقة الطريقة

ان الطريقة تقوم في ذاتها على أساسين رئيسيين :

١ . التجربة الباطنة بين العبد والرب .

٢ . الفناء .

أما الأساس الأول فهو تجربة روحية لا تخضع إلى العقل المنطقي وفيها تتحد
الذات والموضوع وتقوم فيها البوادر واللوائح واللوامع مقام التصورات والأحكام
والقضايا في النطق العقلي ، إذ المعرفة فيها مُعاشة لا متأملة ويغمر صاحبها شعور
عارم بقوة تضطرم فيه وتغمره كفيض من النور الباهر أو يغوص فيها كالأمواج
العميقة ويبدو له أيضاً أن قوى عالية قد غزته وشاعت في كيانه الروحي ، وما هذا
إلا نفحات روحية علوية ، ولهذا يشعر السالك بإثراء في كيانه الروحي وتحرر في
أفكاره وخواطره وهيجان لطاقات كامنة تغور في أعماق نفسه .

وأما الأساس الثاني فمهم جداً في مفهوم الطريقة وإلا كانت مجرد أخلاق دينية
تقوم على توكيد المطلق أو الموجود الحق ، أو الموجود الواحد الأحد الذي يضم في
حضنه كل الموجودات .

أن الفناء والاتصال متفاوت في المراتب إلى أن يصل المريد إلى الفناء الأعظم ،
قال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾^(١) . وقد بين مشايخ الطريقة قدس الله
أسرارهم مدارج الفناء لسالكي نهج الطريقة وهي :

١ . الفناء في الشيخ : ويعتمد هذا الفناء على الإتيان الكامل لشيخ الطريقة
من قبل المريد مقتدياً بإعماله مستسلماً بكليته لحوله ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ
تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(٢) . وقال تعالى : ﴿ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ

١ - القصص : ٨٨ .

٢ - آل عمران : ٣١ .

اللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴿١﴾. وان تفويض الأمر إلى الشيخ هو تفويض لأمر الله تعالى بلا شك .

وقد وصف الشيخ عبد الكريم الجيلي السلوك على يد شيخ ذي علم رباني بهذه الأبيات الرائعة :

وان ساعدَ المقدورُ أو ساقَكَ القضا إلى شيخٍ حقٍّ في الحقيقةِ بارِعُ
فقم لرضاه واتبع لمراحه ودع كل ما من قبلُ كُنْتَ تُسارعُ
ولا تعترض فيما جهلتَ من أمره عليه فإنَّ الاعتراضَ تنازعُ
ففي قصة الخضرِ الكريمِ كفايةً بقتلِ الغلامِ والكليمِ يُنازعُ
فلما أضاءَ الصُّبحُ عن ليلِ سره وسُئلَ حُسامٌ للغيابِ قاطعُ
أقامَ له العذرَ الكليمُ وأنه كذلكِ عِلْمُ القومِ فيه بدائعُ
وقد أكد الإمام الغزالي أن على المريد أن يتفانى في شيخه ويحترمه ظاهراً وباطناً ، واحترام الظاهر أن لا يجادله ولا يشتغل بالاحتجاج منه في كل مسألة ، واحترام الباطن هو أن كل ما يسمعه ويقبله من شيخه في الظاهر لا ينكره في الباطن لا نقلاً ولا قولاً لئلا يتسم بالنفاق ، حيث أن شيخ الطريقة مرشد مرب يخرج الأخلاق السيئة من المريد ويجعل مكانها خلقاً حسناً ، وقد وضع الإمام الغزالي معنى الرتبة هذه فقال : « ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الخشنة من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه ، أي أن تربية المريد تكون من خلال شيخ يؤدبه ، لأن المريد دون شيخ يؤدبها شبه بشجرة نبتت بنفسها من غير غارس فأنها تورق ولا تثمر ... ويجوز أنها تثمر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين » (٢). فإذا كانت الشجرة في البستان يتعهدا البستاني بالرعاية والعناية ، فكذلك المريد بين يدي شيخه يرشده ويهديه

١ - غافر : ٤٤ .

٢ - من كلام الشيخ أبي علي الدقاق ، ورد في تعليق على كتاب المنقذ من الضلال للغزالي .

ويعرفه طريق المواجيد ويصهره بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو ، فإذا كان المرید صادقاً : « دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه ، يسري من باطن الشيخ حالٌ إلى باطن المرید كسراج يقتبس من سراج ... فبالتآلف الإلهي يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية » (١).

والمرید الصادق كما يراه الشيخ نجم الدين البكري رحمته الله هو : « ... أن يكون زاده التقوى ، وبضاعته الإفلاس ، وسفره إلى الآخرة ، ومراحلته الأنفاس ، ومنازله القبر ، وصاحبه اليقين ، وتدبيره العجز ، وحركاته السكون ، وبيته الخلوة ، ولباسه الفقر ، ونومه محاسبة العمر ، وركبته وسادته ، ومسجده مجلسه ، إن درس فعلم الحكمة ، وإن نظر فنظر العبرة ، رفيقه التوفيق ، وسمته حسن الخلق ، ومعلمه القناعة ، وصومه الصمت ، وهمته خوف النار ، وفرحه بالنار لا بالجنة ، وصحته اليأس من الخلق ، كما أن مرضه الطمع فيهم ، وواعظه الموت والمقابر والأيام والليلي ، ومطربه الحزن على تفريطه في أوقات عمره في غير مرضاة الله ، ونيته الجازمة رفض الدنيا أبداً ما عاش ، وسلاحه الضوء ، وركبه الورع ، وخصمه النفس والشيطان ، وسجنه الدنيا ، وسجانه الهوى ، ليله تضرع ، نهاره استغفار ، وحصنه دينه ، وشعاره شرعه ، ومحدثه كتاب ربه ، ورأس ماله الظن بربه ، وحرفته كثرة الصلاة على رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم الذي هداه الله به ، فهو الشيخ الحقيقي له ولجميع الأمة فهذا هو المرید الصادق » (٢).

فإذا كان المرید هكذا تكون طاعته لشيخه طاعة مطلقة ، ويكون بين يدي شيخه كالأعمى الماشي على شاطئ النهر ، كالميت بين يدي غاسله ، وقد أجاد من قال :

١ - المصدر نفسه .

٢ - الشيخ عبد الوهاب الشعراني - الأنوار القدسية ص ٩٢ - ٩٣ .

إخلص ودادك صدقاً في محبته والزم ثرى بابه واعكف بناديه
واستفرغ العمر في آداب صحبته وحصل الدُر والياقوت من فيه

ويصف اليافعي صعوبة الطريق ووعورة مسالكه بحكاية عن أحد المريدين الذي طلب من شيخه مثلاً يصور له فيه ذلك الطريق فجعل الشيخ عسلاً في إناء وجعل فوقه صبراً ، وقال اشرب هذا ، فشرب الصبر وصبر على مرارته وكره النفس على ذلك ، ولم يزل يشربه مع مقاساة شدة المارة وتملل النفس وتحميلها ما لا تطيق إلى أن نفذ الصبر وانتهى إلى العسل . فلما ذاقه أراد أن يأخذ الإناء منه ، فقال له المريد يا سيدي من شرب المر شرب الحلو ، فقال له الشيخ صدقت ، وتركه حتى شربه .

وإذا كانت الإرادة عتبة الطريق في هذا السفر الروحي ، فغالباً ما يجد المريد نفسه منجذباً لذلك السفر ومدفوعاً إليه ، كما حصل لإبراهيم بن ادهم ورابعة العدوية ، والغزالي ، ولتتابع الغزالي حيث يصور لنا حاله بين مقامي الاختيار والاضطرار ، إلى أن بلغ درجة الانجذاب ولم يعد له معها أية إرادة فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاها إلى المقام ، ومنادي الأيمان ينادي الرحيل ، الرحيل ، فلم يبق من العمر إلا قليل ، وبين يديك السفر الطويل ، وجميع ما أنت فيه من العلم رياءً وتحيل ، فأن لم تستعد الآن للآخرة ، فمتى تستعد ؟ وان لن تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع ؟ فعند ذلك تنبعث الداعية ، وينجزم العزم على الهرب والفرار ... فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربع مائة ، وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختبار إلى الاضطرار ...

ويتابع الغزالي وصف الصراع الذي اتقد في خاطره بين علائق الدنيا التي تشده وبين انجذابه إلى طريق السلوك الذي كانت له الغلبة ودخول المريد في السفر الصوفي أشبه بالولادة ، لكنها ولادة معنوية وليست طبيعية ، فالولادة الأولى يصير - المريد

– له ارتباط بعالم الملك ، وبهذه الولادة يصير له ارتباط بعالم الملكوت ... فالولادة تطرق إلى الفناء والولادة المعنوية محمية من الفناء لأنها وجدت من شجرة ، هي شجرة العلم لا شجرة الخنطة .

إن مشيخة الطريقة ما هي إلا أمرٌ اختصاص رباني ، فليس كل عالم هو مرشد بل هناك لشيخ الطريقة إذن رباني ، قال تعالى : ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾^(١). وقال تعالى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾^(٢). وقال تعالى : ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾^(٣). وقال تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾^(٤). وقال تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾^(٥). فشيخ الطريقة هو المأذون من الله تعالى ، والولي المرشد ، ومن أهل الصنع الخصوصي ، وخليفة الله في الأرض ، وجامع للأسرار الروحية ، ومتصل بالتتابع لسيدنا المصطفى ﷺ بسلسلة مشايخ الطريقة الروحية قدس الله أسرارهم أجمعين .

• إن ثمة الإتياع الكامل للمريد ظاهراً وباطناً لشيخ الطريقة ﷺ – الفناء بشيخه – هي تلذذ المريد بقبس الأنوار الروحية التي تغزو قلبه من شيخه ، وأن هذا الفناء يتحول بدوره إلى قنطرة الفناء التالية .

• الفناء بالرسول ﷺ ، إذ يتحول هذا الفناء إلى مرحلة الفناء التالية .

• الفناء في الله تعالى .

ومن هنا كانت الطريقة سلماً صاعداً ذا درجات نهايتها عند أذات العلية ، وسفراً يرقى في معارج حتى ذروة الفناء الأعظم (الفناء في الله) ، والتطور في هذا

١ - الأحزاب : ٤٦ .

٢ - الكهف : ١٧ .

٣ - طه : ٤١ .

٤ - البقرة : ٣٠ .

٥ - يس : ١٢ .

السبيل واضح مستقيم من فكرة العشق الإلهي عند أهل الطريقة أمثال رابعة العدوية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري حتى مقولة الحلاج المشهورة (أنا الحق) في نهاية القرن الثالث الهجري ، فكان ذلك على أساس اتحاد بالمطلق أو على الأقل إيجاد صلةٍ وعشقٍ يسمو بصاحبه للفناء بالذات العلية .

خصائص منهج الطريقة

لابد أن نضع النقاط على الحروف في مسألة قد تطرق وهي قول القائل ، أن أحوال النفس البشرية أمر يقوم بتحليله الفلاسفة الإلهيون أيضاً وكذلك القول بوحدة الوجود ، موجود أيضاً في الافلاطونية المحدثة ومن تأثر بها من مذاهب فلسفية ، فكيف يتم التمييز بين أهل الطريقة وهؤلاء ؟ والجواب عن ذلك ، إن أهل الطريقة يتميزون عن الفلاسفة الإلهيين بما يلي :

١ . أداة المعرفة : عند أهل الطريقة هي ملكة خاصة تسمى الذوق أو العيان (الشهود) ، بينما عند الفلاسفة الإلهيين هي العقل والبرهان العقلي ، لذلك فإن أهل الطريقة يفرقون بين علم الظاهر وعلم الباطن ، ويقصدون بعلم الظاهر أساساً لعلم الشريعة لأنه يتعلق بالأعمال الظاهرة كأعمال الجوارح الظاهرة وهي العبادات والأحكام الشرعية ، أما علم الباطن فيتعلق بالأعمال الباطنة (أعمال القلوب) وهي المقامات والأحوال مثل (التصديق ، الأيمان ، اليقين ، المعرفة ، التوكل ، المحبة ، الرضا ، الذكر ، الشكر ، الإنابة ، التقوى ، المراقبة ، الخوف ، الرجاء ، التفويض ، القرب ، الشوق ، الوجد ، التعظيم ، الإجلال ، الهيبة) ، وكما نعلم أن علم النفس عند الفلاسفة والنفسانيين لا يعني بهذه المعاني ، فهي من ميزات علم الباطن عند أهل الطريقة وإن علم النفس في الطريقة ما هو إلا دراسة لأحوال النفس في علاقتها مع الله تعالى .

إذن المعرفة التي يصل إليها المرید هي معرفة مباشرة بغير وسائط من مقدمات أو قضايا أو براهين أنها معرفة فوق عقلية لا ينالها إلا من سلك سبيل الطريقة وأهلهم

المعرفة المباشرة ومن هنا تسمى المعرفة (كشفاً) ولهذا نرى أن هذه المعرفة هي (علم الصديقين وان من كان له نصيب وهو من المقربين ينال درجة أصحاب اليمين) . فهي من مواهب الله وكرمه وفضله لا تأتي إلا بعد طهارة القلب وتركبة النفس ، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾^(١) . هناك تفيض عليه الأنوار من قبل الواحد الأحد وإذا وصل المرید إلى هذه الدرجة (سمي عارفاً) .

٢ . فيما يتعلق بالقول بوحدة الوجود يتميز بأهل الطريقة بأنهم يهدفون أساساً ومنذ البداية إلى الوصول إلى هذا الاتحاد أي (مرتبة شهود الحق في قلب السالك فتتمحي الكثرة وتتجلى الوحدة ، ويفنى المتناهي في اللا متناهي) ، هنا ينمحي كل وجود للعالم الخارجي ولنفس المرید السالك ، فيرى السالك الله وحده ، ويعرفه معرفة ذوقية عن طريق اتصاله به روحياً .

أما عند الفلاسفة الإلهيين القائلين بوحدة الوجود ، فإن المهم هو معرفة ترتيب الكون وكيفية تركيبه بصدوره عن الواحد في صدورات متوالية يتدفق بعضها من بعض في مراتب ، فوحدة الوجود عندهم نظرية في الكون ، وعند المرید السالك أساس يستند إليه في تجربة الاتحاد (الفناء التام) فالفيلسوف يسعى لإدراك الوحدة ، والمرید يفترضها مقدماً ويسلك الطريق لتحقيقها في تجربته الذاتية ، ذلك إن الطريقة تقوم أساساً على السلوك والممارسة الحية بينما الفلاسفة لا شأن لهم بالعمل والممارسة بل علمهم نظري خالص .

إن الفلسفة تعتمد على مقدرة الإنسان الفكرية للمعرفة ولا يمكنها الوصول إلى (حق اليقين) في الإلهيات ، ذلك أن العقل البشري محدود في طاقته كما هو الحال في الحواس جميعاً وميدان حق اليقين في الإلهيات لا حدود له (والمحدود المتناهي لا يحيط بما لا حد له ولا نهاية) فالعقل لا يدرك شيئاً إلا بعد الاحاطة بحده الذاتي ،

أي إلا عندما يكون محيطاً بالمحدود احاطة شاملة فلا يمكنه إدراك ما وراء الطبيعة مما هو خارج عن دائرة المادة .

إن العقل يعتمد أدوات ووسائل مادية لمعرفة الأشياء هي الحواس الخمسة : (البصر ، السمع ، الذوق ، اللمس ، الشم) ، وهذه الحواس لا تدرك ما يقع خارج قوتها الحسية ، وللمحدودية وظائفها فلا قدرة لها على إدراك ما وراء الطبيعة . والخلاصة أن إدراك ما وراء الطبيعة هو إدراك معنوي وهو شيء وجداني له علاقة بالإيمان والحس الوجداني فهو ليس منهج الفلاسفة المعتمد على العقل والحواس الخمسة .

إن العقل البشري قادر على التوصل (بالاستدلال) إلى أن لهذا الكون مدبراً ورباً عظيماً والتفكير العقلي قاد معظم الفلاسفة الإلهيين إلى الإيمان بالله وكذلك الأنبياء كما هو الحال بسيدنا إبراهيم عليه السلام إذ استدل بعقله إلى معرفة الله قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾^(١) . وما هذه الآيات إلا دليل على استدلال سيدنا إبراهيم بعقله على وجود الله تعالى .

إن لكل فلسفة نمط خاص في التفكير العقلي فأرسطو مثلاً اعتمد مبدأ العلة الفاعلية والعلة الغائية للتوصل إلى معرفة واجب الوجود ومعنى ذلك أن لكل معلول علة أوجدته بموجب نظام ، وما من شيء يحصل اتفاقاً وبالمصادفة وبالخوارق ، وكل ما في الكون خاضع لهذا الناموس الشامل ، غير أن هذه العلة تنتهي إلى علة موجودة بذاتها لم تنشأ عن علة خارجة عنها ويسمي أرسطو هذه العلة (السبب الأول) ، وكذلك الحال عند الفلاسفة المسلمين إلا أنهم حاولوا تقريب الفلسفة إلى الدين ، فالفارابي ركز نظريته العقلية على فكرة الواجب والممكن واتضح هذه الصورة عند ابن سينا إذ توصل بها إلى حقيقة واجب الوجود ، وبمقتضى هذه

الفلسفة يكون واجب الوجود هو الله مدبر الكون ، أما المخلوقات فهي من الممكنات ، أما الفيلسوف الكندي فقد نظر إلى فكرة الأثر والمؤثر والسبب والمسبب ورأى أن لهذا الكون منظماً بديعاً ، وحيث أن لكل أثر مؤثراً ولكل سبب مسبباً فإن للكون منظماً بديعاً لا ريب فيه .

وقد جمع جون كلورمونس في كتابه (الله يتجلى في عصر العلم) آراء أربعين أستاذاً وخبيراً في المعرفة البشرية في عصرنا آمنوا بالله ﷻ بتأملهم العقلي في عجائب الكون وقالوا جميعاً أن هذا الكون العظيم البديع لا يمكن أن يتكون دون مهندس أزلي خالد .

وللإمام الغزالي تجربة غنية ورائدة فيما نحن بصدد (الفلسفة والطريقة) حيث بين ذلك في كتابه (المنقذ من الضلال) فقال (... رأيت الفلاسفة على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ينقسمون إلى ثلاث أقسام : الدهريون ، الطبيعيون ، الالهيون) .

الصنف الأول الدهريون : هم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القدير وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه بلا صانع ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كانوا وكذلك يكون أبداً وهؤلاء هم الزنادقة .

الصنف الثاني الطبيعيون : وهم قوم أكثروا بحثهم في عالم الطبيعة وعجائب الحيوان والنبات وأكثروا الخوض في علم التشريح وأعضاء الحيوانات فرأوا فيها من صنع عجائب الله تعالى وبدائع حكمته ما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم مطلع على غايات الأمور ومقاصدها إلا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم الاعتدال بالمزاج تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان فظنوا أن القوى العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه أيضاً وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم قم إذا انعدم لا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة وانكروا الجنة والنار والحشر والنشر والقيامة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب

ولا للمعصية عقاب فأنحل عنهم اللجام وأنهمكوا في الشهوات انهمك الأنعام وهؤلاء زنادقة أيضاً لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر .

الصنف الثالث الالهيون : وهم المتأخرون مثل سقراط وهو أستاذ أفلاطون وأفلاطون أستاذ أرسطو وهو الذي رتب لهم المنطق وهذب العلوم . ثم صنف الغزالي علومهم فقال اعلم إن علومهم ستة أقسام : رياضية ومنطقية وطبيعية وإلهية وسياسية وحُلقية . وبعد أن ناقشها قال : « ثم إني لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهمه وتزييف ما يُزيّف منه علمت أن ذلك أيضاً غير واف بكمال الغرض وإن العقل ليس مستقلاً بالاحاطة بجميع المطالبات ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المعضلات » (١).

ثم تناول تجربته مع الطريقة فقال : « ثم أني لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل وكان حاصل علومه قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته بذكر الله فظهر لي أن اخص خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات » (٢). وبعد أن جاهد نفسه بالعزلة والخلو والريضة وتركية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب قال : « أني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وإن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً فان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهريهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به » (٣).

١ - الغزالي - المنقذ من الضلال - ص ٣٤ .

٢ - المصدر نفسه - ص ٣٤ .

٣ - المصدر نفسه - ص ٤٩ - ٥٠ .

الطريقة والشرعة

يعد علم الطريقة علماً عملياً من حيث انه يرتبط بالمجاهدة والرياضة والأحوال والمقامات إذ يعطي المفهومات الفقهية من تحليل وتحريم روحاً جديدة ويخرجها بالعاطفة الدينية المؤسسة على أعمال القلوب من مقامات وأحوال ، وتنحصر هذه الأعمال في التصديق والإيمان واليقين والصدق والإخلاص والمعرفة والتوكل والمحبة والشوق والوجد وغير ذلك من أحوال أهل الطريقة ومقاماتهم .

إن الطريقة تتجه إلى فهم العبادات والأحكام اتجاهات باطنياً ، فَعِلْمُ الطريقة أساسه الكتاب والسنة وهنا لابد أن تُبين إن الشريعة هي إطار للطريقة وإن الطريقة هي نواة للشريعة الإسلامية وبذلك ان المدخل إلى أهل الطريقة الروحي هو الشريعة الإسلامية فهي الباب الموصل إلى الحقيقة ، قال تعالى : ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾^(١) .

وقد أرخ لذلك واعتمد هذه الحقيقة وأرساها مؤرخو الطريقة ونذكر عدداً منهم :

١ . السراج الطوسي : لقد ردّ هذا المؤرخ الطريقة والشرعة إلى أصل واحد باعتبار أحدهما تكمّل الأخرى ، إذ يرى هذا المؤرخ ان الشريعة قائمة على الرواية وأما الطريقة فهي قائمة على الدراية ، وقسم أعمال الجوارح الظاهرة إلى العبادات مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصوم وغير ذلك ثم المعاملات مثل الطلاق والبيع والفرائض والقصاص وغيرها .

أما علم الطريقة فهو علم قائم على الجارحة الباطنية (القلب) ، ولكل عمل من هذه الأعمال الظاهرة والباطنة علم وفقه وبيان وفهم وحقيقة ووجد ، ودليل صحة كل عمل منها آيات من القرآن واخبار عن الرسول ﷺ .

١ - البقرة : ١٨٩ .

ويؤكد السراج الطوسي قيام العِلّمين جنباً إلى جنب مستمداً ذلك من قول
رَبِّهِ :

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(١). فالنعمة الظاهرة هي فعل الطاعات ،
والنعمة الباطنة هي ما انعم الله بها على القلب من الأحوال والمقامات ، ولكن لا
يستغني الظاهر عن الباطن ولا الباطن عن الظاهر ولا الباطن عن الظاهر بقول الله
تعالى .

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾^(٢). فالعلم المستنبط هو
علم الطريقة .

فالقرآن والحديث بل الإسلام ظاهر وباطن والفرق بين الشريعة والطريقة هي في
الوسيلة فقط ، فقه الشريعة قائم على الأعضاء الخارجة ، وعلوم الطريقة قائم على
الأعضاء الباطنة أي القلب ، فالشريعة أقوال والطريقة أفعال والشريعة إطار والطريقة
نواة .

٢ . الشعراي : لقد بين الشعراي ان علم الطريقة مبني على الكتاب والسنة
وأنه مبني على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء وهنا يقول عبد الوهاب الشعراي :
« إِنَّ عِلْمَ التَّصَوُّفِ أَيْ - عِلْمُ الطَّرِيقَةِ - عبارة عن علم أنقذ في قلوب الأولياء
حتى استنار بالعمل والسنة ، فكل من عمل بها أنقذ له من ذلك علوم وآداب
وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها فالتصوف أي - الطريقة - إنما هو زبدة عمل
العبد بأحكام الشريعة إذا خلا من عمله العِلل وحظوظ النفس »^(٣).

ومن تبحر في علم الشريعة حتى بلغ إلى الغاية أدرك بذوقه ان علم التصوف
أي علم الطريقة تفرع من عين الشريعة ، فإذا دخل العبد طريق القوم وتبحر فيه
أعطاه الله هناك قوة الاستنباط نظير الظاهرة على حد سواء فيستنبط في الطريق

١ - لقمان : ٢٠ .

٢ - النساء : ٨٣ .

٣ - الشعراي - الأنوار القدسية .

واجبات ومندوبات وآداباً ومحركات ومكروهات ، ومن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة ، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة ، والشريعة هي صلتهم بالله تعالى في كل لحظة ، فكل صوفي فقيه ولا عكس (أي ليس كل فقيه صوفي) .

٣ . الكلاباذي : يرى هذا المؤرخ ان لأهل الطريقة علماً خاصاً انفردوا به دون سواهم ، وهو علم المكاشفات والمشاهدات وعلم الخواطر مع اهتمامهم بعلم الأحكام الشرعية فيقول ان علوم الصوفية علوم الأحوال ، والأحوال هي مواريث الأعمال ولا تورث الأحوال إلا من صحيح الأعمال ، وأول تصحيح الأعمال معرفة علومهم وهي علم الأحكام الشرعية من أصول الفقه من الصلاة والصوم وسائر الفرائض إلى علم المعاملات من النكاح والطلاق ، والمبايعات وسائر ما أوجب الله تعالى وندب إليه ، وما لا غناء به عن أمور المعاش ، وهذه علوم التعلم والاكتساب فأول ما يلزم العبد الاجتهاد في الطلب هذا العلم وأحكامه على قدر ما أمكنه ووسعه طبعه وقوى عليه فهمه بعد احكام على التوحيد والمعرفة عن طريق الكتاب والسنة وما اجمع عليه السلف الصالح ، فان وفق لما فوّه نفي الشبه التي تعترضه من حاضر أو ناظر فذاك ، وان اعرض عن خواطر السوء اعتصاماً بالحيلة التي عرفها وتجافى عن الناظر الذي يحاجه فيه ويجادله عليه وباعده ، فهو في سعة ان شاء الله ﷻ واشتغل باستعمال علمه وعمل بما علم .

فالكلاباذي هنا يبين ان علم الطريقة هو علم التوحيد والمعرفة وهي مكملّة لعلم الشريعة وعلى من أراد الخوض والتبحر في هذا العلم فعليه ان يطبق ويعلم الأمور الشرعية ويلتزم بها حتى يصل إلى علم الخواطر والمشاهدات والمكاشفات الخاصة بأهل الطريقة التي انفردوا بها دون غيرهم .

وقد قسم هذا المؤرخ العلم الصوفي إلى ثلاثة أقسام :

أولاً . علم الحكمة : وهو أول ما يلزم العبد حيث يقوم على أساس علم آفات النفس ومعرفتها ورياضاتها وتهذيب أخلاقها ، ومكائد العدو ، وفتنة الدنيا وسبيل الاحتراز منها .

ثانياً . علم المعرفة : فإذا استقامت النفس على الواجب وصلحت طباعها وتأدبت بآداب الله ، من زم جوارحها وحفظ أطرافها وجمع حواسها ، سهل عليه إصلاح أخلاقها وتطهير الظاهر منها فعند ذلك يمكن العبد مراقبة الخواطر وتطهير السرائر .

ثالثاً . علم الإشارة : وهو يضم علوم الخواطر وعلوم المكاشفات وهو العلم الذي تفرّد به أهل الطريقة بعد جمعهم لسائر العلوم التي ذكرناها ، وإنما قيل علم الإشارة لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن التعبير عنها على التحقيق ، بل تُعَلَّم بالمنازلات والمواجيد ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقامات فقد روى سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله ، فإذا انطقوا به لم ينكره إلا أهل الفرق بالله ﴾ .

وعن عبد الواحد بن زيد قال سألت الحسن البصري عن علم الباطن فقال سألت حذيفة بن اليمان عن علم الباطن فقال سألت رسول ﷺ عن علم الباطن فقال ﷺ : ﴿ سألت جبريل عن علم الباطن فقال سألت الله عن علم الباطن فقال : هو سر من سري اجعله في قلب عبدي لا يقف عليه أحد من خلقي ﴾ . وقال أبو الحسن بن أبي ذر في كتابه (منهاج الدين) أنشدونا للشبلي :

علمُ التصوفِ علمٌ لا نفاذَ له	علمٌ سميَّ سماويَّ ربوبي
فيه الفوائٍ للأرباب يعرفها	أهلُ الجزالةِ والصُّنعِ الخصوصيِّ

٤ . أبو نعيم الاصفهاني : يؤكد هذا المؤرخ إن أهل الطريقة في حقائهم قد بنوا علمهم على أركان أربعة :
أولاً : معرفة الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله .
ثانياً : معرفة النفوس وشرورها ودواعيها .
ثالثاً : معرفة وساوس العدو ومكائده وخصاله .
رابعاً : معرفة الدنيا وغرورها وتفتينها وتلوينها وكيفية الاحتراز منها والتجافي عنها .

« لذلك الزموا أنفسهم بعد توطئة هذه الأبنية ، دوام المجاهدة وشدة المكابدة وحفظ الأوقات واغتنام الطاعات ، ومقارنة الراحة ، والتلذذ بما أيدوا من الطاعات ، وصيانة ما خصوا به من الكرامات ، لا عن المعاملات انقطعوا ولا إلى التأويلات ركنوا ، رغبوا عن العلائق ورفضوا العوائق ، اقتدوا بالرعيل الأول من المهاجرين والأنصار وفارقوا العروض والعقار ، وآثروا البذل والإيثار ، وهربوا بدينهم إلى الجبال والقفار احترازاً من موامقة الأبصار أن يوميَ أليهم بالأصابع ويشار لما أنسوا به من التحف والأنوار ، فهم الأتقياء والاخفياء ، والقرباء النجباء صحت عقيدتهم فسلمت سريرتهم » (١).

٥ . أبو القاسم القشيري : يعدُّ القشيري أهم مؤرخ لأهل الطريقة دافع عن منزلة الطريقة ومكانتها في الفكر الإسلامي ، فلم تكن رسالته في علم الطريقة إلا للرد على أعداء الطريقة وبيان قواعد الطريقة وأركانها وإرجاعها إلى أصولها الأولى التي كانت سمة من سمات الرسول الأعظم سيدنا ﷺ وبين أن أهل الطريقة هم المخلصون لعقيدتهم والمتمسكون بالكتاب والسنة . ويميز القشيري بين منهج أهل الطريقة في المعرفة وبين منهج غيرهم من الفرق ويعطينا هذا التمييز في صورة وصية يقدمها للمريدين السالكين حيث يقول : « أول قدم للمريد في هذه الطريقة ينبغي

١ - أبو نعيم الاصفهاني - حلية الأولياء .

أن يكون على الصدق ليصح له البناء على أصل صحيح ، فأن الشيوخ قالوا إنما حُرِّموا الوصول لتضييعهم الأصول ، كذلك سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول فتجب البداءة بتصحيح الاعتقاد بينه وبين الله تعالى ، صافٍ من الظنون والشبه ، خالٍ من الضلال والبدع ، صابر عن البراهين والحجج . ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب ليس من هذه الطريقة ، وليس انتساب الصوفي إلى مذهب من مذاهب المختلفين - سوى طريقة الصوفية - إلا نتيجة جهله بمذهب أهل هذه الطريقة فأن هؤلاء حججهم في مسائلهم اظهر من حجج كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب «(١)».

ولم يمض عصر من العصور التي مرَّ بها الإسلام إلا وفيه شيخ من مشايخ الطريقة ممن له علوم التوحيد وإمامة القوم واستسلم له تواضعاً أئمة ذلك الوقت من العلماء وتبرك به ، ولولا ميزة خصوصية لهم لكان الأمر بالعكس .

٦ . ابن خلدون : « لقد افرد هذا المؤرخ فصلاً في كتابة المقدمة سماه علم التصوف أي علم الطريقة ولخص لنا في هذا الفصل كل ماسبقه من آراء عند مؤرخي الطريقة القدماء وتحدث فيه عن أهمية الطريقة ومنهجها وقواعدها . إن المواجد التي تحدَّث عنها ابن خلدون هي الأحوال والمقامات ، والحال عنده نتيجة لمجاهدته وعبادته ويكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل ، وهذا الحال عندما يرسخ في النفس يصبح مقاماً للمريد ، والمقامات لا يزال المريد يترقى فيها من مقام إلى مقام حتى ينتهي إلى حالة التوحيد والمعرفة والفناء التي هي الغاية المطلوبة للسعادة الروحية ، ثم يؤكد ابن خلدون أن أهل الطريقة إضافة لما حازوه من علم بالأحكام الفقهية العامة فقد اختصوا بالمجاهدات ومحاسبة النفس ففهم أهل الأذواق والمواجد «(٢)».

١ - القشيري - الرسالة القشيرية .

٢ - ابن خلدون - المقدمة .

٧ . ابن سينا : وذكر الفيلسوف الإسلامي ابن سينا في كتابه الإشارات والتنبيهات فقال إن للعارفين مقامات ودرجات يخصصون بها وهم في حياتهم الدنيا دون غيرهم فكأنهم في جلاليب من ابدانهم قد نفوها وتجردوا عنها إلى عالم القدس ولهم أمور خفية فيهم ، وأمور ظاهرة يستدوقها ويجلّها من يعرفها ثم يُقسّم هذا النهج أقساماً ثلاثة :

أولاً : المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد .

ثانياً : والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما يُخصّص باسم (العابد) .

ثالثاً : والمنصرف بفكره إلى قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحق في سره يُخصّص باسم (العارف) وقد يتركب بعض هذه مع بعض .

ثم يُفصّل ابن سينا القول في صفات العارف حيث يقول : « الزهد عند غير العارف معاملة ما ، كأنه يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة ، وعند العارف تنزّة عما يشغل سره عن الحق ، وتكبرٌ على كل شيء غير الحق ، والعبادة عند غير العارف معاملة ما ، فكأنه يعمل في الدنيا لأجرة يأخذها في الآخرة هي الأجر والثواب . وعند العارف رياضة لقوى نفسه المتوهنة والمتخيلة ليجرها بالتعويد من جناب الغرور إلى جناب الحق ، فتصير مسالمةً الباطن ، حينما يستجلي الحق لا تنازعه فيخلص السر إلى الشروق الساطع ويصير ذلك ملكةً مستقرة . كلما شاء السر اطلع إلى نور الحق غير مزاحم من الهمم ، بل من تشييع منها له ، فيكون بكليته منخرطاً في سلك القدس » (١).

« فالعارف يريد الحق الأول لا لشيء غيره ولا يؤثر شيئاً على عرفانه وتعبده له فقط ولأنه مستحق للعبادة ، ولأنها نسبة شريفة إليه ، لا لرغبة أو رهبة » (٢).

١ - ابن سينا - الإشارات والتنبيهات .

٢ - ابن سينا - الإشارات والتنبيهات .

من ذلك يتبين أن علم الطريقة يخلق بالمريد في أجواء الروح والضمير والنور الإلهي ولكن دون أن يخرج عن حدود الشريعة الغراء ذلك أن يسترشد بالكتاب والسنة ويستلهم قيمه وأصوله من سنة النبي ﷺ وآل بيته (عترته) الطاهرين وصحابته المخلصين والمشايخ العارفين الكاملين ، بيد أن الطريقة تتميز بإطار محدد صارم ضمن الميدان الواسع للشريعة الغراء ، فالشريعة الإسلامية قد تكتفي من المسلم بأداء الصلاة كما هي ، دون أن تعرض عليه حبس أنفاسه كي لا يزيغ قلبه لحظة عن التفكير في ساعة القرب ولكن الطريقة وجبت المراقبة بحيث يعيش المصلي كلياً لحظات الوقوف والسجود بخشوع وخضوع دائمين ويحصل على بركات أنوار يحس بها وحده قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾^(١). ويكفي أهل الطريقة مدحاً إذعان الإمام الشافعي لشييان الراعي الصوفي ، حيث كان أحمد بن حنبل عند الشافعي ، فجاء شييان الراعي فقال أحمد أريد يا أبا عبد الله (أي الشافعي) أن أنبه هذا (يقصد شييان) على نقصان علمه ليشغل بتحصيل بعض العلوم ، فقال لشييان ما تقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات في اليوم والليلة ولا يدري أي صلاة نسيها ، ما الواجب عليه يا شييان ؟ فقال شييان : يا أحمد ، هذا قلب غفل عن الله تعالى فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه ، فغشي على أحمد ، فلما أفاق قال له الشافعي : ألم اقل لك لا تحرك هذا !

وكذلك يكفي أهل الطريقة فخراً إذعان أحمد بن حنبل لأبي حمزة البغدادي الصوفي واعتقاده فيه حيث كان يرسل له دقائق المسائل ويقول : ما تقول في هذا يا صوفي ؟ وكذلك إذعان أبي العباس بن سريج الفقيه القاضي لأبي القاسم الجنيد البغدادي رحمه الله وحين حضر مجلسه وقال لا أدري ما يقول ، ولكن لكلامه صولة ليست بصولة مبطل ، وكذلك إذعان الإمام أبي عمران لأبي بكر الشبلي رحمه الله حين

١ - المؤمنون : ١ ، ٢ .

امتحنه في مسائل من الحيز وأفاده سبع مقالات لم تكن عند أبي عمران . وحكي أن الإمام أحمد ابن حنبل كان يحث ولده على الاجتماع بصوفية زمانه ويقول أنهم بلغوا في الإخلاص مقاماً لم يبلغه .

ومما يجب أن يذكر إن وفداً من الفقهاء الكبار قد حضروا عند مجلس حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزان رحمته الله لمناظرته في أمور فقهية وقبل أن يتكلم كل منهم في مسأله غطت همه الشيخ الجليل وبركته على عقولهم وقلوبهم بأكنة جعلتهم لا يذكرون شيئاً من أسئلتهم التي جاؤوا بها وفروا من مجلسه .

من هذا يتبين أن الطريقة هي جهاد من أجل الوصول إلى معرفة الله في طريق الحس الوجداني الروحي ومثل هذا الإحساس يتحقق بذوق في الضمير والقلب والوجدان لا بذوقي في اللسان ، ويتحقق بالمشاهدة والبصيرة لا بالبصر بعد أن جعل سالكو هذا النهج الشريعة مركباً لسموهم الروحي .

الطريقة والمجتمع

إن منهج الطريقة هو شفاء للإنسان من كل داء يلزمه وغاية هذا المنهج بلوغ مرتبة من الطهارة والكمال كونه أخصب جانب للحياة الروحية الإسلامية فهو تأمل لأحوال الإنسان في الدنيا وتركيز له قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾^(١). فلا فلاح ولا صلاح من دون زم الجوارح وكبح الغرائز لذلك فإن الطريقة هي عامل نهضة وانبعث يهذب الشخصية الإنسانية ، فيستقيم السلوك بتعاليمها وتركوا الأخلاق بقيمها ، فيرتقي المجتمع بها ، وتشكل حلاً للعديد من المشاكل والأزمات الاجتماعية ، وما سالكو هذه الطريقة حق سلوكها إلا أطباء نفسانيون يعملون على شفاء بلالاء الآخرين لأنهم كما يقول المحاسبي في كتابه (المحبة) « قد رنوا بأبصارهم بفضل ضياء الحكمة الإلهية إلى المناطق التي تنمو فيها الأدوية ، وقد علمهم كيف يفعل الدواء ، فبدأوا بشفاء قلوبهم وأمرهم حين ذاك بان يواسوا قلوب المحزونين والذين يتألمون »^(٢).

فالطريقة إذاً هي علاجٌ بدأ الطبيب المعالج فجره على نفسه ابتغاء ان يفيد به الآخرين والطريقة كما يقول أبو الحسين النوري - ليست نصوصاً وعلومياً نظرية ، بل أخلاق أي قاعدة للحياة والمجتمع وكما يقول الجنيد رحمه الله : « ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات »^(٣). ومن هنا برزت قيمة الطريقة ووجوبها للمجتمع وقد استطاع مشايخها الكرام ان يستقوا من حياتهم الباطنة الوسائل لعلاج آلام القلوب ، وتضميد جراح الجماعة ،

١ - الشمس : ٩ .

٢ - كتاب المحبة للمحاسبي .

٣ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية ص ٢٠ .

ووضع الإيثار شعاراً لهم ، قال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾^(١).

لذا فأنها تجعل سالكها متسلحاً بقيم روحية جديدة تعنيه على مواجهة الحياة المادية ، فيتحقق له التوازن النفسي ويصبح قادراً على تجاوز مصاعبها ومشكلاتها وبهذا المعنى فإن الطريقة تجعل من هذه الحياة وسيلة لا غاية يأخذ الإنسان كفايته ولا يخضع لعبودية حب المال والجاه ولا يستعلي بهما على الآخرين وبهذا يتحرر تماماً من شهواته وأهوائه وبإرادة حرة .

إن من الأمور التي يجب ان نخرج عليها هو اقتران الجهاد بالطريقة ، ذلك ان المتفهمين قد اهتموا باطلاً أهل الطريقة بالتخاذل والتقاعس والتخلي عن الدنيا لكن الحقيقة خلاف ذلك حيث دَوَّن أهل الطريقة صفحاتٍ مشرقةٍ في تاريخ الإسلام وحضارته فنرى السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله وقد عمر الصدور بالإيمان ورسخ العقائد الجهادية للمسلمين ضد الصليبيين وما كانت مدرسته الصوفية في بغداد إلا مصنعاً إيمانياً في غاية الأهمية ، جنى ثماره فيما بعد القائد صلاح الدين الأيوبي الذي انتصر على الجيوش الصليبية^(٢).

وقد تزعم أهل الطريقة جماهير الناس في محاربة الأسبان والبرتغال واستشهد منهم نفر كثير .

أم أهل الطريقة هم ملاذ الناس في الملومات إلى جانب ما لهم من خدمات اجتماعية وألوان من البر والإحسان والمواساة والمؤاخاة ، ومما تجدر به الإشارة أن الطريقة تمتاز بالنزعة الإنسانية العالمية المنفتحة على سائر الأديان والأجناس قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٣). وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ

١ - الحشر : ٩ .

٢ - للإطلاع راجع كتاب هكذا ظهر جيل صلاح الدين الأيوبي ، ماجد عرسان .

٣ - الأنبياء : ١٠٧ .

أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿١﴾. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ ﴿٢﴾.

وإذا كان الإسلام في جوهره ديناً منفتحاً على كل الأجناس لا فرق بين مسلم ومسلم يختلفان جنساً أو لغة أو لوناً أو مكاناً أو زماناً إلا بالتقوى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ﴿٣﴾. فان الطريقة قد وسعت من الآفاق التي يستشرق إليها الإسلام وامتدت بها إلى الأديان الأخرى وبالتالي تحقق ذلك المجتمع المفتوح المنشود والمطمئن لان الطريقة منفتحة وشاملة لكل التجارب الدينية الإنسانية متعاطفة مع سائر التيارات والمناهج الروحية جامعة للأخوة الإنسانية بين الناس على اختلاف الأزمنة والأمكنة قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ ﴿٤﴾. وذلك إن أول نص قرآني نزل به الروح الأمين على سيدنا محمد ﷺ لتبليغه للناس كافة هو ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ والكل يعلم ما لهذا النص القرآني من دلالات وعظات وعبر تعجز عن التعبير عنها الألسن وتؤكد إن الدين الإسلامي هو دين السلام والتآخي والمحبة .

١ - الأنبياء : ٩٢ .

٢ - المؤمنون : ٥٢ .

٣ - الحجرات : ١٣ .

٤ - الانفال : ٦١ .

الطريقة والنفس

النفس هي مضمار الصراع الذي خاضه أهل الطريقة انتصاراً أو انكساراً أو كراً أو فرأً وهي الرفيق المخادع ، فيها التقوى والفجور وهي مفتاح النجاة والهلاك قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ ﴾^(١) . وبما ان النفس تميل إلى حب الشهوات فان مخالفتها أطاعة لله وقهرها عدل ورحمة بها ومطاوعتها والرأفة بها ظلم لها ولما كان هدف أهل الطريقة تجاوز عالم الماديات والسمو إلى العالم الإلهي وعلموا ان النفس هي المحرك المسيطر على جميع الادراكات لزم إصلاح هذه النفس وتقويمها والتمكن منها فاحتاجوا بذلك إلى عزم شديد وهمة عالية ومجاهدة مستمرة وحرب لا هوادة فيها ، واحتاجوا إلى جانب ذلك دراية تامة بالنفس وطبيعتها وأجزائها وأسرارها وخباياها ونقاط ضعفها قال الرسول ﷺ : ﴿ من عرف نفسه فقد عرف ربه ﴾ .

وقال الرازي : « فكما ان النجار يفعل أفعالاً مختلفة بواسطة آلات مختلفة فكذلك النفس تبصر بالعين وتسمع بالأذن وتتفكر بالدماغ وتفعل بالقلب فهذه الأعضاء آلات للنفس وأدوات لها »^(٢) .

وقال الإمام القشيري : « واعلم ان من نجمت طوارق نفسه افلت شوارق أنسه »^(٣) .

يتضح مما تقدم ان النفس هي المحور الأساسي في الدراسة الدقيقة والتعمق المقرون بالتجربة العملية التي بنى بها أهل الطريقة نظامهم الأخلاقي والديني استناداً إلى كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ فكانت التقوى والأيمان جناحي السمو الروحي اللذين حلق بهما أهل الطريقة إلى العالم الملكوتي قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ

١ - الشمس : ٧ ، ٨ .

٢ - الروح والنفس وشرح قواها - للرازي .

٣ - الرسالة القشيرية .

أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾. أي أن الله ﷻ يطلعهم على العلوم العلوية والسفلية وهذا لا يأتي إلا عن طريق الاجتهاد أو الهداية .

فالاجتهاد : هو ان يبادر الله ﷻ إلى منح المرید مواهب من غير سابقة فيظهر على يده الكرامات قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ ﴾ (٢).
وأما الهداية : فهي السلوك على يد شيخ صادق عارف له دراية بخفايا النفوس وقدرة على التأثير عليها وفيها .

ويشترط في ذلك تقديم الإنابة والتوبة إلى الله قال تعالى : ﴿ وَبِهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (٣). حيث يلجأ المرید إلى الشيخ عاجزاً عن الاعتماد على ذاته في معالجة نفسه فَيَعِينُهُ الشيخ وينير له الطريق ويمده بالعون والهمة ويرافقه لحظة بلحظة حتى يوصله إلى بر الأمان ، قال الحكيم الترمذي : « الشيخ هو المأوى والرجل العطوف الذي هو حظ من العلم والرياسة يأتي إليه الغرباء من الآفاق اقتباساً من أدبه وسيرته وعلمه ويزوره أهل الإرادة والصدق تنفيساً عنده فيواسيهم من ذات يده ويعينهم على دهرهم » (٤).

ويقسم أهل الطريقة النفس إلى ثلاثة أقسام حسب ما ورد في القرآن الكريم .
١ . النفوس المتجهة إلى العالم العلوي الإلهي ويسمى أصحابها بـ (المقربين) وعلمهم هو المجاهدة والرياضة الروحية .

٢ . النفوس التي تتجه اتجاهين ، فمرةً إلى العلويات ومرةً إلى السفليات بالتفكير والعمل بالأمر الدنيوية ويسمى أصحابها بـ (أصحاب اليمين) وعلمهم هو الأخلاق الحسنة .

١ - الأعراف : ٩٦ .

٢ - الشورى : ١٣ .

٣ - الشورى : ١٣ .

٤ - كتاب الفروق للترمذي ص ٨٧ .

٣ . النفوس المتجهة دائماً إلى عالم الماديات السفلي وتطلب لذاته وهم أصحاب الشمال .

إن هذا التقسيم لا يعني تقسيماً جزئياً للنفس إنما النفس هي وحدة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ بل تنتقل من حال إلى حال فهي قابلة للصور والحالات المختلفة التي تطرأ عليها ، وكلما كان تقبلها للصورة الأولى جيداً كان تقبلها للثانية أكبر وهكذا ... فهي ترقى في العالم الروحي وتسمو كلما ازدادت تأملاً ومجاهدة ارتفعت بأحوالها إلى مقامات أكمل وأعلى فهي تنصل بالجهد وتزداد لمعاناً وإشراقاً على عكس الجسد الذي يصيبه الذبول وينهار ويهلك وتضعف قواه كلما ازداد في العمل والإجهاد .

لقد دأب أهل الطريقة منذ بداية نشأة الطريقة على دراسة النفس دراسة دقيقة فقد كانوا سيكولوجيين كباراً معتمدين على التأمل الباطني والمراقبة الذاتية التي أصبحت فيما بعد علوماً نفسانية ، فالشيخ العارف يؤدي دوراً كبيراً في معرفة آفات نفوس مُريديه وعيوبها ويصف لها ما يناسبها من مجاهدات ورياضات وأوراد حتى يطهرها ويزكيها . لقد علم أهل الطريقة ان النفس تميل إلى الأشياء الكاملة المرغوبة وتنفر من الأشياء الناقصة المكروهة فحاولوا ان يبصروها حقيقة الدنيا لأنها متى علمت نقصها نفرت منها ومتى علمت كمال الآخرة أقبلت عليها .

ويصف سيدنا الكيلاني رحمه الله النفس فتراه فارس الميدان والطبيب الحاذق والمهندس البارع يضع كل شيء في مكانه المناسب فيقول عن النفوس : « صدقها كذب ودعواها باطلة وكل شيء منها غرور وليس لها فعل محمود ولا دعوى حق ، ان حلت عنها شردت وان أطلقت وثاقها جمحت وان أعطيتها سؤلها هلكت وان أغفلت عن محاسبتها أدبرت وان عجزت عن مخالفتها غرقت » (١).

١ - الشيخ عبد القادر الكيلاني - الغنية لطالبي طريق الحق ج ٣ .

وعلى هذا النحو راح أهل الطريقة يسبرون أغوار النفس معتبرينها العدو الأكبر
باذلين الجهود المضنية في البحث عن علاج لأمراضها عملاً بالحديث النبوي
الشريف الذي يقول : ﴿ أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك ﴾ .

وستتناول آفة من آفات النفس ألا وهي الحسد :

يرى المحاسبي ان الحسد من وجهة نظر الكتاب والسنة نوعان :

الأول : محرم كله وقد ذمه الله ﷻ في القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ
عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿ إِنْ تَمَسَسْنَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا
بَهَا ﴾^(٣).

الثاني : الحسد غير المحرم وهو المنافسة المشروعة لقوله تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ
فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾^(٤). وقال تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾^(٥).

ثم يعود المحاسبي ليفصل لنا أنواع الحسد بطريقة المحلل النفسي الدقيق فيقول :

(واهم الحسد : حسد الحقد ، وحسد حب الدنيا ، وحسد الزهو والعجب)

ويرى ان حسد الحقد يظهر في المنافقين الذين قال عنهم الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا

لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾^(٦). فتبين ان

هؤلاء المنافقين ينفصل ظاهرهم عن باطنهم وهذا في رأي المحاسبي حسد ناتج عن

الحقد .

١ - البقرة : ١٠٩ .

٢ - النساء : ٥٤ .

٣ - آل عمران : ١٢٠ .

٤ - المطففين : ٢٦ .

٥ - الحديد : ٢١ .

٦ - آل عمران : ١١٩ .

وأما حسد حب الدنيا : فيظهر في تمني زوال النعمة عن العبد التي أنعمها الله عليه وفضله بها على غيره ومثال ذلك في أخوة يوسف عليه السلام في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف : ﴿ لِيُؤْسَفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(١).

وأما حسد الزهو والعجب : فيظهر عند المنكرين والمعاندين والكفار والمعجبين بأنفسهم وأولادهم كما قال تعالى على ألسنتهم : ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾^(٢).

فقد تكبروا على الأنبياء والمرسلين ويرى المحاسبي ان الحسد في النفس وليس في الجوارح وإنما تم ذلك استعمالاً للجوارح من قبل النفس .
وأما الحسد عند الغزالي : فهو يحوي في طياته نوعاً من الخوف العظيم الذي يؤدي إلى الحسرة الدائمة وهو من نتائج الحقد ، والحقد من نتائج الغضب .
يقول الإمام الغزالي : « واعلم إن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا »^(٣).

والحقد يؤدي إلى تمني زوال كل خير عن المحقود عليه وهو معنى الحسد ، وبذلك يظهر الغزالي محلاً نفسياً دقيقاً وسيكولوجياً بارعاً في التحليل يدعو إلى التأمل الباطني كنوع من التجربة في سبيل معرفة الحقيقة ويظهر ذلك في قوله : « ثم إنني افتكرت في نيتي للتدريس فإذا هي خالصة لغير وجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه »^(٤). كما يدعو الغزالي إلى ممارسة التجربة ذاتياً عند ضرورتها

١ - يوسف : ٨ .

٢ - يس : ١٥ .

٣ - الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين - ج ٢ .

٤ - الإمام الغزالي - المنقذ من الضلال ص ١٥٣ .

ويتضح هذا في قوله : « قالوا حُسن المزاج بقمع الشهوة والغضب وقد جربنا ذلك بطور المجاهدة » (١).

فلو تتبعنا كل ما كتبه علماء الصوفية ومشايخ الطريقة في الصراع مع النفس وتحليلها وسبر أغوارها وبيان آفاتها وعلاجها الناتج عن التجربة الدقيقة والممارسة العميقة لوجدنا أن هذا العمل الفكري هو علم قائم بحد ذاته يمكن أن يطلق عليه اسم علم نفس الطريقة .

الروح والنفس

منذ ان بدأ المفكرون والفلاسفة يعيرون أهمية للدراسات النفسية فَصَلَوْا الروح عن النفس ودرسوا كل واحد منها على حدة ونسبوا أعمالاً خاصة بالنفس وأخرى للروح وأعطوا تعريفات لكل من الروح والنفس على أساس الاختلاف بينهما ، ولما كان القرآن الكريم هو الفاصل الحق وجب أن نسمع ما يقول في هذا المجال قال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ (٢).

فالرجوع خطاب للنفس وهو أمر من الله ﷻ دل بذلك على ان النفس تخرج من البدن بالموت ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ (٣). وهذا يدل على عودة النفس إلى البدن يوم البعث وبذلك فقد ثبت ان للنفس حركات مشابهة تماماً للحركات التي جعلها العلماء من صفات الروح .

وعن الرسول ﷺ أنه لما كان يُقسم يقول : ﴿ والذي نفس محمد بيده ﴾ ، أي المالك لها المسيطر عليها القادر على إخراجها متى شاء وهذه صفة أخرى من صفات الروح جاءت في الحديث تعبيراً عن النفس . ولم يرد عند الاقدمين ولا التابعين إن النفس تبعث الحركة في الجسد إنما كانوا يقولون الروح ، مات فلان أي خرجت روحه من جسده .

١ - المصدر نفسه - ص ٧٥ .

٢ - الفجر : ٢٧ ، ٢٨ .

٣ - التكوثر : ٧ .

وبما أن الآيات القرآنية والحديث النبوي قد اظهرا أن النفس تخرج وتعود إلى الجسد وتشابهت صفات الروح مع صفات النفس في القرآن والحديث إذاً فالنفس هي الروح لا فرق عندنا بينهما وهما جوهر واحد إذا اتجه نحو العلويات فهو قابل للتنوير والاستيعاب وان اتجه نحو السفليات فهو فاعل بتحريك الأعضاء والحواس نحو الشهوات .

النفس والجسد

دأب الإنسان قديماً على إن البشر يهلك وييلي وهذا كل ما في الأمر ولكن الأديان السماوية أكدت على البعث مرة أخرى والحساب على الأعمال التي قام بها العبد وجاء الإسلام - ضمن آيات القرآن الكريم - بتفصيل عن الحياة الأخروية والجنة والشعور بالسعادة فيها وعن النار والشعور بالعذاب والحسرة على ما فات من فرص النجاة .

ولما علمنا إن الجسد يُيلي في التراب والنفس تخرج وتحلق في العالم الآخر وجب أن نثبت ان النفس والجسد شيئان مختلفتان قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾^(١). وهذا يدل على النفس راجعة إلى العالم الآخر بعد موت الجسد وأنها لا تموت بموته وبذلك فهي شيء آخر غيره . قال تعالى في خلق الإنسان : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾^(٢).

فلما تكلم الجليل سبحانه عن التحولات الجسدية (نطفة ، علقه ، مضغة ، عظام ، لحم) كان الكلام متسلسلاً ولما أراد النفخ فيه قال : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾^(٣). فثبت ان النفس شيء آخر غير الجسد .

١ - الفجر : ٢٧ ، ٢٨ .

٢ - المؤمنون : ١٤ .

٣ - المؤمنون : ١٤ .

إذن فالنفس أو الروح شيء غير الجسد الذي يبلى بالموت وهو وعاء احتوى النفس وعدّه أهل الطريقة سجنها فإذا انفلتت منه حلقت في عالم الملكوت لأنها من عالم الأمر وليس من عالم الخلق لقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١).

وهذا التحليق يعتمد على درجة صفاء النفس ومدى إطاعتها لله وانقيادها لأوامره .

منازل النفس في الطريقة

للنفس حالات مختلفة حسب صفاتها ودرجاتها وهي سبع حالات على اعتبار صفاتها يمر بها السالك ويرحل عنها خلال سيره إلى الله ﷻ :

النفس الأمارّة بالسوء

وهي النفس ذات الحُجب الظلمانية وبينها القرآن الكريم على أنها تأمر بالسوء ولا تأمر صاحبها بفعل الخير مطلقاً قال تعالى : ﴿ وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (٢).

وقال مُحمّد بن علي السنوسي عن النفس الأمارّة بالسوء : « وهي صاحبة الجهل والبخل والحرص والكِبَر والغضب والشرة والشهوة والحسد وسوء الخلق والخوض فيما لا يعني من الكلام وغيره والاستهزاء والبغض والإيذاء باليد واللسان لان هذه النفس هي المشار إليها بالخسران ، ويمكن التخلص من هذه الآفات بالذكر الكثير القوي وتقليل الطعام أو المنام فأن ذلك يضيق مسالك الشيطان وظهور حقيقة الإيمان » (٣).

والنفس الأمارّة بالسوء نورها ازرق ومحلها الصدر وعالمها الشهادة وواردها الشريعة وذكرها (لا اله إلا الله) وعدد تلاوته مئة ألف مرة وتوجيهه : ألهي اظهر

١ - الإسراء : ٨٥ .

٢ - يوسف : ٥٣ .

٣ - المسالك العشر - مُحمّد بن علي السنوسي .

عليّ بظاهر سلطان لا اله إلا الله ، لا اله إلا الله ، لا اله إلا الله ، وحقق باطني بحقائق لا اله إلا الله ، لا اله إلا الله ، لا اله إلا الله ، واستغرق فيك ظاهري باحاطة لا اله إلا الله ثلاثاً .

النفس اللوامة

وهذه النفس من صفاتها اللوم والفكر والعجب والاعتراض على الخلق والرياء الخفي وحب الشهوة والرياسة ولقد سماها الله ﷻ باللوامة لأنها تقلب صاحبها في أكثر أحوالها وتعمل ما يخالف أمر الله إلا إنها رغم هذا ترجع باللوم على ما وقع ، قال تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾^(١) . وقال السنوسي عنها : « وهي التي لها رغبة في المجاهدة وموافقة الشرع ولها أعمال صالحة من قيام وصيام وصدقة وغير ذلك من أفعال البر لكن يدخل عليها العجب وكذا الرياء الخفي بأن يحب صاحبها ان يطلع الناس على ما هو عليه من الأعمال الصالحة »^(٢).

فعلى المرید الجد والاجتهاد لاستخراج ما بقي فيه من آثار النفس الأمارة بالمجاهدة .

والنفس اللوامة نورها اصفر ومحلها القلب وعالمها البرزخ وواردها الطريقة وذكرها (الله) وعدد تلاوته مئة ألف مرة وتوجه : يا الله ، يا الله ، يا الله ، دلي بك عليك وارزقني الثبات عند وجودك لأكون متقرباً متأدباً به بين يديك يا الله ثلاثاً الهی بعظمتك وجلالك ارزقني حبك يا الله ثلاثاً الهی واجعل قلب عبدك الضعيف مظهراً لذاتك ومتبعاً لآياتك يا الله ثلاثاً .

النفس الملهمة

١ - القيامة : ١ ، ٢ .

٢ - المسالك العشر لمحمد بن علي السنوسي .

« وهي النفس التي جاهدت حتى مالت إلى عالم القدس فأصبحت مستنيرة بحيث ألهمها الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾^(١). وصفات هذه النفس السخاوة والقناعة والعلم والتواضع والصبر والتحلم وتحمل الأذى والعفو عن الناس وحملهم على الصلاح وقبول عذرهم وشهود بأن الله آخذ بناصية كل دابة فلم يبق له اعتراض على مخلوق أصلاً ومن صفاتها أيضاً الشوق والهيمنان والبكاء والقلق والأعراض عن الخلق والاشتغال بالحق وحب الذكر وبشاشة الوجه والفرح بالله »^(٢).

والنفس الملهمة نورها أحمر محلها الروح وواردها المعرفة وذكر (هو) وعدد تلاوته مئة ألف وتوجهه : يا من هو الله لا اله إلا أنت هو ، هو ، هو ، الهى حقق باطني بسرّ هويتك وقمّن متن عناية إنابتي إلى هوية ذاتك العلية يا من ليس كمثله شيء أغني عن كل شيء غيرك وخفف عني ثقل كتائف الموجودات وامح عني نقطة العزّة لأشهدك ولا أدري غيرك يا هو يا هو يا هو لا سواك موجود لا سواك مقصود يا وجود الوجود يا الله يا هو والحمد لله رب العالمين .

النفس المطمئنة

قال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾^(٣).

قال الإمام القشيري في تفسيره عن النفس المطمئنة : الروح المطمئنة إلى النفس ، ويقال المطمئنة بالمعرفة ، ويقال المطمئنة بذكر الله ، ويقال المطمئنة بالبشارة بالجنة . وقيل : النفس المطمئنة هي الروح الساكنة ، وصفات هذه النفس الجود والتوكل والحلم والعبادة والشكر والرضا بالقضاء والصبر على البلاء . ومن علامات دخول السالك في هذا المقام التلذذ بالتخلق بأخلاق الرسول ﷺ ولا يطمئن إلا

١ - الشمس : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

٢ - أحمد الجنيدي الشافعي - رسالة السير والسلوك .

٣ - الفجر : ٢٧ .

بإتباع قوله . والحجب في هذا المقام حب الكرامات والاجتهاد في طلبها . فليعلم السالكون أن كل ما سوى الله تعالى فتنة فلا يقف السالك عنده ولا يفكر بسوى الله : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾^(١).

« واعلم أن نفس الكرامة ليست شيئاً قبيحاً لأنها إكرام من الله تعالى لعبده ولكن طلبها والميل إليها شيء قبيح قاطع عن حضرة القرب الإلهية التي لا تنال إلا بالعبودية المودع فيها أسرار الربوبية »^(٢). وفي هذا المقام تعرض للسلالك نفسه حب الرئاسة والشهرة وتقلد أمور المشيخة والإرشاد فليحذر لان ذلك من دسائس هذه النفس وإذا ما أقامه الله في هذا المقام واشهره وألبسه ثوب المشيخة من غير سعي ولا طلب فعليه ان يقوم بأمر الله .

والنفس مطمئنة نورها أبيض ومحلها السر وواردها الحقيقة وذكرها (حي) وعدد تلاوته ألف مرة وتوجهه : يا حي ، يا حي ، يا حي ، أحييني حياة طيبة واسقني من شراب محبتك أعذبه وأطيبه الهي حقق حياتي بك يا حي ، يا حي ، يا حي ، تحيي روحي بك حياة أبدية وامنح سري بسري في الخطرات الشهودية واملا قلبي بالمعارف الربانية وأطلق لساني بالعلوم الربانية يا حي ، يا حي ، يا حي .

النفس الراضية

وهي النفس التي ترضى بكل ما يقع في الكون ، راضية بقضاء الله قال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾^(٣). قال ابن عربي في تفسيره هذه الآية : « ارجعي إلى ربك : في حال الرضا إذا تم لها كمال الصفات فلا تسكني إليه وأرجعي ألدات في حال الرضا الذي هو كمال المقام والرضا من الله

١ - النجم : ٤٢ .

٢ - محمد هشام - مدارج السالكين - ص ١٥٩ .

٣ - الفجر : ٢٧ ، ٢٨ .

لا يكون إلا بعد رضا الله عنها كما قال تعالى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾^(١) . «(٢)» .

وقال عنها مُحمَّد بن علي السنوسي : « وهي صاحبة الفناء الثاني الذي هو محور الصفات البشرية من غير ان يعقبه البقاء في الحال » «(٣)» .

«وصفات هذه النفس الزهد فيما سوى الله تعالى والإخلاص والورع والنسيان والرضا بكل ما يقع في الوجود من غير اختلاج ولا توجه لرفع المكروه منه ولا اعتراض أصلاً لأنه مُستغرق في شهود الجمال المطلق وقلبه مشغول بعالم اللاهوت وسر السر » «(٤)» .

والنفس الراضية نورها اخضر ومحلها سر السر وواردها المعرفة وذكرها (واحد) وعدد تلاوته مئة ألف مرة وتوجهه : يا واحد ، يا واحد ، يا واحد الهى أنت الموجود اجعلني موجوداً بنور وحدانيتك مؤيداً بشهود قرب أنسك يا واحد ، يا واحد ، يا واحد .

النفس المرضية

سميت هذه النفس مرضيةً لأنها بعنايات الله مرعية قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾^(٥) .

وصفات هذه النفس ، حسن الخلق وترك ما سوى الله تعالى واللفظ بالخلق والصفح عن ذنوبهم وحبهم والتقرب إلى الله .

١ - المائدة : ١١٩ .

٢ - مدارج السالكين عند الصوفية - مُحمَّد هشام ص ١٦٢ .

٣ - المسالك العشر .

٤ - السير والسلوك إلى الله - احمد الجنيدى

٥ - الفجر : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

« وسميت بالمرضية لان الحق تعالى قد رضي عنها ، فأخذت ما تحتاج إليه من العلوم من حضرة الحي القيوم ورجعت من عالم الغيب إلى عالم الشهادة بإذن الله تعالى لتفيد الخلق مما انعم الله به عليها »(١).

« ومن صفات السالك وهو في هذا المقام الوفاء بما وعد فلا يخلف وعده أصلاً ويضع كل شيء في موضعه فينفق الكثير إذا صادف محله حتى يظن الجهول انه أسرف ويخل بالقليل إذا لم يصادف محله حتى إذا رآه الجاهل قال هذا بخيل وهذه أحوال الكاملين من أرباب القلوب »(٢).

والنفس المرضية نورها أسود ومحلها الإخفاء وليس لها وارد وذكرها (عزيز) وعدد تلاوته مئة ألف مرة وتوجهه : يا عزيز ، يا عزيز ، يا عزيز ، اجعلني من عبادك الاعزين يا عزيز ثلاثاً الهي اعزني بعزتك واجعلني مكرماً يا عزيز ثلاثاً .

النفس الكاملة

وهي النفس التي لا ترضى بالوقوف عند مقام من المقامات السابقة وإنما هدفها كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾(٣).

« وصاحب هذا المقام لا يفتر عن العبادة وذلك إما بجميع البدن أو باللسان أو بالقلب وهو كثير الاستغفار كثير التواضع سروره ورضاه في توجه الخلق إلى الحق وحبه للحق أكثر من محبة ولده الذي من صلبه وهو كثير الأوجاع قليل الحركة ليس في قلبه كراهية لمخلوق من المخلوقات مع انه يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويظهر الكراهية لمستحقها ويظهر المحبة لمن هو أهل لها لا تأخذه في الله لومة لائم ويضع كل شيء في محله يرضى في عين الغضب ويغضب في عين الرضا أوجده الله

١ - مدارج السالكين - ص ١٦٥ .

٢ - المصدر نفسه .

٣ - النجم : ٤٢ .

تعالى وفق مراده وذلك لان مراده مراد الله فإذا أراد شيئاً طلبه من الله تعالى لا يُخَيِّبه» (١).

والنفس الكاملة ليس لها نور وعالمها الحيرة ومحلها الخفاء وواردها جميع ما ذكر وذكرها (ودود) وعدد تلاوته مئة ألف مرة وتوجهه : يا ودود ، يا ودود ، يا ودود اجعل قلبي ودأ لك يا ودود ثلاثاً الهي اعطني ودأ في قلبي وقلوب عبادك المؤمنين العارفين يا ودود ثلاثاً الهي اجعل عندك عهداً واجعلني عندك ودأ واجعل لي في صدور المؤمنين العارفين مودةً الهي أكفني شر من كفيته وكفايته بيدك يا ودود ثلاثاً .

إن هذه الأسماء السبعة هي الأصول ولها فروع ستة فإذا انتهيت من الأصول السبعة تنتقل إلى الفروع واحداً بعد واحد وهي (حق ، قهار ، قيوم ، وهاب ، مهيمن ، باسط) ، وتقرأ بعد التوجه بنفس عدد الاسم في الأصول (مئة ألف مرة) فإذا ختمت الأسماء كلها بفروعها تعود مرة أخرى من البداية وهكذا .

العلم والطريقة

إن للعلم منزلة وأهمية عظيمة في نظر الإسلام ، فهو الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع الإسلامي وهو عماده وقوامه ، ومن منطلق هذه الأهمية وتلك الفوائد جاء أمر الله ﷻ في الحث على العلم والتعلم فكانت أول آية قرآنية نزل بها جبريل عليه السلام هي : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^(١). وقال تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢).

ثم جاء الحديث النبوي الشريف ليرفع من شأن وأهمية العلم فقال ﷺ : ﴿ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ﴾ ، وقال ﴿ اطلبوا العلم ولو كان في الصين ﴾ ، فضرب ذلك مثلاً في بُعد المسافة في ذلك الوقت وتحمل المشاق في سبيل طلب العلم ، كما أمر ﷺ يوم بدر ان يعلم كل أسير من قريش عشرة من المسلمين القراءة والكتابة لقاء حريته .

يتبين من معنى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ان طلب العلم والتعلم واجب على كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية ذكراً كان أم أنثى وبالدرجة الأولى علوم الدين الإسلامي من حقيقة وشريعة ، لان أساس الدين الإسلامي الحنيف هو القرآن ، والقرآن علم الهي يجمع الكون كله بين طياته فلا بد للمسلم من الإلمام بالعلم والتفقه في سبيل استيعاب المبادئ والتعاليم القرآنية التي هي دستور الإسلام ومحمده الأول ، والعلوم على نوعين :

أ . العلوم الظاهرية وتشمل جميع العلوم الدينية التي يمكن ان تُدرس وتُعلم في الكتب إضافة إلى العلوم المادية الأخرى كالطب والرياضيات والطبيعات وعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم الفضائية .

١ - العلق : ١ .

٢ - الزمر : ٩ .

ب . علوم الطريقة : وهي العلوم الروحية التي لا يمكن ان تكتسب ولا تدرس في الكتب إلا عن طريق المصاحبة للشيخ العارفين والسلوك على أيديهم .
ولما كانت الطريقة الكسنزانية امتداد لرسالة سيدنا مُحَمَّد ﷺ وبعث للروح الإسلامية فهي تأمر جميع مُريديها بالتزام حلقات العلم وتعمل على بث روح الاجتهاد في التهالك على مناهل العلم والمعرفة بغية فهم أصول الدين الإسلامي واستيعاب مبادئ الطريقة .

ان الله ﷻ كلم الإنسان في القرآن الكريم مخاطباً عقله ولفت نظره إلى أسرار كونية دقيقة لا يمكن للمسلم ان يدركها ما لم يكن متسلحاً بسلاح العلم وقد مدح أقوماً بقوله تعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾ (١).

وذم أقوماً آخرين بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٢).

ان المسلم إذا ما نظر إلى المجموعة الشمسية مثلاً بإجرامها ومداراتها ودوراتها حسب نظام بديع لا يتخلله نقص أو فتور ولا تقديم ولا تأخير أدرك إن هذا من صنع خالق مبدع قدير أودع حكمته في مخلوقاته وجعل فيها إشارات تدل على وجوده وعظمته ، وان كل هذا التنسيق ليس من قبيل الصدقة أو عمل الطبيعة الخرساء كما يدعي بعض المفكرين من الطبيعيين والماديين : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ (٣).

ولا يدرك هذه الحقيقة إلا أهل العلم والبصيرة والتجربة ، فعلم الله ﷻ موجودة منذ الأزل ولكنه ﷻ يظهر ما يشاء إظهاره منها على أيدي من يشاء ، وما

١ - آل عمران : ١٩١ .

٢ - الفرقان : ٤٤ .

٣ - فصلت : ٥٣ .

الاكتشافات التي تتم على أيد العلماء إلا أشياء كانت منذ القدم في علم الله ﷻ وكان العلم سبباً في تركيبها - وليس خلقها - وإظهارها للناس عندما شاء الله ﷻ ان يظهر هذا الاكتشاف لفائدة تعم البشر . فالعلم سلاح المؤمن الذي أوجدها ﷻ من العدم لعباده ودعاهم إلى السعي لامتلاكه ، وكذلك فأن أهل الطريقة منذ البداية يؤكدون على ضرورة العلم للتريد السالك ، قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله : « تعلموا العلم فأن فيه خيراً ، تعلموا وعملوا حتى تنتفعوا بالعلم ، العلم كالسيف والعمل كاليد ، سيف بلا يد لا يقطع واليد بلا سيف لا تقطع » (١).

الإمام علي عليه السلام

إن لآل البيت النبوي الشريف منزلة عظيمة عند الله ورسوله وقد انحصر آل البيت في نسل الإمام علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء عليهما السلام وذلك عندما نزلت آية المباهلة : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢).

قال الرازي في التفسير الكبير : « وخرج رسول الله ﷺ وعليه مرط من شعر اسود وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول لهم : ﴿ إذا أنا دعوت فآمنوا ﴾ ، فقال أسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لأزاله بها فلا تباهلوهم فتهلكوا ولا يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة » (٣).

١ - الناشر الشيخ محمد الكسنتان - جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر .

٢ - آل عمران : ٦١ .

٣ - الحديث ذكره المفسرون والمحدثون وأهل السير والأخبار وكل من أرخ حوادث السنة العاشرة للهجرة وهي سنة المباهلة .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ من أبغضنا أهل البيت فهو منافق ﴾ .

وروي الزهري قال : لما حج رسول الله ﷺ حجة الوداع قام بغدير خم عند الهاجرة فقال من خطبة طويلة : ﴿ إن الله سائلكم كيف خلفتموني في كتابه وفي أهل بيتي ﴾ ، ثم قال : ﴿ أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين ﴾ قالوا الله ورسوله أولى بالمؤمنين يقول ذلك ثلاث مرات ثم قال في الرابعة وقد أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام : ﴿ من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ﴾^(١) .

وقال الرسول ﷺ : ﴿ أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتي والقاضي حوائجهم والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه ﴾^(٢) .

وقال : للإمام علي عليه السلام حينما توجه إلى تبوك وخلفه في المدينة : ﴿ أنت مني بمنزلة هارون من موسى ألا إنه لا نبي من بعدي ﴾^(٣) .

ولقد علم المسلمون عامة ، الأوائل منهم والأواخر منزلة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عند الله ورسوله فقد اختاره الله من بين رجال الأمة كما اختار زوجته السيدة فاطمة الزهراء وفضلها على نساء العالمين واختار ولديه الحسن والحسين عليهما السلام وجعلهما أئمة في الدنيا وسيدي شباب أهل الجنة وجعل الولاية متسلسلة في ذرياتهم .

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام انه قال : (أنا أول من صلى مع رسول الله ﷺ) .

١ - كشف الغمة في معرفة الأمة .

٢ - كشف الغمة في معرفة الأمة .

٣ - مسند ابن حنبل - ج ١ ص ٦٣ .

وعن انس بن مالك ان النبي ﷺ كان عنده طائر فقال : ﴿ اللهم إئتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير ﴾ ، فجاء علي بن أبي طالب عليه السلام فأكل .

وعن الإمام علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ ألا أعلمك كلمات إذ قلتهم غفر لك مع انه مغفور لك تقول لا اله إلا الله الحليم الكريم لا اله إلا الله العلي العظيم الحمد لله رب العالمين ﴾^(١).

وعن الإمام الحسن عليه السلام ان الرسول ﷺ قال يوم خيبر : ﴿ لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله فيقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ثم لا ترد رايته حتى يفتح الله عليه ﴾^(٢).

وعن الإمام علي عليه السلام قال : قال لي رسول الله ﷺ : ﴿ أنت ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي ﴾^(٣).

وقال الرسول ﷺ لما أعطى الراية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : ﴿ اللهم اكفه أذى الحر والبرد ﴾^(٤). قال الإمام فما وجدتُ حرّاً بعد ذلك ولا برداً .

وقال البغوي في معجمه عن بُريدة أن النبي ﷺ قال : ﴿ إن لكل نبي وصي ووارث وان علياً وصيي ووارثي ﴾^(٥).

الإمام على عليه السلام إمام أهل الطريقة

إلى الإمام علي عليه السلام ينتسب جميع أهل الطريقة فهو أستاذهم وإليه تعود جميع الطرق الصوفية حتى قيل عنه بحر الطرائق وقد أشاد بذلك أئمة ومشايخ الصوفية فقد قال ابن عجيبة : « أما واضح هذا العلم فهو النبي ﷺ علمه الله إياه بالوحي

١ - خصائص أمير المؤمنين علي - ص ٦٥ - النسائي تحقيق محمد هادي الاميني .

٢ - المصدر نفسه - ص ٦١ .

٣ - المصدر نفسه - ص ٦٤ .

٤ - المصدر نفسه - ص ٦٥ .

٥ - البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي ص ٧٠ .

والإلهام فنزل جبريل عليه السلام أولاً بالشرعية فلما تقرر نزل ثانياً بالحقيقة فخص بها بعضاً دون بعض وأول من تكلم فيها وأظهرها سيدنا الإمام علي عليه السلام وأخذ عنه الحسن البصري «(١)».

وقال العارف الحراق في شرح الحكم : « أول من تكلم في هذا العلم وأظهره سيدنا علي عليه السلام ثم أخذ عنه أول الأقطاب سيدنا الحسن ولده » «(٢)».

وقال أبو العباس أحمد بن يوسف في كتاب المنح الصافية : « قال بعض الشيوخ رضي الله عنه في حق الإمام علي عليه السلام انه أعطي العلم اللدني ولا تصح النسبة إلى الولاية التي هي منبع الولاية الحقيقية والمعارف الإلهية إلا من جهته وحقيقته فهو إمام الأولياء المحمدين كلهم وأصلهم ومنشأ انتسابهم إلى الحضرة المحمدية ومظهر نور الولاية المحمدية حين انشق قمر النبوة والولاية المندرج أحدهما في الآخر » «(٣)».

وقال الجنيد البغدادي رحمه الله : « صاحبنا في هذا الأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام ذلك امرؤ أعطي علماً لدناً » «(٤)».

وقال ابن عربي : « مولانا علي ابن أبي طالب رحمه الله هو إمام الصوفية رضي الله عنه وعنهم وهو أكبرهم وهو قطبهم » «(٥)».

وقال الحرّالي : « سلسلة أهل الطريق تنتهي من جهة المشايخ والمريدين إلى أهل البيت فجهاث طرق المشايخ ترجع عامتها إلى تاج العارفين أبي القاسم الجنيد وبداية أبي القاسم أخذها عن خاله السري والسري ائتم بمعروف ومعروف مولى علي

١ - البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي - ص ٦٤ .

٢ - المصدر نفسه ص ٦٤ .

٣ - المصدر نفسه ص ٦٤ .

٤ - المصدر نفسه ص ٦٤ .

٥ - المصدر نفسه - ص ٦٤ .

بن موسى وهو عن إبائه عليه السلام فرجع الكل إلى الإمام علي عليه السلام ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ «(١)».

مناقبه عليه السلام

قال الزمخشري للإمام علي كرم الله وجهه عشر مناقب لم ينلها غيره وإنما اختص بها وحده :

١ . انه أول من اسلم من الصبيان وأول من يدخل الجنة في هذه الأمة قال الرسول صلی اللہ علیہ وسلم : ﴿ يا علي انك أول من يقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب بعدي ﴾ .

٢ . انه المتخلف الأمين على الودائع من قبل رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم في وقت الهجرة .

٣ . انه من الرسول صلی اللہ علیہ وسلم بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة كما ورد في الحديث
٤ . إن الرسول صلی اللہ علیہ وسلم أخاه عندما آخى بين الأنصار والمهاجرين فقال له :
﴿ أنت أخي وصاحبي في الدنيا والآخرة ﴾ .

٥ . انه الممدوح بالسيادة لما روي عن النبي صلی اللہ علیہ وسلم انه قال لفاطمة عليها السلام :
﴿ زوجك سيد في الدنيا والآخرة ﴾ .

٦ . انه ولي الله وولي رسوله صلی اللہ علیہ وسلم وولي المؤمنين لما نزل في حقه من القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٢) .

٧ . انه أقضى الصحابة لقوله صلی اللہ علیہ وسلم : ﴿ أقضاكم علي ﴾ .

* وإبائهم الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام .

١ - البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي .

٢ - المائدة : ٥٥ .

٨ . انه محبوب المؤمنين ومبغوض المنافقين لقوله ﷺ للإمام علي عليه السلام :
﴿ لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق ﴾ .

٩ . انه ذو الأذن الواعية لما روي عن الرسول ﷺ انه لما نزلت : ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾^(١) . قال : ﴿ سألت الله ان يجعلها أذنك يا علي ﴾ .

١٠ . انه جمع ثلاث مفاخر لم تجمع لأحد سواه وذلك لما روي عن الرسول ﷺ انه قال له : ﴿ يا علي أعطيت ثلاثاً لم يعطها أحد غيرك صهراً مثلي وزوجةً مثل فاطمة وولدين مثل الحسن والحسين ﴾ .

وروي عن الرسول ﷺ لما غزا تبوك استخلف علياً على المدينة فلما نصر الله المسلمين وغنموا أموال المشركين جلس الرسول ﷺ يقسم السهام فدفع للإمام علي سهمين فقام أحد الصحابة وقال يا رسول الله أوحى من السماء أم أمر من نفسك ؟ فقال رسول الله ﷺ : ﴿ أنشدتكم الله هل رأيتم في رأس ميمنتكم صاحب الفرس الأغر المحجل والعمامة الخضراء لها ذؤابتان مرخاتان على كتفيه ، بيده حربة وقد حمل على الميمنة فأزالها وحمل على الميسرة فأزالها وحمل على القلب فأزاله ؟ ﴾ قالوا نعم لقد رأينا ذلك قال : ﴿ هو جبريل وانه أمرني أن ادفعَ بسهمه لعلي ﴾^(٢) .

وعن النبي ﷺ انه قال : ﴿ مبارزة علي في يوم الخندق تعادل أعمال الناس إلى يوم القيامة ﴾ .

منزلته العلمية

لقد كان الإمام علي عليه السلام منذ البداية منزلة رفيعة وخصوصية خاصة تقدم بها على باقي الصحابة الكرام لسابق عناية به من الله ﷻ فكان علماً بارزاً من أعلام الدين الإسلامي فهو وارث علم النبوة وكاتب وحيها وكاتم سرها ، وهو بحر العلوم

١ - الحاققة : ١٢ .

٢ - عبد الرحمن الشرفاوي - علي إمام المتقين ج ١ .

وله سرعة ودقة في الإجابة عن الأسئلة التي تعجز الأفكار وتحير العقول فقد قال له رجل يا أمير المؤمنين كم المسافة بين المشرق والمغرب ؟ فقال مسير يوم مشمس .
وقيل له لو سُد على رجل باب بيته وترك فيه من أين يأتيه رزقه ؟ فقال : من حيث يأتيه أجله .

وسأله رجل كم المسافة بين السماء والأرض ؟ فقال : دعوة مستجابة .
وقيل له صف لنا العاقل ؟ فقال : هو الذي يضع الشيء موضعه فقيل له صف لنا الجاهل فقال قد فعلت .

وسأل ما الفرق بين الحق والباطل ؟ فقال : أربعة أصابع ، وجمع أصابعه الأربعة ووضعها بين أذنه وعينه .

ولما أراد المسير إلى الخوارج قال له ابن الأحمر يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة ؟ فقال ولم ؟ قال : لأن القمر في العقرب ، فقال عليه السلام قمرنا أم قمرهم ؟!
وسئل عن خمسة مشوا على الأرض ولم يخلقوا في الأرحام ، فقال : آدم وحواء وناقّة صالح وكبش وإبراهيم وعصا موسى .

وسئل ما هو أصل الأشياء ؟ فقال : الماء لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾^(١).

وسئل عن الأيمان فقال : الأيمان على أربعة دعائم : « الصبر ، واليقين ، والعدل ، والجهد ، ثم وصف الصبر على عشر مقامات وكذلك اليقين والعدل والجهد وصف كل واحد منها على عشر مقامات فهو أول من تكلم في الأحوال والمقامات »^(٢).

١ - الأنبياء : ٣٠ .

٢ - محمد رضا الخفاجي - في رحاب الإمام علي ص ٣٤ - ٣٥ .

وعن ابن مسعود قال كنت عند النبي ﷺ فسئل عن علي بن أبي طالب فقال : ﴿ قُسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً ﴾ (١).

وقال له يهودي أسالك مسائل لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي فقال قل فقال اليهودي اخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله ؟ فقال الإمام : أما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود أن العزيز بن الله والله لا يعلم أن له ولداً وأما قولك اخبرني عما ليس عند الله فليس عند الله ظلم العباد وأما قولك اخبرني عما ليس لله فليس لله شريك . فقال اليهودي أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله .

وقال الإمام علي عليه السلام : « لو كسرت الوسادة ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بر أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار إلا وأنا اعلم فيمن نزلت وفي أي شيء نزلت » (٢).

ومن مبلغ علمه انه خطب خطبة خالية من الألف وأخرى خالية من النقط حيث كان عند رسول الله ﷺ فتكلم القوم عن أهمية الألف في اللغة فقام الإمام علي فقال : « حَمَدْتُ وعَظُمْتُ من عَظُمْتُ منته وسَبُغْتُ نعمته وسَبَقْتُ رحمته غضبه وتمت كلمته ونفذت مشيئته . وقال في موضع آخر خطبة خالية من النقط الحمد لله أهل الحمد ومأواه وله أوكد الحمد وأحلاه وأسرع الحمد وأسراه واطهر الحمد واسماه وأكرم الحمد وأولاه » (٣).

ما قاله الإمام علي عليه السلام من الحكَم

١ - البرهان الجلي ص ٦٠ .

٢ - البرهان الجلي ص ٩٣ .

٣ - محمد رضا الخفاجي - في رحاب الإمام علي ص ٢١ .

لم يكن الإمام علي حكيماً زمانه فحسب وإنما خُلدت كلماته وحِكمه على مر الزمن بجرّاً لا يخاض وحكيماً فذاً لا يُجارى وقد اخترنا من حِكمه الكثيرة نزراً أقل من القليل للإشادة فقط حيث قال :

- ١ . الجاهل صغير وإن كان شيخاً والعالم كبير وإن كان حدثاً .
- ٢ . الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يُحسن فتكلموا في العلم تبين أقداركُم .
- ٣ . ولبأس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً .
- ٤ . الولد العاق كالإصبع الزائدة إن تُركت شانت وإن قطعت آلت .
- ٥ . احتج إلى من شئت تكن أسيره واستغن عن من شئت تكن نظيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره .
- ٦ . أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة .
- ٧ . الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب .
- ٨ . جولة الباطل ساعة وجولة الحق إلى قيام الساعة .

ما قيل في حق الإمام علي عليه السلام

قال الكثير من الكُتاب والدارسين اراءً كثيرة في حق الإمام علي عليه السلام فقد قال عنه توماس كارليل في كتاب الأبطال : « أما عليّ فلا يسعنا إلا أن نحبه ونتعشقه فإنه فتى كبير النفس جليل القدر يفيض وجدانه رحمةً وبراً ويتلظى فؤاده نجدةً وحماسة وكان أشجع من ليث ولكنها شجاعة ممزوجة بركة ولطف » (١). وقال الكاتب أحمد حسن الزيات : « ولا نعلم بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله فيمن سلف وخلف أفصح من علي في المنطق » (٢).

١ - محمد رضا الخفاجي - في رحاب الإمام علي ص ١٩ .

٢ - المصدر نفسه ص ٢٠ .

وقال الشيخ مُحَمَّد عبده : « إذا أردت ان تكون كاتباً فذاً فخذوا الإمام علي عليه السلام أستاذاً واتخذ أقواله الدرية في ظلمات ليلك نبراساً »(١).

وقال إبراهيم اليازجي : « ما اتفقت الكتابة إلا بدرس القرآن الكريم ونهج البلاغة القويم فهما كنز العربية لا ينفد وذخيرتها للمتأدب ، وهيئات ان يظفر أديب بحاجته من هذه اللغة الشريفة إن لم يحبي لياليه سهرأ في مطالعتها »(٢).

وقال عبد الله بن عباس وهو حبر الأمة : « إن كل ما عندنا من علم التفسير ومتعلقاته مأخوذة من علي عليه السلام وإننا كنقطة من بحر علمه »(٣).

وقال جبران خليل جبران : وفي عقيدتي إن ابن أبي طالب كان أول عربي لازم الروح الكلية وجاورها وسامرها ، وهو أول عربي تناولت شفتاه صدى أغانيها على مسمع قوم لن يسمعوها بها من ذي قبل فتأهوا بين مناهج بلاغته وظلمات ماضيهم ، فمن أعجب بها كان إعجابه موثقاً بالفطرة ، ومن خاصمه كان من أبناء الجاهلية . مات علي بن أبي طالب شهيد عظمته ، مات والصلوات بين شفته مات وفي قلبه الشوق إلى ربه . ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره حتى قام من جيرانهم الفرس أناس يدركون الفارق بين الجواهر والحصى ، مات قبل أن يبلغ العالم رسالته كاملة وافية غير أنني أتمثله مبتسماً قبل أن يغمض عينيه من هذه الأرض ، مات شأن جميع الأنبياء الباصرين الذين يأتون إلى بلد ليس بزمينهم ولكن لربك شأناً في ذلك وهو اعلم .

وقال البارون كاراديجو في مؤلفه (مفكرو الإسلام) المؤلف باللغة الفرنسية وعلي ذلك البطل الموجه المتألم ، والفارس الصوفي ، والإمام الشهيد ذو الروح العميقة القرار التي يمكن في مطاويها سر العذاب الإلهي .

١ - المصدر نفسه ص ٢٠ .

٢ - المصدر نفسه ص ٢٠ .

٣ - المصدر نفسه ص ٨٩ .

وقال الأستاذ شبلي الشُّمَيْل : الإمام علي بن أبي طالب ، عظيم العظماء ،
نسخة مفردة لم يَر لها الشرق ولا الغرب صورة طبق الأصل لا قديماً ولا حديثاً .

وقال فيه الشاعر بولس سلامة :

وَأَخَاهُ وَصِيْرَهُ وَالْوَصِيَا	كَانَ رَبَّ الْكَلَامِ مِنْ بَعْدِ طَه
مَا رَأَتْ مِثْلَهُ الرِّمَاحُ كُمِيًّا	بَطْلَ السِّيفِ وَالتَّقَى وَالسَّجَايَا
وَإِخْشَاعِي إِنْني أَرَدْتُ عَلِيًّا	يَاسْمَاءُ أَشْهَدِي وَيَا أَرْضُ قُرِّي

وقال الأستاذ ميخائيل نعيمة : وبطولات الإمام علي ما اقتصرت يوماً على
ميادين الحرب ، فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته ، وطهارة وجدانه وسحر بيانه ،
وعمق إنسانيته ، وحرارة إيمانه ، وسمو دعوته ، ونصرته للمحروم والمظلوم من الحارم
والظالم وتعبدته للحق أينما تجلى له الحق ، وهذه البطولات ومهما تقادم بها العهد لا
تزال مقلعاً غنياً نعود إليه اليوم وفي كل يوم كلما اشتد بنا الوجد إلى بناء حياة
صالحة فاضلة .

وقال جورج سجعان جرداق : وسواءً لدى الحقيقة والتاريخ أُعْرِفَ هذا العظيم
أم لم تعرفه فالتاريخ والحقيقة يشهدان انه الضمير العملاق الشهيد أبو الشهداء علي
بن أبي طالب صوت العدالة الإنسانية وشخصية الشرق الخالدة !
وماذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت في كل زمن علياً بعقله وقلبه
ولسانه وذو فقاره !! .

كراماته عليه السلام

• روي انه عليه السلام لما أراد أن يعبر الفرات ببابل واشتغل كثير من أصحابه بتعبير
دوابهم فصلى الإمام صلاة العصر مع طائفة منهم وفاتت الجمهور الأكبر تلك
الصلاة فتكلموا في ذلك فلما سمع سأل الله أن يرد الشمس عليهم فأجابه الله تعالى
وعادت لحالها وقت العصر فصلى الجميع ولما سلم بالقوم غابت وسمع لها صوت
هال الناس فأكثرُوا من التسبيح والتهلِيل والاستغفار .

• وقاضى رجالاً أتهم بنقل الأخبار إلى معاوية فأنكر الرجل فقال له الإمام لتحلفن أنك ما فعلت ، فقال : نعم . ثم قال الإمام علي إن كنت كاذباً أعمى الله بصرك فما دارت عليه جمعة حتى عمي .

* ولما ركب إلى الخوارج بعد أن اجتمعوا على قتاله لقيه فارس ، فقال يا أمير المؤمنين أتهم عبروا النهر ، فقال أنت رأيتهم عبروا النهر فقال نعم ، فقال عليه السلام : والذي بعث محمدًا لا يعبرون ولا يبلغون قصر بنت كسرى حتى تُقتل مقاتلتهم على يدي فلا يبقى منهم إلا أقل من عشرة ولا يقتل من أصحابي إلا أقل من عشرة فكان كما قال عليه السلام .

• وروى الحافظ محيي الدين النجار عن أسماء بنت عُميس قالت سمعت سيدي فاطمة عليها السلام تقول فزعت ليلة في فراشي حيث سمعت الأرض تحدث علياً بن أبي طالب ويحدثها فأصبحت وأنا فزعنة فأخبرت والدي عليه السلام فسجد سجدة طويلة ثم رفع رأسه وقال : ﴿ يا فاطمة ابشري بطيب النسل فان الله فضل بعلك على سائر خلقه وأمر الأرض أن تحدثه بأخبارها وما يجري على وجهها من شرقها إلى غربها ﴾ .

• روى الحسن بن زكردان الفارسي قال : كنت مع أمير المؤمنين علي فشكا إليه الناس زيادة نهر الفرات وإغراق مزروعاتهم فدخل بيته ثم خرج وعليه جبة رسول الله عليه السلام وعمامته وبيده قضيب فدعا بفرسه فركب ومضى ومعه أولاد والناس حتى وقف على الفرات فنزل عن فرسه وصلى ركعتين ثم قام وأخذ القضيب بيده ومشى على الجسر وليس معه سوى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام فأهوى إلى الماء بالقضيب فنقص ذراعاً فقال أيكم ؟ فقالوا لا يا أمير المؤمنين فأعاد المرة تلو المرة حتى قالوا حسبنا يا أمير المؤمنين فركب فرسه وعاد إلى منزله .

• وذهب ذات يوم عليه السلام إلى السوق لشراء بعض الحاجات فرأى بعض الفقراء يستعطونه فأعطاهم كل ما كان يملك قبل أن يصل إلى السوق وبعد ذلك مرَّ به

رجلٌ يسوق جملاً فعرض على سيدنا علي شراء ذلك الجمل فقال الإمام : أريد
شراءه ولكن لا املك ثمنه الآن فهل تمهلني ريثما يفتح الله عليّ فأخذ البعير وسار
به نحو السوق فرأى رجلاً آخر فقال : يا علي أتبيع هذا الجمل قال : نعم فأعطاه
ثمنه نقداً فاشترى الإمام بعض حاجياته التي جاء من أجلها واحتفظ بالباقي ثم عاد
إلى البيت فقص الحكاية على أهل بيته ولما بلغ ذلك إلى الرسول ﷺ قال : ﴿ يا
علي الرجل الأول كان جبريل عليه السلام والثاني كان ميكائيل عليه السلام ﴾ .

الخلود في الطريقة

لما بُعث الإنسان في الحياة الدنيا وذاق طعمها والتذُّ بجلاوتها كره الموت وأحب الخلود فيها فراح يفكر في وسيلة للحفاظ على حياته الدنيا واستمرارها بعيدة عن الموت والفناء . وكان الاسكندر (ذو القرنين) واحداً من الأفذاذ الذين بذلوا جهوداً كبيرة لبلوغ ماء الحياة (الخلود) حتى انه قطع المسافات والمسافات ومشى سنين طوال نحو مغربستان للوصول إلى هذه الحقيقة ولكنه توفي اثر ذلك ولم يبلغ ما أراد . ولم تخلُ البشرية ممن جاء بعد الاسكندر أو قبله من التفكير والمحاولة في البحث عن الخلود ولكنها باءت بالفشل حتى بعث الله ﷺ سيدنا مُحَمَّدًا ﷺ بالإسلام موضحاً خلود الإنسان في الدارين وبقائه حياً حياة أبدية عن طريقين :

الأول : الشهادة في سبيل الله : وهي بذل النفس خالصة في سبيل الله دون أية غاية ذاتية أو مادية وإنما لأجل إعلاء كلمة الحق عالية فيكون الإنسان بائعاً نفسه لله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾^(١). فيخلد ذلك الإنسان ويكون حياً في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(٢).

الثاني : الطريقة (العبادة) : في غمرة انشغال الإنسان بالدنيا وزخرفها لا يذكر الموت إلا حينما يداهمه الكبر والهزم ويشعر بحقيقة فناءه ودنو أجله ، ولكن العقلاء من أهل الطريقة فكروا بالموت قبل مجيئه فبدءوا بالعبادات والرياضات الروحية والزهد والتقوى والابتعاد عن ملذات الدنيا ومغرياتها فتحقق لهم إلى الله تبارك وتعالى فأروا بأعينهم حقيقة الخلود واطمأنوا بأنهم لن يموتوا : ﴿ إِلَّا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^(٣). لأن من رأى بعينه لا يخاف بعد ذلك

١ - التوبة : ١١١ .

٢ - آل عمران : ١٦٩ .

٣ - يونس : ٦٢ .

ولا يكون حزيناً فلا يهتمه الجوع والعطش ولا مال الدنيا وزخرفها ولا يخاف من الآخرة لأنه رأى وحظي بقاء ربه وفني فيه لان الله ﷻ لم يخلق الإنسان عبثاً : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمُ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾^(١). ويكون شاخصاً في الدنيا والآخرة لان حياته ومماته سواء : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مِّمَّنْهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾^(٢). فقد رأى بعينه الدنيا والآخرة ووصل إلى الحقيقة وماء الحياة الأبدي قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾^(٣). ومثال ذلك الأنبياء والأولياء الذين لا تبلى أجسادهم في التراب وكذلك سيدنا الخضر عليه السلام علمه الله ﷻ العلم اللدني فأصبح حياً إلى يوم الدين ، فالعابد السالك في طريق الصوفية المتفاني في الله ﷻ يكتسب صفاته الخارقة من قدرة وبصيرة علم وغير ذلك قال تعالى في الحديث القدسي : ﴿ عَبْدِي اطعني تكن مثلي ، إذا قلت لشيء كن فيكون ﴾ أي انه صار خالداً وحياً لا يعتريه الموت والفناء وإنما يكون انتقاله من عالم إلى عالم قال تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾^(٤). فالسلطان هو محبة الله ورسوله والمداومة على ذكر الله والاستغراق في ذاته وصفاته حتى يبلغ مبلغ الرجال ويكون في مصافي العظام ويلبسونه لباس الحق ويُفنى الموت أمامه ويذوب فهو يعانق عالم الحق والحق يعانقه والخلود والشهود محيطان به .

١ - المؤمنون : ١١٥ .

٢ - الجاثية : ٢١ .

٣ - الحجر : ٩٩ .

٤ - الرحمن : ٣٣ .

المرأة في الطريقة

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (١).

منذ البداية لم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة إلا بالعمل الصالح أي تقوى الله ﷻ ، ولقد كان أداء حقوق المرأة ووضعها في المكان اللائق بها واحترام رسالة الأمومة التي تحملها من الأمور التي أخذها الإسلام بعين الاعتبار وعاب على الجاهلية امتهان المرأة وغبن حقوقها في حرية الرأي والمشاركة ولقد استحققت السيدة خديجة لقب سيدة نساء قريش لأنها جمعت إلى جانب النسب العريق الطهر والعلم والتقوى ، وكان لها دور كبير في إسناد الرسول ﷺ بنشر الدعوى الإسلامية بكل ما تملك من غالٍ وثمان فأصبحت بما بذلته من جهود مضية في سبيل ترسيخ عقيدة التوحيد عضواً فعالاً وامرأة مشاركة في بكل جوارحها مع الرجال المسلمين في ميدان العمل في الجهاد . وكذا كانت الزهراء عليها السلام فقد واكبت مسيرة الرسالة المحمدية وفتحت عيناها على الوحي ونور النبوة فلازمت أباهما ﷺ إيماناً وعقيدة وعاشت الأحداث الساخنة وشهدت المصاعب والأحزان وكانت في بيتها مثلاً رائعاً للمرأة المؤمنة التقية عبادة وتسيحاً وجهاداً وصبراً ، وكانت هي والسيدة عائشة من اصدق رواة الحديث النبوي الشريف أسوة بالصحابة رواة الحديث فاستحققت بذلك لقب سيدة نساء العالمين ، وكيف لا ؟ وهي ابنة رسول الله وقرة عينه ﷺ وهو القائل عنها : ﴿ فاطمة بضعة مني حبها حي وبغضها بغضي ﴾ .

وكذلك الأمر مع نساء النبي ﷺ فقد كنا مؤمنات حاملات تعاليم الدين الإسلامي إلى نساء المسلمين وكانت لها تساييح كثيرة وكن يستعملن الحصى والنوى في التسبيح ولقد تعرضن إلى الاختبار الشديد حين خيرن بين الله ورسوله وبين

زخرف الدنيا فنحن كلهن في الاختبار حين اخترن الله ورسوله فاستحقن بذلك لقب أمهات المؤمنين : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾^(١).

وكانت المرأة المسلمة مجاهدة صابرة متحملة الأذى مع زوجها إيماناً منها بصدق الرسالة المحمدية كما هاجرت الكثير من النساء مع أزواجهن من مكة فراراً بالدين الحنيف وكانت من المهاجرات السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ حيث هاجرت إلى الحبشة مع زوجها سيدنا عثمان بن عفان ، كانت المرأة المسلمة من السباقيين في التضحية والجهاد في سبيل الله فكانت سمية أول شهيدة في الإسلام وكانت نسيبة الأنصارية وخولة بنت الأزور وغيرهن كثيرات من النساء اللواتي قدمن الكثير من التضحيات في سبيل الله .

ولقد كان القرآن الكريم ومنذ بدايته لا يفرق بين المرأة والرجل إلا بالتقوى ويذكرها إلى جانب الرجل قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾^(٢). وقال تعالى : ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٣). وقال تعالى : ﴿ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾^(٤).

وان من الحقائق الجليلة الثابتة بالتجربة والتي لا ينكرها عارف ، ان حقيقة الطريقة الكسنزانية هي إتباع المنهج الروحي الكامل للرسول ﷺ ، وهي ليست طائفة دينية أو فرقة سياسية ، بل هي نواة الإسلام ومنطلقه الحقيقي ورافده الذي لا ينضب .

١ - الأحزاب : ٢٨ .

٢ - النساء : ١٢٤ .

٣ - الأحزاب : ٣٥ .

٤ - الممتحنة : ١٢ .

ولما كان رسول الله ﷺ يمثل القرآن في كل صفاته وحركاته وأعماله الجليلة فصار قرآناً ناطقاً كما وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت عن خلق رسول الله ﷺ فأجابت : (كان خلقه القرآن) ، إذن فالطريقة العلية القادرية الكسنزانية هي تطبيق عملي وروحي لنصوص القرآن بكل جوانبها ، فالطريقة وبصفتها تمثل القرآن أعطت للمرأة مكانتها الخاصة ودورها المشرف في مشاركة الرجل في تكوين الأسرة وتهذيبها على القيم العليا ومبادئ الإسلام السامية وحماية حقوقها وضمان أمنها .

ان الرباط المقدس الذي يربط بين الزوجين على أساس ثابت من التفاهم وحرية الاختيار والرغبة تعدد الطريقة الكسنزانية الأساس الأول في إنجاح الزواج القائم على أساس الرغبة في تطبيق سنة المصطفى ﷺ حفظاً للنوع واستمرار العبودية لله جل وعلا وليس لتحقيق الرغبات الشهوانية لفترة معينة ثم يتم التفريق على أساس اتفاق مسبق ، لان مثل هذه الأعمال المشينة موقوفة وملغية شرعاً وقانوناً وعرفاً ولا تخدم الإسلام ، بل تسيء إلى كرامة المرأة وتخط من قدرها وهي النصف الثاني للمجتمع .

إذ إن للمرأة دوراً تربوياً متميزاً فهي احد الأعمدة الأساسية التي يقوم بها كيان الأسرة الإسلامية والتي تعدها الطريقة المنطلق الأول لتربية الأجيال المسلمة وهي المدرسة التي تتخرج فيها أفواج من الرجال المؤمنين المسلحين بسلاح الإيمان فمنهم المجاهدون والعلماء والفقهاء الفاضلون ، ومنهم القواد والفرسان الأبطال الذين فتح الله على أيديهم الممالك والأمصار ، وإن المرأة المسلمة إذ تشبعت بمبادئ الإسلام وقيمته ومثله وتعاليمه الرفيعة تكون هي النموذج الأعلى والقذوة المثلى فتنعكس آثارها الايجابية جليلة واضحة في أبنائها وبناتها في محيط أسرتها الملتزمة المرتبطة بهدي دينها القويم دين الإسلام الحنيف مكونة أسرة حضارية حاملة أخلاقاً فاضلة تحقق السلام والطمأنينة وحياة سعيدة متآخية متعاونة في مجتمع إسلامي موحد تنشده

الطريقة وتعدده هدفاً من أهدافها السامية لتحقيق التقدم الحضاري والإنساني على جميع المستويات وفي مختلف المجالات .

يظهر من خلال ذلك ان هدف الطريقة ودورها المشرف هو تكوين أسرة صحيحة قوية البنيان ثابتة الأساس ولا يتم ذلك إلا عن طريق المرأة الفاضلة المتحلية بالجوانب الروحية الإسلامية التي تجعل منها نوراً ساطعاً يضيء الطريق لأبناء أسرتها وتوجيهه الوجهة المستقيمة العادلة التي اختارها الله تبارك وتعالى لبني البشر لأداء ما كلفوا به من تحقيق رسالة الخلافة في الأرض . ولقد استمرت المرأة المسلمة إضافة إلى حمل رسالة الأمومة عابدة ربها مؤمنة برسالة سيدنا محمد ﷺ وبرزت نسوة تميزن عن غيرهن في الإيمان والعقيدة وسلكن طريق الصوفية كرابعة العدوية ورابعة الشامية ومعاذة العدوية وغيرهن كثيرات كل واحدة منهن كانت صاحبة أحوال ومقامات ومكاشفات ومشاهدات وبرزت من بينهن رابعة العدوية التي تعد أول امرأة في العصر الأموي صدحت بالعشق الإلهي وسمت بروحها فوق عالم الماديات فأصبحت حديث الناس لا في أرض الرافدين فقط وإنما في كل زمان وفي كل مكان من العالم يذكر فيه أهل الورع والتقوى والزهد والعبادة ، ولقد أثبتت رابعة العدوية وقريناتها السالكات طريق الحق ، ان المرأة بإخلاصها وطهرها وشفافيتها تستطيع ان تفوق كثيراً من الرجال البارزين في العلم والمعرفة والتقوى والورع وان تكون لها الأولوية في نيل الدرجات في مضمار سباق التقرب من حضرة الجليل ﷺ ولم تتوقف المرأة في سلوكها الطريق القويم عند رابعة العدوية وقريناتها بل ظلت مسيرة المرأة الصوفية مستمرة جيلاً بعد جيل وحملت راية الطهر والعفاف والمنافسة المشروعة في نيل درجات الغلا نساء كثيرات ممن سمت أرواحهن وزكت أنفسهن وعفت ألسنتهن عن المآثم فوقفن شامخات راسيات أمام أعاصير زخرف الحياة ورياح النفس الأمارة بالسوء فكان حبهن لله رفيعاً عبقاً بالتقوى متلاً بالورع ممزوجاً بالأشواق السابحة في عالم الملكوت ، وهكذا الأمر مع المرأة الكسنزانية فلقد كانت ولا زالت حضها

وافر وقلبها ظافر بحب الله عامر بالآيمان تعبد وتذكر وتترقى في الدرجات والى جانب ذلك فهي ترشد وتربي المريدات وتدير التكايا وتتصدر حلقات التعليم الديني وذلك لما اتصفت به الطريقة الكسنزانية بأنها امتداد لرسالة الرسول الأعظم ﷺ وبعث للروح الإسلامية من جديد ، فأنها لم تكن تفرق بين الذكور والإناث وتعطي لكل واجبه وحرية في السلوك كما كان ولا زال الإسلام فأن أكرم الخلق عند الله أكثرهم تقوى له ﷻ .

وتظهر مساواة المرأة للرجل في الحقوق والواجبات الدينية والمشاركة العملية في الحياة العامة منذ بداية الخليقة حيث قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾^(١) . فدللت هذه الآية الكريمة على المشاركة الفعلية للمرأة مع الرجل في الحياة يسراً أو عسراً ، وان أعداء الإسلام الذين لم يفهموا الإسلام فهما عصرياً قد اتهموه بأنه فرق بين الرجل والمرأة في المجالات الاجتماعية وذلك بنظرهم إلى الآية الكريمة الآتية : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾^(٢) . فكلمة قوامون صيغة مبالغة لـ (قائم) أي كثير القيام بمعنى إن مجال عمل الرجل يختلف اجتماعياً عن مجال عمل المرأة فواجب الرجل تأمين العيش وتوفير الحماية الكافية لأسرته من الأخطار التي تحيط بها وليس معنى ذلك ان الرجل له الحق في التحكم بحرية المرأة في إبداء الرأي أو القيام بالواجبات الأساسية ما لم يكن ذلك في معصية الله .

لقد أعطى الإسلام للمرأة حرية العمل وتولي المناصب وبرزت الكثير من النساء اللواتي كانت لهن مطارحات أدبية وحضور لمجالس العلم والفقه وعلى سبيل الشريعة الإسلامية [لم يستثن الفقهاء من المساواة في الحقوق بين الجنسين إلا الإمامة الكبرى - أي الخلافة - وفيما عدا ذلك فقد روي عن عمر بن الخطاب انه ولى الشفاء على السوق وهي امرأة من قومه ، وروي عن الإمام أبي حنيفة انه جوز للمرأة ان

١ - البقرة : ٣٥ .

٢ - النساء : ٣٤ .

تكون قاضياً في الأموال وجوز غيره من الأئمة لها ان تقضي في كل الأمور ، وقد
برز ابن حزم هذه المساواة اعتماداً على الآية الكريمة : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ
أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾^(١). فهي موجهة بعمومها إلى الرجل والمرأة [٢].

يتضح من هذا ان الإسلام قد هياً فرصاً عقلية وتربوية للمرأة المسلمة فإذا
أحسنست استغلالها بلغت بها أعلى المراتب التي قدر للرجال بلوغها كما ارتقى
الإسلام المرأة عن مستوى السلوك الحيواني إلى مستوى العلوم الراقية وذلك بدعوته
إلى تعليم المرأة واهتمامه بثقافتها وتهذيبها وفتح أمامها مجالات العمل الواسعة وأجاز
لها الدخول إلى ميادين العمل التي تناسب طبيعتها قال الرسول ﷺ : ﴿ طلب
العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ﴾ .

إن اهتمام الطريقة والتزامها بتعليم المرأة أصول الدين والعبادة وخلق فرص من
المساواة بين الذكور والإناث يرجع إلى اهتمام الإسلام بهذا المبدأ إذ إن العبادة
والتقوى أمر من الله تبارك وتعالى لجميع العباد ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٣).

١ - النساء : ٥٨ .

٢ - د . صبحي الحمصاني - أركان حقوق الإنسان ص ٢٩٧ بتصرف .

٣ - الذاريات : ٥٦ .

البيعة

البيعة هي العهد والتسليم لله والرسول ﷺ والشهادة له بالنبوة وقد قرن الله ﷻ البيعة للرسول بالبيعة لله في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (١).

وقال ﷺ : ﴿ من صافحني أو صافح من صافحني إلى يوم القيامة دخل الجنة ﴾ (٢). والمصافحة تعني الاعتراف والشهادة بالنبوة والمعاهدة يداً بيد على الالتزام بقواعد الإسلام ، ويتبين من هذا ان من وضع يده على هيئة المصافحة في يد سيدنا محمد ﷺ تكون يد الله فوق يده وفاز فوزاً عظيماً ، وأي فوز أعظم من ان تكون يد الله فوق يدك أيها المبايع لرسول الله ﷺ وأية منزلة تعادل منزلة الرسول العظيم ﷺ عند الله تعالى إذ جعل مبايعة الرسول ﷺ مبايعة لذاته تعالى ، وهذا حدث في زمن النبوة أما بعد انتقال الرسول ﷺ إلى عالم الشهود ، فقد ورث سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اللبسة الروحية والخلافة في الولاية منه ﷺ وهذه الخلافة هي مشيخة الطريقة وقد ذكر ذلك المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي فقال : « قال علي بن أبي طالب يا رسول الله ذلني على اقصر الطرق إلى الله وأخفها عليّ فقال الرسول ﷺ : ﴿ يا علي عليكم بمداومة ذكر الله في الخلوات ﴾ فقال علي عليه السلام هذه فضيلة الذكر وكل الناس يذكرون فقال الرسول : ﴿ يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله ﴾ فقال علي : كيف اذكر يا رسول الله ؟ قال ﴿ أغمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا اسمع ﴾ فقال النبي ﷺ : ﴿ لا اله إلا الله ﴾ ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته وعليّ يسمع ثم قال علي : لا اله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته والنبي يسمع » (٣). وورث

١ - الفتح : ١٠ .

٢ - ذكره الشيخ محمد بن عقيلة في مخطوطة دار المخطوطات العراقية برقم ١١٣٥٣ ورقة ١٢ — ٥ ب .

٣ - الشيخ عبد الرحمن الجبرتي - تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج ١ ص ٣٤٦ .

هذه اللمسة الروحية المباركة سيدنا الإمام الحسين الرمز عليه السلام من بعد الإمام علي كر الله وجهه وورثها من بعده الإمام زين العابدين وورثها من بعده الإمام محمد الباقر وورثها من بعده الإمام جعفر الصادق وورثها من بعده الإمام موسى الكاظم وورثها من بعده الإمام علي الرضا مكوناً بذلك الجناح الأول للطريقة العلية القادرية الكسنزانية (المسمى بالسلسلة الذهبية) .

البيعة في القرآن الكريم

نستدل على وجود البيعة واخذ العهد والميثاق وضرورة الالتزام به وعدم النكوث من الآيات القرآنية الآتية :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾^(٤).

وقال تعالى : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾^(٥).

١ - الفتح : ١٠ .

٢ - النحل : ٩١ .

٣ - الإسراء : ٣٤ .

٤ - البقرة : ٤٠ .

٥ - مريم : ٨٧ .

البيعة في السنة النبوية

عن البخاري عن عبادة بن الصامت إن رسول الله ﷺ قال : ﴿ بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارته . ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك ﴾ (١).

وعن يعلي بن شداد قال حدثني أبي شداد بن اوس رضي الله عنه وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال كنا عند رسول الله ﷺ فأمر بغلق الباب فقال : ﴿ ارفعوا أيديكم وقولوا لا اله إلا الله ﴾ فرفعنا أيدينا وقلنا لا اله إلا الله ثم قال ﷺ : ﴿ الحمد لله اللهم انك بعثني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وانك لا تخلف الميعاد ﴾ ثم قال ﷺ : ﴿ ألا ابشروا بأن الله قد غفر لكم ﴾ (٢).

أخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم والحاكم والبيهقي وابن عساكر عن بشير بن الخصاصية قال : « أتيت رسول الله ﷺ لأبايعه فقلت : علام تباعني يا رسول الله ؟ فمد رسول الله ﷺ يده فقال : ﴿ تشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمدًا عبده ورسوله وتصلي الصلوات الخمس لوقتها وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وتحج البيت وتجاهد في سبيل الله ﴾ قلت يا رسول الله كلاً نطيع إلا اثنتين فلا أطيقها ، الزكاة والله مالي إلا عشرة ذُودَهْن رسل أهلي وحمولتهن وأما الجهاد فأني رجل جبان ويزعمون أن من وليّ فقد باء بغضب من الله

١ - رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان .

٢ - أخرجه الإمام أحمد والطبراني والبراز ورجاله موثقون .

وأخاف أن حضر القتال أن اخشع بنفسي فأفتر فأبوء بغضب من الله فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها ثم قال : ﴿ يا بشير لا صدقة ولا جهاد فيم إذن تدخل الجنة ؟ ﴾ قلت يا رسول الله : ابسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعته عليهن «(١)» .

وعن سلمى بنت قيس رضي الله عنها وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وقد صلت معه القبلتين قالت : « جئت إلى رسول الله ﷺ فبايعته في نسوة من الأنصار فلما شرط علينا أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا ننزي ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتره بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال : ﴿ ولا تغششن أزواجكن ﴾ قالت فبايعناه ثم انصرفنا »(٢)» .

وجاءت أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ تباعه على الإسلام فقال : ﴿ أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً ولا تسرقى ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحى ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى ﴾(٣)» .

« اخرج الطبراني عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه إن النبي ﷺ بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم صغار ولم يبلغوا »(٤)» .

« واخرج الطبراني أيضاً عن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أنهما بايعا رسول الله ﷺ وهما ابنا سبع سنين فلما رآهما رسول الله ﷺ تبسم وبسط يده فبايعهما »(٥)» .

تبين مما سبق إن البيعة ليست مقصورة على الرجال فقط وإنما البيعة تكون للرجال والنساء والأحداث معاً ، ولما كانت الطريقة هي الطريق الحقيقي والموصل

١ - أخرجه الإمام أحمد .

٢ - رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني .

٣ - أخرجه النسائي وصححه الترمذي

٤ - أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد .

٥ - أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد .

إلى الله تبارك وتعالى فيتوجب على كل ذي عقل وبصيرة بأمور دينه أن يتلقى البيعة على يد وارث الرسول ﷺ وهم آل بيته الأطهار من المشايخ الكاملين عملاً بقوله ﷺ : ﴿إلا من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية﴾ .

البيعة أو العهد في الطريقة الكسنزانية

ينبغي على من يريد سلوك منهج الطريقة الكسنزانية أن يأخذ ما يعرف بالبيعة أو (العهد) ويجب أن يتم إعطاء البيعة يداً بيد ولذلك يطلب ممن يريد السلوك وضع يده (على هيئة المصافحة) في يد حضرة الشيخ أو أحد المريدين المخولين من قبل أستاذ الطريقة بإعطاء البيعة نيابة عنه ، وفي حالة إعطاء البيعة للنساء يتم إمساك مسبحة الخليفة - بدلاً من يده - ثم يقول المريد بترديد العهد الخاص بالبيعة جملة فجملة بعد الخليفة ، ووجوب المبايعة وحتمية أن تكون يداً بيد إنما هو تطبيق للآية الكريمة **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾^(١). التي نزلت في بيعة المسلمين للرسول الأعظم ﷺ في بيعة الرضوان .

إن هذه المبايعة اليدوية وإن كانت تبدو طقساً بسيطاً في ظاهرها إلا أنها في حقيقتها تحمل الكثير من الأسرار الروحية ولذلك فإنها توصف (باللمسة الروحية) فعن طريق هذه اللمسة ترتبط روح المريد بروح أستاذ الطريقة الذي هو مرتبط روحياً بالشيخ الذي يسبقه وهكذا عبر حلقة الاتصال الروحي بين مشايخ سلسلة الطريقة حتى تصل إلى الرسول الأعظم ﷺ فيكون العهد مبايعة للرسول ﷺ .

إن اخذ المريد لعهد الطريقة يضعه على الطريق إلى الله ﷻ وكما سيتبين من نص عهد السلوك الذي يردده المريد في أول الواجبات التي يلقيها على عاتقه هذا العهد المقدس هو الرجوع عن الذنب والمعاصي والعمل بنية صادقة على تجنبها والالتزام بسنة الرسول ﷺ فإن الطاعة وحسن الإتياع للشيخ هما أساس سلوك مُريد الطريقة .

ويتم إعطاء البيعة للمريد حيث يصافح الخليفة يداً بيد ويردد ما يملي عليه الخليفة بالعبارات الآتية : **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** اشهد إن لا اله إلا الله واشهد إن

١ - الفتح : ١٠ .

مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبِالْبَعْثِ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ وَبِالطَّرِيقَةِ الَّتِي أَنْزَلَتْهَا إِلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَمَنْتُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، يَا رَبِّي تُبْتُ وَرَجَعْتُ إِلَيْكَ نَادِمًا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا ، يَا رَبِّي تَوْبَةٌ .

- استغفر الله العظيم من كل ذنب ، تُبْتُ وبايعت على قدرتك يا رب العالمين .

- استغفر الله العظيم من كل ذنب ، تُبْتُ وبايعت على يد سيدنا مُحَمَّد ﷺ .
- استغفر الله العظيم من كل ذنب ، تُبْتُ وبايعت على يد الإمام علي كَرَّمَهِ ،
ومنه تُبْتُ وبايعت على يد سلسلتي جناحي الطريقة ومنهم يداً بيد على يد الشيخ
معروف الكرخي (قدس الله سره) .

- استغفر الله العظيم من كل ذنب ، تُبْتُ وبايعت يداً بيد على يد السيد
الشيخ الغوث عبد القادر الكيلاني رَحِمَهُ اللهُ الْعَزِيزُ .

- استغفر الله العظيم من كل ذنب ، تُبْتُ وبايعت يداً بيد على يد السيد
الشيخ الغوث إسماعيل الولياني رَحِمَهُ اللهُ الْعَزِيزُ .

- استغفر الله العظيم من كل ذنب ، تُبْتُ وبايعت يداً بيد على يد السيد
الشيخ الغوث عبد الكريم شاه الكسنزان رَحِمَهُ اللهُ الْعَزِيزُ .

- استغفر الله العظيم من كل ذنب ، تُبْتُ وبايعت يداً بيد على يد السيد
الشيخ الغوث عبد القادر الكسنزان رَحِمَهُ اللهُ الْعَزِيزُ .

- استغفر الله العظيم من كل ذنب ، تُبْتُ وبايعت يداً بيد على يد السيد
الشيخ الغوث حسين الكسنزان رَحِمَهُ اللهُ الْعَزِيزُ .

- استغفر الله العظيم من كل ذنب ، تُبْتُ وبايعت يداً بيد على يد السيد
الشيخ الغوث عبد الكريم الكسنزان (قدس الله سره) .

- استغفر الله العظيم من كل ذنب ، تُبْتُ وبايعت على يد رئيس الطريقة
العلية القادرية الكسنزانية في العالم حضرة السيد الشيخ الغوث مُحمَّد الكسنزان
الحسيني نَدْوَانِي ، وقبلته شيخي ومرشدي وأستاذي في الدنيا والآخرة والله على ما
أقول شهيد .

ثم يقول الخليفة أعطيتك هذه البيعة وكالةً عن حضرة السيد الشيخ الغوث مُحمَّد
الكسنزان ... أقبلت ؟ فيجيب المريد نعم قبلت . ثم تُهدى سورة الفاتحة .

الباب الثالث

* الشيخ الوارث المحمدي

- رتبة الشيخ

- التدرج في السلوك

* الخوارق في الطريقة الكسنزانية

* المشيخة في الطريقة الكسنزانية

* الشيخ والثروة

* الاستقامة على الطريقة

* المجاهدة

* السلوك في الطريقة الكسنزانية

- الرياضة

- الخلوة

- الخلوة في الطريقة الكسنزانية

- الخلوة الخاصة

* خوارق العادات

- دليل الكرامات في الكتاب والسنة

- كرامات الأولياء حق

- كرامات آل البيت

- كرامات الصحابة

- الكرامات في طور جديد

- الكرامات بعد انتقال الشيخ

* حكايات الصالحين

من أراد الصلاح
فليصبر أرضاً تحت أقدام الشيوخ

السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره)

الشيخ (الوارث المحمدي)

الشيخ هو الوارث الروحي المحمدي ومنبع الفيوضات الرحمانية وبنظرته النورانية تتوزع الدرجات وتتغير الأمور وتتم الولايات وعلى يده تسير الأمور الظاهرية والباطنية ، ولا يخفى عليه شيء من مجريات الأحداث فهو قطب الأرض وخليفة الرسول ويتسلسل نسبه إلى سيد الكونين ﷺ وهو عارف بالله خبير بطرائق تركية النفوس ووسائل تربيتها وهو وحيد زمانه ومأذون بالإرشاد من شيخه وقد تناقل هذا الإذن (الإرشاد والبيعة) عبر سلسلة من أهل البيت الطاهرين والمشايخ العارفين بدءاً بقطب الوجود سيدنا محمد ﷺ ، وذلك لتجديد الرسالة المحمدية وأحياء نهجه وإعلاء كلمة لا اله إلا الله محمد رسول الله ﷺ في كل مكان .

ولابد للشيخ المرشد إلى طريق الحق من شروط يصلح معها أن يكون نائباً للرسول ﷺ : « وهي أن يكون تابعاً لشيخ بصير أجازه بالإرشاد بعده وأن يتسلسل نسبه إلى سيد الكونين ﷺ وان يكون عالماً ومعرضاً عن حب الدنيا وحب الجاه ومحسناً لرياضة نفسه من قلة الأكل والنوم والقول وكثرة الصلاة والصدقة ومتصفاً بمحاسن الأخلاق كالصبر ، والشكر ، واليقين ، والتوكل ، والسخاوة ، والقناعة ، والحلم ، والتواضع ، والصدق ، والحياء ، والوفاء ، والوقار ، والسكون وأمثالها ومثل هذا الشيخ نورٌ من أنوار النبي ﷺ يصلح للإقتداء به » (١).

قال القشيري : « ويجب على المريد أن يتأدب بشيخٍ فأن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً وهكذا أبو يزيد يقول : من لم يكن له أستاذ فيأمامه الشيطان ، وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : الشجرة إذا نبتت بنفسها ومن غير غارس فإنها تورق لكن لا تثمر ، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفساً فنفساً فهو عابد هواه لا يجد نفاذاً » (٢).

١ - الشيخ محمد حقي النازلي - خزينة الأسرار ص ١٧٨ .

٢ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية ص ١٩٩ .

ولابد للمريد السالك من التأثير الروحي الذي لا يأتي إلا بواسطة الشيخ لان الطريقة ليست عملاً علمياً ولا بحثاً نظرياً فلا يتم تعلمها بواسطة الكتب على الطريقة المدرسية بل إن ما كتبه كبار مشايخ الصوفية أنفسهم لا يستخدم إلا كحاضرٍ مُقوٍ للتأمل ولا يفهمه إلا من كان أهلاً لفهمه ممارساً لسلوك الطريقة . فلا يمكن التطهر من النجاسات المعنوية (الكذب ، الحسد ، الرياء ، الكبر الخ) إلا بالسلوك على يد شيخ كامل عالم بعلاج أمراض النفوس ليخرجه من رعونات نفسه الأمارة بالسوء ودسائسها الخفية لذا قيل :-

من يأخذ العلم من شيخٍ مشافهةً يكن عن الزيف والتصحيف في حرم
ومن يكن آخذاً للعلم من صُحفٍ فعلَّمه عند أهل العلم كالعدم
وقال الشعراني في الأنوار القدسية : وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله بقلبه لتصح صلاته من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولا شك إن علاج أمراض الباطن كلها واجب كما تشهد به الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها والوعيد بالعقاب عليها فعلم أن كل من لم يتخذ له شيخاً يرشده إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاصٍ لله ولرسوله ﷺ لأنه لا يهتدي لطريق العلاج ولو تكلف ، لا ينتفع بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب .

ولما كان لابد للمريد من صحبة شيخ مرشد يسير به نحو طريق الحق ويزكي نفسه ويكسبه من صفاته الخلقية الكاملة من إيمان وتقوى وزهد وورع ويرقيه لينجو من كادوراته القلبية وعيوبه النفسية يتوجب عليه أن يصاحب الوارث المحمدي (الشيخ الكامل) عملاً بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(١) . وصحبة الشيخ العارف تؤكد لها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

قال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ (٤).

وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ (٥).

والصحبة ظاهرة في السنة النبوية والحديث النبوي الشريف فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قيل يا رسول الله أي جلسائنا خير ؟ قال : ﴿ من ذكركم الله رؤيته وزاد في عملكم منطقة وذكركم في الآخرة عمله ﴾ (٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ﴾ (٧). وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل عملهم قال : ﴿ أنت يا أبا ذر مع من أحببت ﴾ (٨).

١ - الكهف : ٢٨ .

٢ - الزخرف : ٦٧ .

٣ - لقمان : ١٥ .

٤ - الفرقان : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

٥ - الكهف : ٦٦ .

٦ - رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح .

٧ - رواه أبو داود والترمذي .

٨ - رواه أبو داود .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِن مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأَنْسَاءَ مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ ﴾ قالوا يا رسول الله فتخبرنا من هم ؟ قال : ﴿ هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْهَا . فَوَاللَّهِ إِنْ وَجَّهَهُمْ لِنُورٍ وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ وَلَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ^(١) ﴾ ^(٢) .

يتضح من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المذكورة أنفاً أهمية الصحبة وأثرها في تقوية الربط الروحي بين الشيخ ومريديه وأثرها في تربية وتركية نفوسهم نحو مراتب الكمال : وللفقهاء والمحدثين أقوال تؤكد على أهمية الصحبة للمريد السالك .
فقد قال الغزالي : « الدخول مع الصوفية فرض عين إذ لا يخلو أحدٌ من عيبٍ أو مرضٍ إلا الأنبياء عليهم السلام » ^(٣) .

وقال الطيبي : « لا ينبغي للعالم ولو تبحر في العلم حتى صار واحداً أهل زمانه أن يقتنع بما عِلِمَهُ وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلوه على الطريق المستقيم » ^(٤) .

وقال ابن القيم الجوزي : « فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فليُنظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي ؟ فإذا كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فُرطاً ... فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته فأن وجده كذلك فليُبعد منه وإن وجده من غلب عليه ذكرُ الله تعالى وإتباع السنة فليستمسك بغرزه » ^(٥) .

١ - يونس : ٦٢ .

٢ - رواه أبو داود .

٣ - شرح الحكم لابن عجيبة .

٤ - الشيخ أمين الكردي - تنوير القلوب ص ٤٤ .

٥ - ابن قيم الجوزي - الوابل الصيب من الكلم الطيب ص ٥٣ .

وقال الرازي في تفسيره سورة الفاتحة : « وهذا يدل على إن المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة إلا إذا اقتدى بشيخ يهديه إلى سواء السبيل » (١).

وقال ابن حجر الهيتمي : « والحاصل أن الأولى بالسالك قبل الوصول إلى هذه المعارف أن يكون مُديماً لما يأمره به أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة » (٢).

وقال ابن عطاء الاسكندري : « فينبغي لمن عزم على الاسترشاد وسلوك طريق الرشاد أن يبحث عن شيخ من أهل التحقق سالك للطريق تارك لهواه راسخ القدم في خدمة مولاه فإذا وجده فليمتثل ما أمر ولينتهي عما نهى » (٣).

وقال عبد الوهاب الشعراني : « فان فائدة الشيخ إنما هي اختصار الطريق للمريد ومن سلك من غير شيخ تاه وقطع عمره ولم يصل إلى مقصوده لأن مثال الشيخ مثال دليل الحجاج إلى مكة من الليالي المظلمة » (٤).

وقال أبو علي الثقفي : « لو أن رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة مع شيخ مؤدب ناصح » (٥).

رتبة الشيخ

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والذي نفس محمد بيده لئن شئت لأقسمن لكم إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحبون الله إلى عباده ، ويحبون عباد الله إلى الله ، ويمشون على الأرض بالنصيحة » ، وهذا الذي ذكره رسول الله ﷺ هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله تعالى ، لان الشيخ يحب الله إلى عباده حقيقة ، ويجب عباد الله إلى الله .

١ - الإمام فخر الدين الرازي - التفسير الكبير ج ١ ص ١٤٢ .

٢ - ابن حجر الهيتمي - الفتاوى الحديثة ص ٥٥ .

٣ - الشيخ ابن عطاء الاسكندري - مفتاح الفلاح ص ٣٠ .

٤ - الإمام الشعراني - لطائف المنن والأخلاق ج ١ ص ٤٩ .

٥ - السلمي - طبقات الصوفية ص ٣٦٥ .

ورتبة المشيخة أعلى الرتب في الطريقة ونيابة النبوة في الدعوة إلى الله ، فأما وجه كون الشيخ يحب الله إلى عباده ، فلأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله ﷺ . ومن صح إقتداؤه وإتباعه أحبه الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(١) . ووجه كونه يحب عباد الله تعالى إليه انه يسلك بالمريد طريق التزكية ، وإذا تزكت النفس انجلت مرآة القلب وانعكست فيه أنوار العظمة الإلهية ولاح فيه جمال التوحيد فأحب العبد ربه لا محالة وذلك ميراث التزكية وإذا انجلت مرآة القلب لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها ، ولاح الآخرة ونفائسها بكنهها وغايتها فتكشفت حقيقة الدارين للبصيرة ، فيحب العبد الباقي ويزهد في الفاني ، فتظهر فائدة التزكية وجدوى المشيخة والتربية فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الطالبين لأنه داعٍ إلى الله قريبٌ منه .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾^(٢) . ويتبين من سياق هذه الآية الشريفة إن لكل زمان إمامه وخليفته فهو المرجع الأعلى لقضاء الحاجات وجميع الخيرات وان كلمة الداعي في الآية تعني نائب الرسول ﷺ وعن طريقه تتحقق الدرجات والمراتب الروحية لعباد الله الذين توفرت فيهم صفات العبودية : ﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾^(٣) . فهو وحيد دهره وباب رحمة الله ورسوله ﷺ .

التدرج في السلوك

معنى التدرج هو الانتقال من رتبة إلى رتبة أو مقام إلى مقام أو من حال إلى حال ، والانتقال هو الخروج أو الصعود فنقول عرجت في السلم والمقصود بالخروج هنا ليس الجسماني لأن الله ﷻ ليس في مكان فيسار إليه ولكنه مُتَنَزَّه عن المكان

١ - آل عمران : ٣١ .

٢ - البقرة : ١٨٦ .

٣ - الفجر : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

والجسمان وليس العروج والصعود إليه مثل صعود الجبال والأجواء فالقرب منه ليس كقرب المخلوق للمخلوق وإنما قربٌ معنوي وتدرج روحي ... والمريد المبتدئ : « هو الذي يبدأ بقوة العزم في سلوك طرق المنقطعين إلى الله ويتكلف لآداب ذلك ويتأهب بالخدمة والقبول من الذي يعرف الحال ابتداءً به وأشرفَ عليه من بدايته إلى نهايته والمريد هو الذي صح الابتداء ودخل في جماعة المنقطعين إلى الله بالاسم وشهدت له قلوب الصادقين بصحة الإرادة » (١).

ويتم حصول الدرجات : « بقدر ما يُنقى العبد قلبه ويطهر نفسه يترقى في الدرجات واحدة تلو الأخرى في هذا الطريق الذي يشكل درجات أساسية أو منازل معينة تشبه المحطات المعدة لراحة المسافرين ويبين أبو سعيد الخراز كيفية التدرج من درجة إلى درجة حيث يقول إن أوائل الطريق إلى الله التوبة وذكر شرائطها ثم ينتقل من مقام التوبة إلى مقام الخوف ومن مقام الخوف إلى مقام الرجاء ومن مقام الرجاء إلى مقام الصالحين ومن مقام الصالحين إلى مقام المريدين ومن مقام المريدين إلى مقام المطيعين ومن مقام المطيعين إلى مقام المحبين ومن مقام المحبين إلى مقام المشتاقين ومن مقام المشتاقين إلى مقام الأولياء ومن مقام الأولياء إلى مقام المقربين » (٢).

إن لكل درجة أو مقام أعمال لابد من عملها وأعمال أخرى لابد من تركها ومهاوي لابد من مراعاتها وتجنب الوقوع فيها فلا بد من التخلي عن مذام كل درجة أو مقام والتحلي بمحاسنها . إن المصدر الأصل للأحوال والمقامات هو القرآن الكريم فقد أفاض في بيان طريق الله ﷻ من البداية إلى النهاية وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٣). ولقد خاض محيي الدين بن عربي في الطريق إلى الله بحار تلك الأحوال وارتقى تلك المقامات ونعم بعطاياها

١ - الشيخ السراج الطوسي - اللمع ص ٤٧ .

٢ - أبو نعيم الاصفهاني - حلية الأولياء .

٣ - العنكبوت : ٦٩ .

وذاق ثمارها وريها وتحدث عنها وكشف منها ما أمر بكشفه وهي تراث من العلوم يسع علماء الدنيا قروناً وأجيالاً يتدارسونها وينتفعون بها ولندع الشيخ ابن عربي ليتكلم عن هذه المقامات التي تنتقل في كواكبها :

مقام النور :

يقول هذا مقام نلته سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة في مدينة فاس في صلاة العصر وأنا أصلي بجماعة بالمسجد بجانب عين الجبل فرأيت نوراً صافياً غلاباً يكاد من خلفي أكشف من الذي بين يدي غير إني لما رأيته زال عني حكم الخلق وما رأيت لي ظهراً ولم أفرق في تلك الرؤيا بين جهاتي بل كنت مثل الكرة لا اعقل لنفسي جهة .

مقام الوجد والوله :

وهو أخطر مقامات التصوف وهو ذهول وذهاب عن كل ما سوى الله بحكم المحبة والإشراق وكم من إمامٍ حكم عليه هذا المقام فذهب معه ولم يعد أبداً ولكن العناية شملته وحُفِظَ ، ولقد ذقت هذا المقام ومرّ عليّ وقتٌ أؤدي فيه الصلوات الخمس إماماً بالجماعة على ما قيل لي بإتمام الركوع والسجود وجميع أحوال الصلاة من أفعال وأقوال وأنا في مثل هذا كله لا علم لي بالجماعة ولا بالمحل ولا بالحال ولا بشيءٍ من عالم الحس لشهود غلب عليّ غبت فيه عني وعن غيري فأخبرت أني إذا دخل وقت الصلاة أقيم الصلاة وأصلي بالناس فكان حالي كالحركات الواقعة من النائم ولا علم لي بذلك .

مقام الفتح في العبارة :

الفتح في العبارة لا يكون إلا للمحمدي الكامل وأقوى مقام صاحب هذا الفتح الصدق في جميع أقواله وحركاته وسكونه إلى أن يبلغ به الصدق أن يعرف صاحبه وجليسهما في ظاهره وباطنه من حركة ظاهرة أو باطنة بحيث لا يمكن لصاحب هذا الفتح أن يصدر كلاماً في نفسه ويرتبه في فكره ثم ينطق به بعد ذلك

بل زمان تصوره لذلك اللفظ الذي يعبر به عما في نفسه زمان قيام ذلك المعنى في نفسه وصورته فيفتح الله له في العبارة فيعرب بقلمه أو بلفظه عما تنفسه بنفسه ، ومن علامات هذا الفتح استصحاب الخشوع وتوالي الاقشعرار عليه في جسده بحيث يحس أن أجزائه قد تفرقت .

مقام القيومية :

كانت ليلة السبت من رجب سنة ثلاث وثلاثين وستمائة حيث لم يتخلص لي إضافة خلق الأعمال لأحد الجانبين ويعسر عندي الفصل بين الكسب الذي يقول به قوم وبين الخلق الذي يقول به قوم فأوقفني الحق بكشف بصري على خلقه المخلوق الذي لم يقدمه مخلوق إذ لم يكن إلا الله وقال لي هل هنا أمرٌ يوجب التلبس والحيرة قلت لا قال هكذا جميع ما نراه من المحدثات ما لأحدٍ فيه أثر ولا شيء من الخلق فأنا الذي أخلق الأشياء عند الأسباب بالأسباب فتكون عن أمري خلقتُ النَّفخَ في عيسى وخلقت التكوين في الطائر .

مقام حلاوة الفتح :

يقول محيي الدين بن عربي ومن أصحاب هذا الفتح من تلازمه هذه الحلاوة ساعة أو يوماً أو أكثر كلٌ حسب ما يُوهَّب فليس لبقائها زمن وهذه الحلاوة واللذة لا يمكن أن تشبهها لذة من اللذات المحسوسة بأنها معنوية ربانية وأثرها في الحس أعظم أثرٍ تنعم به النفس .

مقام الفناء :

وهو درجة المحبين الواهلين الذاهلين عن وجودهم بذهاب حسهم إلى باريهم ، وحال الفناء هو أن تفنى بالله عن خلقه فلا ترى شيئاً مع الله بل الوجود هو رب الوجود وواهب الوجود وخالقه وهو حالٌ ذقت أسرارهِ حتى التبست ظواهره على

الفقهاء فرموا فيه على المتصوفة بالعظائم والتبست خواطره على المتكلمين والمتفلسفين فرموا رجال الله فيه بالحلول ووحدرة الوجود .

مقام العبودية أو الصديقية :

مقام العبودية الصادقة أن ترى الله فاعلاً لكل شيء وان تتصف بصفات العبودية الكاملة وان لا تغفل عن مشاهدة عبوديتك وان تكون أعمالك ما ظهر منها وما بطن مفيدة بهذا القيد محددة بتلك الحدود يقول ابن عربي : وإذا عرف التلميذ من الشيخ انه بهذه المثابة فقد فتح الله على ذلك التلميذ بما فيه سعادته فانه يتجرد إلى جانب الحق بتجرد الشيخ ، فإنه عرف منه واتكل على الله لا عليه وبقي ناظراً في الشيخ مما يجري الله عليه من الحال في حق ذلك التلميذ من نطق بأمر يأمره به أو ينهاه ، أو يعلم يفيدته فيأخذ التلميذ من الله على لسان هذا الشيخ ويعلم التلميذ في نفسه من الشيخ ما يعلمه الشيخ من نفسه انه محل جريان الربوبية .

ويحصل التدرج في المقامات نتيجة المثابرة والمداومة على العبادات والطاعات وتطبيق أوامر الشيخ في السلوك ولا يعلم المريد مقامه إلا إذا أطلعهُ شيخه على ذلك لأن الشيخ هو المربي العارف بأحوال مريديه وعنه تصدر درجات الترقى الروحي وهو كنز الأسرار والمنح الإلهية .

الخوارق في الطريقة الكسنزانية

إن خوارق العادات وكما ذكرها العلماء هي ستة :
المعجزة ، الإرهاس ، الكرامة ، المعونة ، الاستدراج ، الإهانة .
وفيما يأتي توضيح موجز لكل قسم منها :-

المعجزة :

والمعجزة في اللغة : مأخوذة من العجز ، وهو ضد القدرة .
وهي في اصطلاح العلماء للكلام الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي ،
الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة ، فهو أمر يظهر بخلاف العادة
على يدي مدعي النبوة ضد تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين الإتيان بمثله .

الإرهاس :

وهو ما كان قبل النبوة والرسالة وتأسيساً لها ، كإظلال الغمام لرسول الله ﷺ
قبل البعثة .

الكرامة :

وهي أمر خارق للعادة ومن جنس المعجزات ما عدا إنها لا تكون مقرونة
بدعوى النبوة وتظهر على يد الولي تخصيصاً له وتفضيلاً .

المعونة :

وهي ما يظهر على يد العوام تخليصاً له من شدة أو هم أو غم أو أمر حزّ به .

الاستدراج :

وهو ما يكون على يد فاسق خديعة له ومكراً به إذ يتم تضليل الشخص
القائم بالفعاليات الخارقة من خلال الإيحاء له بشكل غير مباشر ، إن نجاح
الفعاليات التي يمارسها إنما هو دليل على صحة المبدأ والهدف المعين الذي من أجله
تمارس هذه الفعاليات ، ويحصل ذلك بمساعدة أرواح سفلية شريرة لفاعلها .

الإهانة :

وهي ما يظهر على يد فاسق تكذيباً له ، كما وقع لمسيلمة الكذاب ، إذ انه تفل في عين اعور لتبراً فعميت الصحيحة .

ويقول سهل التستري : « الآيات لله ، والمعجزات للأنبياء ، والكرامات للأولياء ، والمغوثات للمريدين ، والتمكين لأهل الخصوص »(١).

إن خوارق العادات لمشايخ الطريقة الكسنزانية والتي تعرف بـ (الكرامات) لا حدود لها إذا أراد الله ﷻ إظهارها على أيدي عباده الكرام ، يقول حضرة السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكيلاني رحمته الله :
« اعتقاد المتبعين الكتاب وسنة رسول الله ﷺ إن السيف لا يقطع بطبعه بل الله

وﻋﻠﯿﻚ يقطع به ، والنار لا تحرق بطبعها بل الله وﻋﻠﯿﻚ المحرق بها ، وان الطعام لا يشبع بطبعه بل الله وﻋﻠﯿﻚ يشبع به ، وان الماء لا يروي بطبعه بل الله وﻋﻠﯿﻚ يروي به ، وهكذا جميع الأشياء على اختلاف الأجناس فالله وﻋﻠﯿﻚ المتصرف فيها وبها وهي آلة بين يديه يفعل بها ما يشاء »(٢).

ويضيف رحمته الله مشيراً إلى حادثة عدم حرق النار لإبراهيم عليه السلام بعد أن أمرها الله وﻋﻠﯿﻚ بذلك بقوله : ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾(٣).

ذلك أن أمر الله ﷻ للأشياء بقوله : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(٤). وبهذه القدرة أي قدرة (كن فيكون) تحصل المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء ، فإذا أراد الله ﷻ أن يعطل القوانين المادية لأحد أنبيائه أو أحد الصالحين فقد فعل ، لذلك فان محاولة تحديد ما هو ممكن حصوله من معجزات أو كرامات هي ليست محاولة لتحديد ما يمكن أن يظهر على يد النبي أو

١ - السلمي - طبقات الصوفية ص ٢١١ .

٢ - الشيخ محمد الكسنزان - جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر .

٣ - الأنبياء : ٦٩ .

٤ - النحل : ٤٠ .

الولي من خوارق العادات وإنما هي محاولة لتحديد ما هو في مقدور الله ﷻ ، وليس لقدرة الله من حدود ، وإن إنكار هذه الخوارق هو بمثابة القول بأن هناك قوانين وضعها الله ﷻ ولا يمكن له تغييرها وهذا استنتاج خاطئ .

إن ما يجعل ظاهرة قدرة النار على الحرق قانوناً طبيعياً مألوفاً وإنما يجعل حادثة فشل النار في حرق الأشياء ومخالفتها للقانون الطبيعي للمألوف غير موجود في العقل فطرياً وإنما ينشأ مع تعوده ملاحظة إن النار محرقة ولما كانت هذه الظاهرة الخارقة هي بالتعريف خروجاً على المألوف فأن العقل الذي يعمل ويحكم من خلال (المألوف) بطبيعة عمله وقدرته لن يستطيع أن يحدد ما يمكن أن يحدث ما هو غير مألوف .

إن الخوارق في طريقتنا الكسنزانية ما هي إلا امتداد حي لمعجزات الرسول الأعظم ﷺ لإثبات وجود الله ﷻ والإقرار بوحدانيته ولهداية الضالين والمنكرين إلى طريق الحق والإيمان .

ومن الفعاليات الخارقة التي يمكن أن يمارسها مريدو الطريقة الكسنزانية دون غيرهم :

أولاً : يقوم المريد بإدخال أدوات حادة (كالحراب والسيوف) في مناطق مختلفة من جسمه ولا تخضع هذه الأدوات لأية عملية تعقيم مسبقة بل دائماً تكون وحسب النظرة الطبية ملوثة ، أما أجزاء الجسم التي تستخدم في هذه الفعاليات فتشمل (الخدين ، اللسان ، قاعدة الفم ، شحمة الأذن ، الذراع ، عضلات الصدر ، البطن بمناطقها المختلفة ، البطن والظهر في آن واحد) .

ثانياً : يقوم المريد بإدخال الخناجر في جوانب مختلفة من عظم الجمجمة وكذلك في عظم الترقوة ويقوم المريد بتثبيتها بمساعدة مطرقة معدة لهذا الغرض .

ثالثاً : أكل الزجاج وابتلاعه من قبل المريد سواء كان زجاج الأقداح أو زجاج اللبسات الكهربائية وبذلك يضاف عنصر خطورة أخرى هو سُمية مادة الزئبق التي

تطلى بها عادة تلك اللمبات ، والشكل الآخر من الفعاليات التي يمارسها المريدون هو مضغ وابتلاع أمواس الحلاقة الحادة غير المستعملة .

رابعاً : مقاومة النار ويتمثل ذلك بان يشرب المريد النار المنبعثة من المشعل الناري ووضعه في فمه ، أو حمل المريد قطعة حديدية تعرف بـ (الصاج) بعد أن توضع داخل النار وتسخن إلى درجة الاحمرار ثم يحملها المريد بيديه العاريتين وأسنانه لفترة زمنية ليست بالقصيرة ، ومن الأشكال الأخرى لممارسة هذه الفعاليات حمل المريد بيد عارية قطعاً من الفحم الساخن (الجمر) ووضعها في فمه فيضاف إلى خطر الاحتراق خطر استنشاق غاز أول اوكسيد الكربون السام المنبعث نتيجة الاحتراق .

خامساً : مقاومة سم الأفاعي والعقارب وفي هذه الفعالية يعرض المريدون أيديهم للدغات الأفاعي السامة والعقارب ، كما يعرضون ألسنتهم بشكل مقصود لهذه اللدغات ، وهي أكثر الأحيان وعند استعراض هذه الفعاليات يقوم المريد بأكل رأس الأفعى أو التهام العقرب كاملة .

سادساً : مقاومة الصدمة الكهربائية حيث يعرض المريد جسمه ولعدة دقائق لتيار كهربائي بحيث يكون جسمه مكماً لدورة كهربائية كاملة ، وغالباً ما يوضع مصباح خلال الدورة لتوضيح واثبات سريان التيار خلال الدائرة الكهربائية .

إضافة لما تقدم من الفعاليات الخارقة هناك فعاليات أخرى يمارسها مريدو الطريقة الكسنزانية فمنهم من يضرب على رأسه حجراً ضخماً أو يضرب رأسه على الحائط بقوة لمرات عديدة ومتكررة أو يمرر خنجرًا حاداً على لسانه عدة مرات محدثاً فيه جروحاً عميقة تلتئم بشكل فوري أو يمرر حربة في منطقة الرقبة ، وهناك من المريدين من يطلق على نفسه عيارات نارية دون أن يؤدي به ذلك إلى الموت .

إن ممارسة فعالية الخوارق في طريقتنا الكسنزانية من قبل المريدين ليست من الواجبات التي تفرضها الطريقة على المريدين لان هذه الفعاليات هي وسيلة لا

غاية ، وان هدف مشايخ الطريقة من وراء السماح لمريدي الطريقة بممارسة هذه
الفعاليات الخارقة هو إرشاد الناس وحثهم على الرجوع إلى طريق الحق والصواب
والانخراط في مسلك الطريقة قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾^(١). لذلك لا يجوز إطلاقاً ممارسة هذه الفعاليات الخارقة في
غير سياقها الإرشادي القويم كاستخدامها للتفاخر أمام الناس مثلاً إذ أن هذه
الفعاليات تجري بفضل القوة الروحية لمشايخ الطريقة قدس الله أسرارهم وان ممارستها
ومدى الحاجة إلى القيام بها يحدده شيخ الطريقة في حالة وجوده وجوداً ظاهرياً في
ذلك المكان وفي الحالات الأخرى أي في حالة الإرشاد فأن المريد نفسه يحدد مدى
الحاجة لممارسة مثل هذه الفعاليات الخارقة لغرض الإرشاد الذي يُعد في فكر
طريقتنا من أهم العبادات المفروضة على المريدين وواجب في كل وقت لا في أوقات
محددة كغيرها من العبادات ، فإذا وجد المريد إن إرشاده لشخص معين أو لمجموعة
من الناس يصبح ذا تأثير أقوى إذا صاحبه ممارسة بعض الفعاليات الخارقة الخاصة
بطريقتنا يكون لازماً عليه ممارسة هذه الفعاليات .

إن حقيقة الإمكانية الفورية لإصلاح تلف جسم المريد والتئام الجروح فيها
ومقاومة جسمه للنار أو الصدمات الكهربائية أو سموم الأفاعي والعقارب هي
إمكانية القوة الروحية لمشايخ الطريقة الكسنزانية ذات القدرة غير المحدودة في الدرك
لمن يقوم بهذه الفعاليات ولا علاقة للمريد بهذه الإمكانية إطلاقاً ، لذلك نلفت
النظر إلى إن هذه الفعاليات ما هي إلا كرامات لمشايخ طريقتنا الكسنزانية تظهر
على أيدي مريدي الطريقة .

ومما تجدر الإشارة به مدى التضحية والشجاعة التي تظهر جلياً على المريدين
المتبعين طريقتنا الكسنزانية وهم يمارسون هذه الفعاليات الخارقة والتي تؤدي بفاعلها
من غير المريد وفي ظروف أخرى إلى الموت لا محالة ، وهذا يدل دلالة واضحة على

عمق الإيمان الراسخ والشجاعة الفذة التي تمثل صورة حية ومتجددة لجهاد صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا يحرصون على الاستشهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته فتوهب لهم الحياة .

إن الخصائص الفريدة التي تتميز بها الفعاليات الخارقة في طريقتنا الكسنزانية دون غيرها من الظواهر الباراسايكولوجية هي (التكرارية) أي أن هذه الخوارق باستطاعة المريد القيام بها متى شاء بعد طلب الرخصة من الشيخ ، وهذا بالتأكيد تَفَوُّق لا حد له على الحوادث والقدرات الباراسايكولوجية والتي هي ظواهر ظرفية أي إن وقت ومكان حدوثها لا يقع تحت سيطرة أحد .

المشيخة في الطريقة الكسنزانية

إن الجلوس على سجادة المشيخة في نظر أهل الطريقة هو اختيار وتعيين علوي يجري بأمر الله تبارك وتعالى وأمر رسوله سيدنا مُحَمَّد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وهو ينحصر كما ثبت روحياً وفي عالم الأرواح في النخبة الطيبة المباركة من ذريات وأحفاد مشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية : ﴿ أَحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ﴾^(١). وإن من اختبر من بين هؤلاء لهذه المهمة المقدسة يكون دائماً موضع نظر الله ورعايته وعنايته فيفيض عليه ما يفيض من أنوار جده المصطفى ﷺ ومدده وعونه ما يجعله فريد دهره وإمام زمانه لتحقيق الأمانة العظمى أمانة الله في خلافة الأرض : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾^(٢). ولنشر الخير والنور والسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهداية الناس إلى طريق الحق والأيمان ، والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(٣). وليحمل راية الطريقة والإرشاد في كل مكان لتثبيت مفاهيم الإسلام ومثله العليا التي تمثلها جلية واضحة في طريقتنا العلية القادرية الكسنزانية حتى اهتدت بنورها الجموع الغفير في كل بقاع الأرض .

إن سجادة المشيخة لا تثبت لأحد أو تأتي إليه عن طريق الصدفة أو بواسطة الكسب والعمل بل تأتي بإذن سابق من سلسلة مشايخ الطريقة مبتدئة برسول الله ﷺ وإلى حضرته يعود تعيين كل خلف أو توكيل كل أمر يتعلق بالطريقة المنتهية بمن اختاره الله وعينه بفضله لحمل رسالة الطريقة ومسؤوليتها الكبيرة التي سرعان ما

١ - الطور : ٢١ .

٢ - الأنبياء : ١٠٥ .

٣ - البقرة : ٢٦٩ .

تصبح قوة روحية هائلة في يد الشيخ محققة له الأعاجيب من الأمور الخارقة والأسرار الغريبة ما لا يخطر على بال أحد ، ذلك لان المشيخة أمر يرتبط بالقوة الروحية التي هي خارجة عن حدود المادة - ميدان الطاقة البشرية - فهي ليست منصباً دنيوياً مادياً ملموساً بحيث يمكن التزاحم عليه لان القوة الروحية التي تمنح للشيخ المعين على المشيخة فيض الهي وقدره ربانية جلت عن الإدراك البصري لذاتها ، فالإيمان بها عن طريق رؤية أفعالها فقط وليس لمسها كمادة لأنها تجلت عن ذلك .

ولذا فلا يمكن لأحد أن يفكر في نيل المشيخة بالجد والاجتهاد المنافسة لأنها مكتوبة مقدرة في لوح مقادير الله ﷻ ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً برسول الله ﷺ ومحصورة في آل بيته الطاهرين : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١) . وتنبئاً لحقيقة المشيخة في الطريقة الكسنزانية وحصرها في هذه العائلة المباركة نورد لكم الحقائق الآتية :-
الحقيقة الأولى :

١ . تبين بوضوح من وصية الشيخ إسماعيل الولياني رحمته الله غوث زمانه حيث قال في وصيته : (لا يمكن في أي حال من الأحوال والى قيام الساعة أن ينقطع الغوث من بين أبنائي وأحفادي من الأجيال اللاحقة عبر السنين والأحقاب كما إن رتب الغوثية ستظل موجودة فيهم خاصة بهم) .

٢ . إن معظم مريدنا المنضوين تحت لواء الطريقة يتميزون عن غيرهم ويصل المجتهدون منهم إلى رتب الأقطاب وهي حالة مستمرة ولموسة مواكبة لمسيرة الطريقة إلى يوم الدين .
الحقيقة الثانية :

١ - الاحزاب : ٣٣ .

تتجلى حقيقة بقاء المشيخة في هذه العائلة المباركة في معاهدة حضرة الشيخ عبد الكريم شاه الكسنزان قدس سره مع الله تبارك وتعالى حيث قال : (أني قد أخذت من الله تبارك وتعالى عهداً وميثاقاً بأن تظل المشيخة باقية في أهل الطريقة وأصحابها الحقيقيين ولا تخرج عنهم أبداً حتى وان لم يبق من أفراد العائلة الكسنزانية سوى عجوز عمياء فاستلمت المشيخة وسارت بها فأن الله تبارك وتعالى يسهل لها طريقها ويكون في عونها ما دامت هي متمسكة بالطريقة وتسلك سبيل الإرشاد) .

الحقيقة الثالثة :

التي تؤكد أن المشيخة تكون بإذن الرسول صلوات الله عليه ، وأنها باقية في أهل الطريقة العلية القادرية الكسنزانية تثبتها الحقيقة الآتية :

روي عن الشيخ فرج السيد علي حينما كان في الخلوة في زمن الشيخ السلطان حسين قدس سره وكان قد خطر له في نفسه أثناء خلوته حينما رأى حضرة الشيخ عبد الكريم قدس سره قد ركب فرسه على زيه الكامل مهاباً محتشماً وقد أحاط به عدد من رجاله وأتباعه وهو يقصد البراري للصيد فلما رآه على هذه الحال لم يتمالك نفسه إلى أن قال اهذا هو الشيخ الذي خلف لنا الشيخ السلطان حسين قدس سره من بعده ليشغل سجادة المشيخة فتكررت هذه الحالة عنده ثلاث مرات أو أكثر وبعدها بلغ الشيخ فرج بالحضور أما حضرة الشيخ السلطان حسين قدس سره فلما مثل بين يديه امتقع لونه من هيئته وقال له حضرة الشيخ قدس سره : ماذا خطر ببالك يا شيخ فرج كف عن هذه الخطرات والله والله والله ما أنا عينته ونصبته شيخاً على سجادة المشيخة إنما جدنا المصطفى صلوات الله عليه أمر بتعيينه وجلسه على سجادة المشيخة فصفا بعد ذلك قلب الشيخ فرج من الخطرات وعاد إلى خلوته مطمئن النفس .

الحقيقة الرابعة :

ومما يؤكد أيضاً بقاء المشيخة محصورة في أهل الطريقة العلية القادرية الكسنزانية رؤيتي ولقائي سيدنا محمد ﷺ في المنام قبل وفاة والدي الشيخ عبد الكريم ﷺ في فترة قصيرة حضيت بلقاء رسول الله ﷺ في المنام وكان ﷺ متكئاً بظهره المبارك على مرقد الشيخ السلطان حسين وهو مستقبل القبلة وحالماً رأيته ﷺ سرت باندفاع نحوه حتى جثوت على ركبتني بين يديه الشريفتين وبكل خشوع وخضوع مددت يدي وصافحت بكفي كف رسول الله ﷺ حيث انتابني أثر ذلك نشوة روحية غامرة وحضور وحبور قلبي لا يمكن وصفه وبيانه ، وفي هذه اللحظات المفعمة بالاشراقات الروحية السامية واللقاء الجسدي بحضرته تبين لي بوضوح انتقال حضرة الشيخ إلى عالم الشهود والحق وأني أنا الذي سوف اخلفه والله على ما أقول شهيد .

الشيخ والثروة

يعتقد الكثير من الناس بأن أموال الشيخ أو ثروته تعد مظهراً من مظاهر الترف والبدخ والعظمة والجاه إذ إن مثل هذه الأمور - في رأيهم - لا تليق بمكانة شيخ الطريقة أو أنها لا تتفق مع الصفات التي لابد من توفرها في الشيخ كالزهد والورع والصبر والمجاهدة التي هي من خصائص المتصوفين والتي تميزهم عن غيرهم ولكن الحقائق تثبت غير ذلك وتؤكد بان الشيخ الكامل بحكم مركزه الروحي والاجتماعي وبحكم منزلته الدينية لدى الخاصة والعامة يؤمه ويتوجه إليه يومياً الكثير من المريدين والأتباع وأصحاب الحوائج إضافة إلى ما تكلفه شؤون التكية (بيت الذكر) من النفقات المتعلقة بأمور الإرشاد والطريقة في أنحاء المعمورة ، حيث أن كل ذلك يقتضي أموالاً طائلة لخدمة الطريقة والدين .

إن الشيخ لا يهدف من وراء الاكتساب الشرعي للأموال إلى التمتع الشخصي بها لأنه ابعد ما يكون عن ذلك فلا يطلب المال إلا لأجل الله وفي سبيل الخير العام ومما يثبت حقيقة ما اشرنا إليه هو أن مهمة الإرشاد مهمة مباركة وشاقة وكبيرة تقع مسؤوليتها على الشيخ في نشر الأيمان والخير والفضيلة في النفوس عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا تحصل عملية الجهاد هذه إلا بتعاون أهل الخير والأيمان فيما بينهم : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾^(١). وذلك بتوجيه الأموال واستخدامها بنشر الأيمان وترسيخ العقيدة وتأمين المأوى والمئونة للوافدين من أماكن مختلفة ، لذا فإن ثروة الشيخ تُعدُّ ميزانية عامة للمريدين فهي بيت مال المسلمين .

ولقد كان الصوفية قديماً وحديثاً يضرِبون في الأرض للعيش والكسب من فضل الله تعالى وتدل ألقاب المتصوفين على أعمالهم التي كانوا يزاولونها في حياتهم اليومية

لكسب قوتهم فمنهم الوراق ، والخواص ، والبزاز ، والحلاج ، والزجاجي ، الصيرفي ،
والفراء ، وكان بعضهم فقيراً والآخر غنياً ومنهم العازف عن الدنيا ومنهم أصحاب
ثروات عظيمة التي يؤدون فيها حق الله وينفقون منها في سبيله : ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾^(١).

« والفرق بين الصوفية وغيرهم هو أن الدنيا لا تستبعدهم وإنما تستبعد غيرهم
وأَنهم لا يلقون بقيادهم إلا الله ﷻ فلا يلقون بقيادهم إلى مالٍ أو جاهٍ أو منصب
أو رياسة أو غير ذلك مما يذلُّ أهل الدنيا وأهل الأهواء الذين يتخذون
دنياههم وأهواءهم آلهة يعبدونها من دون الله إَنهم أغنياء أو فقراء تحققوا بقوله
تعالى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا ﴾^(٢) . »^(٣).

وتتضح هذه الأمور في الحقائق الآتية :

١ . بينما كان الشيخ الغوث الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله جالساً في مجلسه
يعِظ مُريديه خطر على قلب احد المريدين خاطر يقول : كيف يمكن أن يكون قيد
فرس الشيخ مصنوعاً من الذهب وهو الشيخ الزاهد سلطان العارفين العازف عن الدنيا
وزخرفها ؟! ولما انتهى الشيخ رحمته الله من وعظه مثَّل بين يديه فقير ذو خصاصة* فعرض
على الشيخ حالته فأمر الشيخ خادمه بأن يعطيه قيد فرسه الذهبي ليسد الفقر به
حاجته ثم التفت إلى ذلك المريد وقال : لمثل هذه المواقف نجمع الأموال ونحتفظ بها
يا ولدي .

٢ . روى ابن عطاء الله في كتاب لطائف المنن : (قال بعض المشايخ كان
رجل بالمغرب من الزاهدين في الدنيا ومن أهل الجد والاجتهاد وكان عيشه مما
يصيده من البحر وكان الذي يصيده يتصدق ببعضه ويتقوت ببعضه فأراد بعض

١ - الذاريات : ١٩ .

٢ - الحديد : ٢٣ .

٣ - الإمام الغزالي - المنقذ من الضلال ص ٢٣ .

* شدة الفقر

أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب فقال له هذا الشيخ إذا دخلت إلى بلد كذا فاذهب إلى أخي فلان فأقراه مني السلام واطلب الدعاء منه لي فإنه ولي من أولياء الله تعالى قال : فسافرت حتى قدمت تلك البلدة فسألت عن ذلك الرجل فدللت على دار لا تصلح إلا للملوك فتعجبت من ذلك وطلبتة فقبل لي هو عند السلطان فأزداد تعجبي ، وبعد ساعة ، وإذا هو آتٍ في افخر ملبس ومركب ، وكأنما هو ملك في موكبه ، قال : فازداد تعجبي أكثر من الأول . قال : فهممت بالرجوع وعدم الاجتماع به ، ثم قلت : لا يمكنني مخالفة الشيخ . فاستأذنت ، فأذن لي ، فلما دخلت رأيت ما هالني من العبيد والخدم والشارة الحسنة ، فقلت له : أخوك فلان يسلم عليك ، قال : جئت من عنده؟ قلت : نعم . قال : إذا رجعت إليه قل له : إلى كم اشتغالك بالدنيا ؟ وإلى كم إقبالك عليها ؟ وإلى متى لا تنقطع رغبتك فيها ؟ فقلت : هذا والله أعجب من الأول ، فلما رجعت إلى الشيخ ، قال : اجتمعت بأخي فلان ؟ قلت : نعم . قال : فما الذي قال لك ؟ قلت : لا شيء ، قال : لابد أن تقول لي ؟ فأعدت عليه ما قال ، فبكى طويلاً وقال : صدق أخي فلان ، هو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده وعلى ظاهره ، وأنا أخذها من يدي ، وعندي إليها بقايا التطلع .

وقد رأينا في هذا المجال من الواجب أن نُذكر مُريدنا بأن التكية (بيت الذكر) هي من المراكز الروحية أينما كانت وهي الموقع الأساس لانطلاق الطريقة وتوجيهاتها نحو الخير العام ونشر العمل الصالح بين المسلمين في كل مكان ، وان هدف الطريقة هو محض هداية الناس إلى طريق الله والتمسك بذكره تعالى وتقواه ، وتكوين مجتمع إسلامي يسوده الإيمان والإخاء والمساواة والتعاون والمحبة تحت راية الطريقة ومنطلقاتها الصحيحة .

ولما كان للتكية هذه المسؤولية وهذه الأهمية في البناء الروحي للمجتمع وبحكم احتلالها مكانة بيت مال المسلمين وقيامها بالإنفاق المالي على كافة الأمور المتعلقة

بعمل الطريقة فقد وجب أن يكون هذا البيت بيت مال للجميع ، فزكاة الميردين تكون مخصصة له إضافة لما يقدم باسم الطريقة من تبرعات الميردين وأهل الخير حيث تتجمع هذه الأموال في التكية الرئيسية وتوظف لخدمة الدين والجهاد في سبيل الله ومن وكل عليها فهو مأمور بالحفاظ عليها وعدم استخدامها في أغراض شخصية خاصة لأنها أموال موقوفة لخدمة عباد الله فقد اخرج البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال استعمل النبي صلوات الله عليه وآله رجلاً من الأزد يقال له ابن لُتَيْبَةَ على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم وهذا اهدي إليّ ، قال فقام رسول الله صلوات الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ﴿ أما بعد فاني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول هذا لكم وهذا هدية اهدي إليّ أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هدية إن كان صادقاً؟! والله لا يأخذ أحدٍ منك شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة إن كان بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تتعرّ ﴿ ثم رفع يديه حتى روي بياض أبطيه ثم قال : ﴿ اللهم هل بلغت ﴾ .

فضم رسول الله صلوات الله عليه وآله المال الذي جاء به ابن لُتَيْبَةَ كله إلى بيت مال المسلمين .

الاستقامة على الطريقة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ (٢).

ما أعظم هذه البشرى من الله تبارك وتعالى إلى عباده المؤمنين الذين استقاموا على طريقه تبارك وتعالى والتزموا بأوامره وانتهوا عن نواهيه يالها من بشرى رُفِعَ عنهم الخوف والحزن وبلغوا مرتبة عالية ليكونوا من أهل الجنة التي وعدهم الله بها بسبب استقامتهم وإخلاصهم في عبادة الله فطوبى لكم أيها المؤمنون المستقيمون فالله تبارك وتعالى قد خصكم بنعمة لم يخص بها غيركم وهي انه وليكم وراعيكم ينزل عليكم رحمته .

والاستقامة هي مواصلة السلوك الدائم والسير على نهج القرآن الكريم ونهج الرسول العظيم سيدنا مُحَمَّد ﷺ حيث كان عظيماً في استقامته على الجهاد وصبوراً على العبادة فهو حقاً مثال رائع وقدوة مثلى ومن عظيم عبادته انه كان ﷺ يقيم الليل حتى تورمت قدماه الشريفتان وحينما وجه إلى حضرته لم هذا الجهد وان الله تبارك وتعالى قد غفر لك ما تقد من ذنبك وما تأخر كان جوابه : ﴿ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ .

قال القشيري : الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيماً في حالته ضاع سعيه وخاب جهده قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقْضَتْ غَزْلُهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ﴾ (٣). ومن لم يكن مستقيماً في حالته لم يترفع من مقام إلى غيره ولم يثبت سلوكه على صحته .

١ - فصلت : ٣٠ .

٢ - الجن : ١٦ .

٣ - النحل : ٩٢ .

وقال أيضاً : سمعت أبا علي الدقاق يقول : الاستقامة لها ثلاث مدارج أولها التقويم ثم الإقامة ثم الاستقامة ، فالتقويم من حيث تأديب النفوس ، والإقامة من حيث تهذيب القلوب ، والاستقامة من حيث تقريب الأسرار .

وقال أبو بكر بن فورك : السين في الاستقامة سين الطلب أي طلبوا من الحق أن يقيمهم على توحيدهم ثم على استدامة عهودهم وحفظ حدودهم واعلم إن الاستقامة توجب إدامة الكرامة قال تعالى : ﴿ وَأَلِّوْا اسْتِقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾^(١) . فلم يقل سقيناهم بل قال أسقيناهم يقال أسقيته إذا جعلت له سقياً فهو يشير إلى الدوام . وقال ابن عطاء في شرح الآية (أي استقاموا على انفراد القلب بالله)

وحكي عن الشبلي انه قال : الاستقامة أن تشهد الوقت قياماً ، والاستقامة في الأقوال لمن ترك الغيبة وفي الأفعال بنفي البدعة وفي الأعمال بنفي الفترة وفي الأحوال بنفي الحجة .

وقال الواسطي : الاستقامة هي الخصلة التي بها كمنت المحاسن وبفقدتها قُبِحت المحاسن .

وقال أبو علي الجوزجاني : كن صاحب الاستقامة لا طالب كرامة فأن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطالبك بالاستقامة .

ونقل القشيري قول أبي علي السنوسي : رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له روي عنك أنك قلت شيبني هود فما الذي شيبك منه قصص الأنبياء أو هلاك الأمم فقال : ﴿ لَا وَلَكِنْ قَوْلُهُ : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾^(٢) .

فالاستقامة هي الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق .

١ - الجن : ١٦ .

٢ - هود : ١١٢ .

قال الجنيد رحمه الله : رأيت شاباً من المريدين في البادية تحت شجرة من أم غيلان فقلت ما أجلسك ها هنا قال حال افتقدته فمضيت وتركته فلما انصرفت من الحج إذ أنا بالشاب وقد انتقل إلى موضع قريب من الشجرة فقلت ما جلوسك ها هنا فقال وجدت ما كنت أطلبه في هذا الموضع فلزمته قال الجنيد فلا ادري ايهما اشرف ، لزومه لافتقاد حاله أو لزومه للموضع الذي لقي فيه مراده .

فالاستقامة بعد ذلك هي المداومة للسالكين والمؤمنين على العبادات والطاعات حتى يحظوا بقاء ربهم : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾^(١) . فَهُمْ فِي غَايَةِ النُّشُوءِ وَالرِّضَا بِعِطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ .

وما استقام امرؤ على أوامر الله تعالى وتقواه إلا رسم له طريقاً يحقق له الفوز في دنياه وأخراه قال الرسول ﷺ : ﴿ اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ﴾ ، وإذا كانت الاستقامة هي أصل كل العبادات بما فيها الفرائض وتطبيق الشريعة فإن المؤمن أو السالك لا بد أن يكون من السباقين الأولين في أمور الجهاد والإرشاد لامتنال أوامر الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾^(٢) .

١ - الحجر ٩٩ .

٢ - المطففين : ٢٦ .

المجاهدة

المجاهدة : اشتقاقاً من الجهد وهو الطاقة المبذولة لعمل معين والجهاد كل صراع بين الحق والباطل أريد به وجه الله ﷻ ، فالصراع بين المسلمين والمشركين يسمى جهاداً وصراع الإنسان مع نفسه جهاداً أيضاً .

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾^(١) . وثواب المجاهدة عند الله هدايته لعباده المجاهدين .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٤) .

وروى عن الرسول ﷺ أنه قال : ﴿ رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ﴾ فقيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر ؟ قال : ﴿ جهاد النفس ﴾ .

وقال الرسول ﷺ : ﴿ جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم ﴾ .

وعن فضالة ابن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ المجاهد من جاهد نفسه في الله ﴾^(٥) .

وقال الرسول ﷺ : ﴿ ما من عمل أحب إلى الله تعالى من الجوع والعطش ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاري الشيطان بالجوع والعطش ﴾ .

١ - النازعات : ٤٠ ، ٤١ .

٢ - العنكبوت : ٦٩ .

٣ - الحج : ٧٨ .

٤ - التوبة : ٤١ .

٥ - أخرجه الترمذي .

وقال عليه السلام : ﴿ جَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ فَإِنَّ الْأَجْرَ فِي ذَلِكَ كَأَجْرِ الْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

والمجاهدة عند أهل الطريقة هي عملية ليّ عنان النفس وترويضها على الطاعات وكسر حدة شهواتها وقد علموا بنظرهم الثاقب وبصيرتهم النيرة أن الجوع أقوى سلاح ضد هذه الشهوات .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « طوبى لعبد جاهد الله نفسه وهواه . ومن هزم حينئذٍ هواه ظفر برضا الله . ومن جاوز عقله نفسه الأمانة بالسوء بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله تعالى ، فقد فاز فوزاً عظيماً ، ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الله تعالى من النفس والهوى ، وليس لقتلهما وقطعهما سلاح واله ، مثل الافتقار إلى الله سبحانه . والخشوع والجوع والظمأ بالنهار ، والسهر بالليل . فأن مات صاحبه مات شهيداً ، وإن عاش واستقام أداه عاقبته إلى الرضوان الأكبر ، قال تعالى وَعَبَّادُ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(١) . وإذا رأيت مجتهداً أبلغ منك في الاجتهاد فوبخ نفسك ولمها وعيها تحثيثاً على الازدياد عليه واجعل لها زماناً من الأمر وعناناً من النهي وسقها كالرابض للفارة الذي لا يذهب عليه خطوة من خطواتها ، إلا وقد صحح أولها وأخرها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي حتى تتورم قدماه ويقول : ﴿ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَاكِرًا ﴾ ، أراد أن تعتبر به أُمته فلا تغفلوا عن الاجتهاد والتعبد والرياضة بحال . ألا وإنك لو وجدت حلاوة عبادة الله ورأيت بركاتها واستضاءت بنورها لم تصبر عنها ساعة واحدة ولو قُطعت إرباً إرباً فما اعرض عنها من اعرض إلا بحرمان فوائد السلف من العصمة والتوفيق » ^(٢) .

١ - العنكبوت : ٦٩ .

٢ - عادل خير الدين - العالم الفكري للإمام جعفر الصادق ص ٢٩١ .

قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله : « لا تشتغل بغسل ثياب بدنك وتذر ثياب قلبك وسخة ، اغسل القلب أولاً ثم اغسل الثياب آخرًا ، اجمع بين الغسلين والطهارتين ، اغسل ثيابك من الوسخ واغسل قلبك من الذنوب ولا تغتر بشيءٍ فأن ربك فعال لما يريد » (١).

وقال رحمته الله : « المؤمن يشتهي من نفسه إذا جاءتها الأذية ، يقول وعظتك فلم تتعطي من هذا حذرتك يا جاهلة يا كافرة يا عدوة الله . كل من لا يحاسب نفسه ولا يحاققها ولا يعظها لا يفلح ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ من لم يكن له واعظ من نفسه لم ينفعه وعظ واعظ ﴾ . فمن أراد الفلاح فليعظ نفسه ويزهدا ويجاهدها » (٢).

وقال أيضاً : « اترك الشهوات فتركها فيه الشفاء وشفاء القلوب ، الشبع من الحلال يُعمي القلب ويسكره فكيف من الحرام ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ الحمية رأس الدواء ، والبطنة رأس الداء ، وأكل الجسد ما عتاد ﴾ فالبطنة تطفي نور الفطنة ومصباح الحكمة ونور الولاية » (٣).

قال الشيخ الجنيد رحمته الله : « سمعت السري السقطي يقول : يا معشر الشباب جدوا قبل أن تبلغوا مبلغي فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرت ، وكان في ذلك الوقت لا يلحقه الشباب في العبادة » (٤).

قال أبو عثمان المغربي رحمه الله : « من ظن انه يفتح له بهذه الطريقة أو يكشف له عن شيء منها لا بلزوم المجاهدة فهو في غلط » (٥).

١ - الشيخ محمد الكسنزان - جلاء خاطر كلام السيد الشيخ عبد القادر .

٢ - الشيخ محمد الكسنزان - جلاء خاطر كلام السيد الشيخ عبد القادر ص ٣٧ .

٣ - نفس المصدر .

٤ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية ص ٤٨ - ٥٠ .

٥ - نفس المصدر .

وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى : « من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمجاهدة قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ^(١) . واعلم انه من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة ^(٢) . قال زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى : « إن نجاة النفس أن يخالف العبد هواها ويحملها على ما طلب منها ربها ^(٣) .

قال محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى في كتاب الفتوحات المكية : ولما رأت عقول أهل الإيمان بالله تعالى إن الله تعالى قد طلب منها أن تعرفه بعد أن عرفتة بادلته النظرية ، علمت إن ثمّ علماً آخر بالله لا تصل إليه من طريق الفكر ، فاستعملت الرياضيات والخلوات والمجاهدات وقطع العلائق والانفراد والجلوس مع الله بتفريغ المحل وتقديس القلب عن شوائب الأفكار إذ كان متعلق الأفكار الأكوان ، واتخذت هذه الطريقة من الأنبياء والرسل .

وقال ابن عجيبة : « المجاهدة فطم النفس عن المألوفات وحملها على مخالفة هواها في عموم الأوقات وخرق عوائدها في جميع الحالات ^(٤) .

ولما كانت النفس جاسوس إبليس اللعين ووسيلة في الإغواء فقد اشتد السالكون في محاربة هذا الجاسوس واتخذوا من الجوع سيفاً بتاراً لا ينثلم ضده ، قال عبد الواحد بن زيد متحدثاً عن أهل الطريقة : « والله ما مشوا على الماء إلا بالجوع ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ^(٥) . فأنت ترى الاهتمام والتركيز على الجوع لان فيه يحصل صفاء القلب ونفاذ البصيرة ويزداد الفكر توقداً . وفي الجوع أيضاً تذلل النفس ويزول البطر والطغيان ، وتكسر شهوات المعاصي وبالجوع يحصل السالك خفة في البدن وزوال

١ - العنكبوت : ٦٩ .

٢ - نفس المصدر .

٣ - زكريا الأنصاري - تعليقات على الرسالة القشيرية .

٤ - الشيخ ابن عجيبة - معراج التشوف إلى حقائق التصوف .

٥ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية .

للنوم فهو المساعد الأول على السهر ، قال يحيى بن معاذ رحمه الله : « الشَّبْعُ نُحْرٌ فِي
النفس ترده الشياطين والجوع نُحْرٌ فِي الروح ترده الملائكة وتنهزم الشياطين من جائعٍ
نائم فكيف إذا كان قائماً » (١).

وقال الإمام القشيري : « أساس باب الطريق هو الجوع لأنهم لم يجدوا ينابيع
الحكمة تحصل إلا به » (٢).

وحدد ابن عجيبة مراجع المجاهدة بثلاثة مراجع :-

١ . أن لا يأكل إلا عند الفاقة .

٢ . أن لا ينام إلا على غلبة شديدة .

٣ . أن لا يتكلم إلا عند الضرورة .

وهذا حال سيدنا السلطان حسين الكسنزان رحمته الله حيث بقي سنة كاملة
طعامه فيها ملعقة صغيرة من العسل وقليل من الشاي في اليوم الواحد .
وهكذا كان حال أبيه الشيخ عبد القادر الكسنزان وأخيه الشيخ عبد الكريم
الكسنزان قدست أسرارهما ، جربوا فوجدوا النور كله في خلو البطن .

ولما كسر المرید نفسه بالجوع وذلّلها فقد أصبحت تنقاد إليه فعليه أن يوجهها
إلى التهذيب والتأديب فيلزمها ترك الكبر والعجب والغرور والغضب وتحقير الناس
والطمع في الدنيا وحب الذات حتى تستقر وترى نفسها على حقيقتها ضعيفة ذليلة
وتعلم قدرة الله فتقع في حبه تدريجياً فتأنس به وتستوحش عن غيره وتهيم في البراري
حائرة مقبلة على العطش والجوع إقبالها على الطعام والشراب .

« وأول مرحلة في المجاهدة عدم رضا المرء عن نفسه وإيمانه بوصفها الذي أخبر
عنه خالقها ومبدعها : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (٣) . وعلمه أن النفس أكبر
قاطع عن الله تعالى كما إنها أعظم موصل إليه وذلك أن النفس حينما تكون أمارة

١ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية .

٢ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية

٣ - يوسف : ٥٣ .

بالسوء لا تتلذذ إلا بالمعاصي والمخالفات ، ولكنها بعد مجاهدتها وتركيتها تصبح راضية مرضية لا تُسر إلا بالطاعات والموافقات والاستئناس بالله تعالى «(١).

« ولما كان طريق المجاهدة وعَرُّ المسالك متشعب الجوانب ، يصعب على السالك أن يلججه منفرداً كان من المفيد عملياً صحبة مرشدٍ خبيرٍ بعيوبها عالم بطرق معالجتها ومجاهدتها ، يستمد المريد من صحبة المرشد (شيخ الطريقة) خبرةً عمليةً بأساليب تزكية نفسه ، كما يكتسب من روحانيته نفحات قدسية تدفع المريد إلى تكميل نفسه وشخصيته ، وترفعه فوق مستوى النقائص والمنكرات ، فقد كان رسول الله ﷺ المرشد الأول والمزكي الأعظم الذي ربي أصحابه الكرام وزكى نفوسهم بقاله وحاله ، كما وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢) . «(٣).

« والخلاصة إن المجاهدة أصل من أصول الطريقة وقد قالوا من حقق الأصول نال الوصول ومن ترك الأصول حُرِمَ الوصول . وقالوا أيضاً : من لم تكن له بداية محرقةً بالمجاهدات لم تكن له نهاية مشرقة والبدايات تدل على النهايات «(٤).

١ - عبد القادر عيسى - حقائق عن التصوف ص ١١٦ .

٢ - الجمعة : ٢ .

٣ - عبد القادر عيسى - حقائق عن التصوف ص ١١٨ .

٤ - المصدر نفسه - ص ١٢٩ .

السلوك في الطريقة الكسنزانية

لما كان الشيخ هو المربي والطبيب المعالج لنزوات النفس وكبح شهواتها من السير بالمريد نحو النجاة والصفاء فقد فرض المشايخ الكرام قدس الله أسرارهم سلوكاً خاصاً للمريدي طريقتنا إضافة إلى الأوراد وفروض الطاعة التي فرضها القرآن الكريم ويهدف هذا السلوك إلى تنوير قلب المريد وصفاء سريرته والسمو به نحو الأمور الروحية كنوع من المجاهدات ضد النفس وفيها يتعاون المريد مع الشيخ لتطبيق السلوك وبالتالي الانتصار على سلطان الغواية النفسية وينقسم السلوك في الطريقة إلى قسمين :

المنهج على ما يلي :-

- أ . يمتنع المريد عن أكل المنتوجات الحيوانية ومشتقاتها كافة في فترة الرياضة .
- ب . يقلل من أكل الخبز تدريجياً لأن له صفة وتأثير اللحوم على النفس وشهواتها .
- ج . يقلل من كلام الدنيا ويَجِدُّ في ذكر الله ﷻ .
- د . يَجِدُّ في أيجاد الطعام الحلال والابتعاد عما فيه شبهة مهما كانت صغيرة .
- هـ . يقلل من شرب الماء وخاصة الماء البارد منه لأنه يحث على الغفلة أو النوم . ولتسهيل مهمة المريد السالك تُقسَّم فترة الرياضة إلى أربع مراحل لكل مرحلة عشرة أيام من حيث الطعام وكما يلي :-
- العشرة الأولى : للمريد رغيغ واحد من الخبز يومياً مع قليل من الفاكهة والخضر والشاي .
- العشرة الثانية : للمريد نصف رغيغ من الخبز مع قليل من الفاكهة والشاي يومياً .

العشرة الثالثة : للمريد ربع رغيف من الخبز مع قليل من الفاكهة والخضر والشاي يومياً .

العشرة الرابعة : السبعة الأولى له ثلاث تمرات يومياً بدون خبز .

الثلاثة أيام الأخيرة : يكتفي بالماء والشاي فقط .

العبادات

أ . الأذكار : إضافة إلى الأوراد اليومية المكلف بها المريد (ورد الصباح ، ورد العصر ، ورد العشاء) . يعمل المريد بالأوراد الدائمية وبعدد مئة ألف مرة لكل ورد .

ب . الصلاة : على المريد إضافة إلى الصلوات الخمس أن يؤدي السنن التالية :

- سنة الوضوء : وهي ركعتان بعد كل وضوء وقبل أن تجف الأعضاء .
- ركعتان قبل صلاة الفجر .
- سنة الضحى : ووقتها بعد ارتفاع الشمس مقدار رُمح وعددها أربعة في أقلها .
- أربع ركعات قبل صلاة الظهر وأربع بعدها .
- أربع ركعات قبل صلاة العصر .
- ركعتان بعد صلاة المغرب وبين صلاة المغرب والعشاء سنة الأوابين وعددها ست ركعات في الأقل .
- ركعتان قبل صلاة العشاء وركعتان بعدها .
- صلاة الوتر : ثلاث ركعات بعد صلاة العشاء .
- سنة صلاة التساييح : وهي أربع ركعات وكما يلي :

١ . الركعة الأولى : بعد الفاتحة وقراءة سورة من القرآن الكريم يقول (استغفر الله سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي

العظيم) خمس عشرة مرة ثم بعد ذلك يقولها عشر مرات في كل حركة (ركوع . سجود . اعتدال . وقوف) فيكون مجموعها في الركعة الواحدة خمس وسبعون مرة وهكذا بقية الركعات .

ملاحظة : لا يحق للمريد المتريض النوم في الليل مطلقاً وله أن ينام بعد شروق الشمس لمدة ساعة . ومن المستحسن للمريد أن يصوم أيام الاثنين والخميس من كل أسبوع والأيام البيض وهي (١٣ ، ١٤ ، ١٥) من كل شهر قمري .

٢ . الخلوة : الخلوة من الخلو وهو الفراغ والمكان الخالي الذي لا يتواجد فيه أنسٌ عموماً وأصبح الرجل خالياً أي بقي وحده لا أنيس من البشر معه .

فاصل الخلوة هو الابتعاد عن البشر والانقطاع إلى الله ﷻ للإجادة في عبادته والتفكير في آلائه وإحسان شكره . والخلوة عند بعض العارفين هي العزلة عن النفس وما تدعو إليه مما يشغل عن ذكر الله . وقيل : (الخلوة الأنس بالذكر والاشتغال بالفكر) ومشروعية الخلوة واردة في القرآن الكريم قال تعالى : على لسان أصحاب الكهف : ﴿ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقاً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِلاً ﴾ (٢) .

وأول من ابتدأ سيدنا محمد ﷺ حيث كان يعتزل الناس في غار حراء حتى آتاه الحق من ربه وما ترك ذلك بعد البعثة . وأقل الخلوة عشرة أيام لاعتكافه ﷺ عشراً وأكثرها لا حد له وتشير آراء أهل الطريقة إلى الأربعين يوماً نسبةً إلى مواعدة النبي موسى ﷺ وقال الرسول ﷺ : ﴿ جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاستنبتت بطن الوادي ﴾ .

١ - الكهف : ١٦ .

٢ - المزمل : ٨ .

ويرى ابن عربي إن زمن الخلوة يختلف باختلاف أصحاب الخلوة فيقول :
(وليس لها حدٌ زماني معين فقد يفتح لواحد في يومين عين ما يفتح لآخر في
شهرين) .

والخلوة أن يستوحش المؤمن الناس ويأنس بربه ولا يرى غيره متجرداً عن نفسه
فيبتعد عن حديث الناس ومشاغل الحياة ومغرياتها فيفرغ قلبه من الهموم وتصفو
أفكاره ويجد في مناجاة ربه معلناً له انه قد ترك كل شيء وجاء إليه بقلب سليم من
جميع الأدران التي تغطي على قلوب الناس فينزل النور على قلبه وتتنور بصيرته حتى
تتفجر ينابيع الحكمة في قلبه ويستقر فيه ما شاء الله من علوم الغيب .

وعلى صاحب الخلوة أن يمارس الرياضة ومجاهدات سابقة للخلوة بفترة كي
تعتاد النفس على الحالة وتصبح فيها طبعاً وعادة ولا تشعر بالتغير المفاجيء فينشغل
عن الذكر والمناجاة . قال الإمام الصادق عليه السلام : صاحب العزلة متحصن بحصن
الله تعالى ومتحرس بحراسته فيا طوبى لمن تفرد سراً وعلانيةً وهو يحتاج إلى عشرة
خصال علم الحق والباطل ، وتحبب الفقر ، واختيار الشدة والزهد ، واغتنام الخلوة
والنظر في العواقب ورؤية التقصير في العبادة مع بذل الجهود وترك العجب وكثرة
الذكر بلا غفلة ، فان الغفلة مصطاد الشيطان ورأس كل بلية وسبب كل حجاب .

وقال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله : « كيف لا يحب الصالحون
الخلوة وقلوبهم قد امتلأت بالأنس من ربه وَعَلَيْكَ ؟ شراب القرب يحييهم والصحو
يميتهم وكلام الشوق يقربهم ويطلعهم على الأسرار تحسبهم مجانين بالاضافة إلى
الخلق ، عقلاء وحكماء وعلماء بالاضافة إلى الله وَعَلَيْكَ ، من أراد أن يكون زاهداً
فليكن هكذا وإلا فلا يتعب . يا متكلفاً يا مُتصنعاً يا هذياناً بما أنت عليه ، هذا
الأمر لا يتم بصيام النهار وقيام الليل والتخشن في المطعم والملبس مع وجود النفس
والبؤس والجهل ورؤية الخلق ، لا يجيء هذا الشيء إلا بمُدهاه . ويلك ، أخلص
وتخلص لعل في الأمر دقة خفت ، اصدق وقد وصلت وقُربت ، اعلُ بهمتك وقد

علوت ، سلم وقد سَلِمْتُ ، وافق وقد وَفَّقْتُ ، ارض وقد رَضِي عَنْكَ ، أسرع وقد تَمَّ الحق وَعَبَّكَ لَكَ ، اللهم تَوَلَّ أمورنا وآتِنَا فِي الدنْيا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» (١).

وضرورة الخلوة أن يحاول السالك قدر الامكان أخفاء عمله هذا عن الناس قال ابن عربي : « شروط الخلوة إن قدرت أن لا تعرف أحداً انك في خلوة ، والقصد منها تطهير القلب وإفراده لذكر الله تعالى استعداداً لتقبل النور المرسل إليه من الله ولكنها لا تكون بدون شيخ عارف يُعَلِّمُ المريد إذا جهل ويذكره إذا غفل وساعده على طرد الوسوس الشيطانية والهواجس النفسية . فالخلوة بدون أمر الشيخ مخاطرة كبيرة تُخْرِجُ المريد عن حدود التقوى وتجرفه إلى مهاوي الضياع .

ولصاحب الخلوة أمورٌ لابد أن يعمل بها وهي حب الفقر والزهد وبذل الجهد وترك العجب وكثرة الذكر وحدة البصيرة وتجاوز الغفلة ويُقَسِّمُ ابنُ عربي أصحاب الخلوات على ثلاثة أقسام حسب غاياتهم . فجعل القسم الأول يطلبون الخلوة لصفاء الفكر لأنهم يطلبون العلم من أفكارهم وهم علماء المادة ، وقال ابن عربي وهذه الخلوة لا يدخلها أهل الله .

وأما القسم الثاني فهم من غَلَبَتْ عليهم وحشة الناس حتى أهل بيتهم واستوحشوا الحركة في الحياة فطلبوا الخلوة حباً في السكون والهدوء .

وأما القسم الثالث فهو خلوة أهل الله المحبين للذكر لا الفكر فليس للفكر عليهم من سلطان ويطلبون علماً من ربهم فلا يريدون وارداً ولا شهوداً ولا يستلذون بما يصل لهم من هذه الأشياء أثناء الخلوة وإنما هدفهم علم الله جل شأنه وعلا» (٢).

١ - الناشر الشيخ مُحَمَّدُ الكَسْتَرَان - جلاء خاطر من كلام السيد الشيخ عبد القادر ص ٧٧ - ٧٨ .

٢ - الشيخ ابن عربي - كتاب الخلوة .

أهمية الخلوة

قال الإمام الشافعي : « ومن أحب أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب » (١).

وقال الإمام الغزالي : « وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فإنها دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قدرة من انهار الحواس ، ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف » (٢).

وقال ابن عربي : « فأن المتأهب الطال للمريد المتعرض لنفحات الجود بأسرار الوجود إذا لزم الخلوة والذكر وفرغ المحل من الفكر وقعد فقيراً لا شيء له عند باب ربه حينئذ يمنحه الله تعالى ويعطيه من العلم به الأسرار الإلهية والمعارف الربانية التي أثنى الله ﷻ بها على عبده الخضر فقال : ﴿ عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٣). وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (٤). فيحصل لصاحب الهمة في الخلوة مع الله وبه جلت هيئته وعظمت منته من العلوم ما يغيب عندها كل متكلم على البسيطة بل كل صاحب نظر وبرهان ليست له هذه الحالة » (٥).

وقال الدكتور مصطفى السباعي : « وللخلوة والقيام لله بالعبودية في أعقاب الليل لذة لا يدركها إلا من أكرمه الله بها وقد كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يقول في أعقاب تهجده وعبادته نحن في لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها » (٦).

١ - الإمام النووي - بستان العارفين ص ٤٧ .

٢ - الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٦٦ .

٣ - الكهف : ٦٥ .

٤ - البقرة : ٢٨٢ .

٥ - الشيخ ابن عربي - الفتوحات المكية ج ١ ص ٣١ .

٦ - الدكتور مصطفى السباعي - مذكرات في فقه السيرة ص ١٨ .

وليست الخلوة هي آخر مرحلة في السلوك بل هي خطوة في طريق الوصول إلى الله تعالى ولا بد أن تليها خلوات ومجاهدات طويلة ومذكرات متواصلة بمهمة وصدق واستقامة .

الخلوة في الطريقة الكسنزانية

يدخل المريد الخلوة للمواظبة على ذكر الله تعالى ومجالسة الحق جل شأنه ومناجاته كما ورد في الحديث القدسي : ﴿ أنا جليس من ذكرني ﴾ .

ولابد للمريد من اخذ الأمر بالخلوة من الشيخ لأنها بدون أمره ومراعاته ومراقبته خطرة جداً على المريد بسبب النشاط القوي الذي يديه الشيطان ضده وتفننه في الغواية ولا يسلم من الوقوع في حبائله من لم يكون له شيخ يرشده إذا تاه ويعلمه إذا حارَ وينبئه إذا غفل ويدله على الطريق الصحيح .

الطعام : يقسم الطعام إلى أربعة مراحل مدة كل واحدة منها عشرة أيام .

العشرة الأولى : للمريد رغيف واحد من الخبز يومياً مع قليل من الفاكهة والخضر والشاي .

العشرة الثانية : للمريد نصف رغيف من الخبز مع قليل من الفاكهة والخضر والشاي يومياً .

العشرة الثالثة : للمريد ربع رغيف من الخبز مع قليل من الفاكهة والخضر والشاي يومياً .

العشرة الرابعة :

السبعة الأولى : له ثلاث تمرات يومياً بدون خبز .

الثلاثة أيام الأخيرة : يكتفي بالماء والشاي فقط .

العبادات

أ . إضافة إلى الأوراد اليومية المكلف بها المريد (ورد الصباح ، ورد العصر ، ورد العشاء) يعمل المريد بالأوراد الدائمة وبعدد مئة ألف مرة لكل ورد وإذا انتهى منها قبل انتهاء الخلوة يعود بعدها مرة أخرى من البداية .

ب . الصلاة على المريد إضافة الصلوات الخمس أن يؤدي السنن الآتية :

- سنة الوضوء : وهي ركعتان بعد كل وضوء وقبل أن تجف الأعضاء .
- ركعتان قبل صلاة الفجر .
- سنة الضحى : ووقتها بعد ارتفاع الشمس مقدار رُمح وعددها أربعة في أقلها .

- أربع ركعات قبل صلاة الظهر وأربع بعدها .

- أربع ركعات قبل صلاة العصر .

- ركعتان بعد صلاة المغرب والعشاء .

ملاحظة : بعد صلاة المغرب يقف المريد ويذكر (يا خير) مئة مرة وهو واقف يومياً ثم يجلس بياشراً بالأوراد ، وعلى المريد أن يمشي مئة خطوة ويسبح بهذه التسبيحة (صلى الله سبحانه وتعالى عليك وسلم يا رسول الله) مئة مرة يومياً .

الجلوس : يجلس المريد في الخلوة كما يجلس في الصلاة (وضع التحيات) وإذا تعب يسمح له بالتربع لأجل الاستراحة فقط ، ويتجه باتجاه القبلة وهو مغمض عينية ويعمل بأوراده ولا يحق له الاتكاء ولا يخطر على باله خاطر دُنْيوي مطلقاً .

الخلوة الخاصة

وهي الخلوة التي أوصى بها السيد الشيخ الغوث إسماعيل الولياني رحمته الله لتصفية نفوس المريدين وترقية أحوالهم وهي ليست فرضاً عليهم وإنما ممارستها أمرٌ اختياري لزيادة التقرب إلى الله تعالى ومدتها مئة وعشرون يوماً مقسمة على ثلاث مراحل لكل مرحلة أربعون يوماً وبنفس الأسلوب المتبع في الخلوة الكسنزانية من حيث الطعام والعبادة باستثناء الأذكار حيث تكون كما يأتي :

- تبدأ الخلوة بذكر (لا اله إلا الله) لمدة أربعين يوماً وبعدد سبعين ألف مرة يومياً .

- وفي الأربعين يوماً الثانية يذكر السالك (الله) وبعدد سبعين ألف مرة يومياً .

- وفي الأربعين يوماً الثالثة يذكر السالك (هو) وبعدد سبعين ألف مرة يومياً .

فيصبح قلب السالك لا يرى إلا الله وينسلخ قلبه البشري إلى الروحانية ولا ينطق إلا بالله تعالى فيصل قلبه إلى اليقين وتنقطع عنه العلائق الدنيوية فيفوز فوزاً عظيماً إن شاء الله وهذا اصل شغل السالكين إلى طريق الله وَعَلَيْكُمْ .

خوارق العادات

الخوارق هي عمل أشياء خارجة عن حدود تصور العقل البشري أو كسر قوانين اعتاد الناس عليها وافتها الطبيعة البشرية والإتيان بما هو مخالف لها وتقسم إلى أربعة أقسام :

١ . أعمال خارقة للعادة يستحيل على البشر الإتيان بها إذا اعتمد على قوته وحده وهي من الله ﷻ يجريها يد أنبيائه لإظهار صدقهم وتكون مقرونة بدعوى النبوة وتسمى (معجزات) .

٢ . أعمال خارقة أيضاً يجريها الله ﷻ على يد أوليائه تكريماً لهم ولإظهار صدق صلاحهم ولا تقرر بدعوى النبوة وتسمى (كرامات) .

٣ . أعمال غريبة الحدوث يجريها الله ﷻ على يد أعدائه لإظهار كذبهم في دعواهم وتأتي مخالفة لطلبهم وتسمى (إهانات) كما حدث لمسيلمة الكذاب حين تفل في عين أرمد طلباً لشفائه فعميت وتفل في بئر مالح فغار الماء وجف البئر ومسح رأس يتيم فصار أقرعاً .

٤ . أعمال خارقة يجريها الشيطان على يد أوليائه ليضلهم عن السبيل وتأتي حسب طلب القائم بها وتسمى (استدراجات) فان استعمل فيها تعاويد واستخدم فيها جان فهي سحر والعمل به كفر لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ (١) .

فالكرامات هي أعمال خارقة للعادة والطبيعية يقوم بها أولياء الله من السالكين أو مُريديهم ويظهرها الله ﷻ على أيدي هؤلاء الصالحين تكريماً لهم وليس بإمكان المرید عمل شيء منها مالم يستمد من بركة الشيخ ويتوسل بجاهه عند الله ، وقوة الكرامة تعتمد على درجة أو مرتبة الشيخ في الإدراك فما يقوم به الشيخ الفلاني قد

يعجز عنه غيره الذي يسلك نهجاً غير هذا النهج برغم اجتماع الطرق واتصالها جميعاً بحضرة الرسول ﷺ ولكن الفتح الرباني للعباد السالكين يختلف باختلاف اجتهادهم في السلوك والعبادة .

ولقد اعتاد الناس على تسمية كل أمر خارق بالسحر ونسبه إلى أعمال شيطانية ولكن الكرامة غير ذلك فكل عمل من هذا النوع ينهار أمام الحقيقة كالحيل والخدع البصرية التي لا وجود لها على الواقع أما الكرامات فقد اثبت المشايخ الكرام حقيقتها باللمس والنظر وقد دحضت كرامات مشايخ الكسنزان كل التحليلات النفسية والتأثيرات المغناطيسية وصور الأشعة وثبت للجميع إن الحراب تخترق الأكباد وإن الخناجر تدخل في الرؤوس حقاً وحقيقة وإن التأثير الروحي للشيخ والرابطة الروحية بينه وبين مُريديه بعيدة كل البعد عن التأثير المغناطيسي وإنما هي لمسة روحية إلهية مستمدة من نور الله متصلة على شكل سلسلة مع حضرة الرسول ﷺ .

دليل الكرامات في الكتاب والسنة

دلت قصص كثيرة من القرآن الكريم على وجود الكرامات وإثباتها لغير الأنبياء فمنها قصة أصحاب الكهف حيث ناموا ثلاث مائة سنة وازدادوا تسعاً بلا غذاء ولا مقومات الحياة ودل إجماع الأمة على أنهم ليسوا أنبياء .

• وتساقط الرطب على السيدة مريم من نخلة يابسة يُعد من الكرامات لأنها ليست نبيه وإنما اجمع العلماء على ولايتها .

• كما إن نقل عرش بلقيس على يد آصف بن برخيا في طرفة عين يعد من كرامات آصف لأنه لديه علم الكتاب وهو ليس نبياً وكذلك ورد في القرآن الكريم أفعال سيدنا الخضر عليه السلام التي لم تكن إلا كرامات له وذكره القرآن انه عبد صالح .

• كما إن رؤية زوجة فرعون بيتها في الجنة أثناء التعذيب يعد من الكرامات

لها .

وأما في الحديث النبوي الشريف فقد وردت أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم عن كرامات الأولياء فمنها حديث الرسول ﷺ عن جريح الراهب الذي كلمه الطفل الرضيع ومنها حديث الرسول ﷺ عن أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار ثم انفرجت بدعائهم كما أن حديث الرسول ﷺ عن البقرة التي كلمت صاحبها عندما أثقل عليها الحمل دليل على ورود الكرامات في الحديث النبوي الشريف .

كرامات الأولياء حق

اجمع القوم على أن كل من خرق العادة بكثرة العبادات والمجاهدات لا بد له أن يخرق العادة إذا شاء .

وجاء في كتاب اليواقيت والجواهر ما قاله الشيخ عجل الدين بن عبد السلام سلطان العلماء بمصر في عصره : (كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقعد الصوفية على قواعدها التي لا تنزل ، ويؤيد ذلك ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ في العلم ما بلغ ، إلا إذا سلك طريقهم) وقال أيضاً : (من أصدق دليل على صحة طريق الصوفية وإخلاصهم في أعمالهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق) .

كرامات آل البيت عليهم السلام

لقد كان وما زال لآل البيت النبوي الشريف سلام الله عليهم أجمعين كرامات وأعمال خارقة يعجز عنها من لم تكن له تلك العناية الإلهية الخاصة وذلك التكريم الرباني العظيم ، وقد تناولنا بعضاً من كرامات الإمام علي عليه السلام في موضعها وآثرنا أن نسرد هنا بعضاً من كرامات الأئمة بعده من أولاده وأحفاده عليهم السلام ، واستفدنا من كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة للعلامة أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي حيث جمع عدداً كبيراً من كرامات الأئمة الأطهار في كتابه الأنف

الذكر ولما احتجنا إلى ذكر الكرامات كدليل لإثباتها رجعنا إليه مُعيناً ، يقول صاحب كتاب كشف الغمة :

• روى سالم بن حفصة قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام : يا أبا عبد الله إن قبلنا ناساً سفهاء يزعمون أنني أقتلك فقال الحسين عليه السلام : إنهم ليسوا بسفهاء ولكن حلماء أما انه يقر بعيني انك لا تأكل بُرّ العراق إلا قليلاً .

• وروى الكليني قال حدثني علي بن محمد قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن موسى بن جعفر قال حدثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد عليهم السلام أن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام دعا لحبابة الوالبيه فرد الله عليها شبابها وأشار إليها بإصبعه فحاضت لوقتها ولها يومئذ مئة وثلاث عشر سنة .

• وقال أبو حمزة الثمالي كنت يوماً عند علي ابن الحسين عليه السلام فإذا عصفير يطرن حوله ويصرخن فقال يا أبا حمزة : هل تدري ما تقول هذه العصفير ؟ قلت لا . قال فأنها تقدس ربها وتسأله قوت يومها .

• وكان علي بن الحسين عليه السلام في سفر وكان يتغذى وعنده رجل فاقبل غزال في ناحية يتقمم فقال له علي بن الحسين أد فكل فأنت آمن فدنا الغزال من السفرة فقام الرجل الذي كان معه بحصاة فقفذ بها ظهره فنفر الغزال ومضى فقال علي بن الحسين أخفرت ذمتي لا كلمتك كلمة أبداً .

• وعن عمر بن سالم قال سرتُ مع أبي جعفر - يعني الإمام الباقر عليه السلام - ما بين مكة والمدينة وهو على بغلة وأنا على حمار إذ اقبل ذئب يهوي من رأس الجبل حتى دنا من أبي جعفر فحبس البغلة ودنا الذئب حتى وضع يده على قربوس سرجه وتطاول بخطمه وأصغى إليه أبو جعفر بأذنه ملياً ثم قال اذهب قد فعلت فرجع الذئب فقال أتدري ما قال ؟ فقلت الله ورسوله وابن رسوله اعلم قال انه قال لي يا ابن رسول الله إن زوجتي في ذلك الجبل قد عسر عليها ولادتها فادع الله أن يخلصها ولا يسلط أحداً من نسلي على أحد من شيعتكم قلت لقد فعلت .

- وتلكأت ناقة علي بن الحسين عليه السلام في المسير فراها السوط وقال لتنطلقنّ أو لأفعلنّ فانطلقت وما تلكأت بعد ذلك حتى وصلت .
- وعن مالك الجهيني قال كنت قاعداً عند أبي جعفر الباقر عليه السلام فنظرت إليه وجعلت أقول في نفسي لقد عظمك الله وكرمك وجعلك حجة على خلقه فالتفت إلي وقال يا مالك الأمر أعظم مما تذهب إليه .
- وعن أبي الهذيل قال : قال لي أبو جعفر الباقر عليه السلام : يا أبا هذيل انه لا تخفى علينا ليلة القدر أن الملائكة يطوفون بنا فيها .
- وعن عبد الله بن عطاء المكي قال اشتقت إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام وأنا بمكة فقدمت المدينة ما قدمتها إلا شوقاً إليه فأصابني في تلك الليلة مطر وبرد شديد فانتهيت إلى بابه بعد منتصف الليل فقلت اطرقه الساعة أو انتظر حتى يصبح ؟ وبينما أنا أفكر سمعته يقول يا جارية افتحي الباب لابن عطاء فقد أصابه الليلة برد وأذى .
- وعن عباد بن كثير البصري قال قلت للباقر عليه السلام ما حق المؤمن على الله ؟ فصرف وجهه عني فسأله ثلاثاً فقال من حق المؤمن على الله إن لو قال لتلك النخلة اقبلي لأقبلت فنظرت والله إلى النخلة كانت هناك قد تحركت مقبلةً فأشار إليها قُري لم أعنك .
- وعن جابر قال كنا عند الباقر عليه السلام نحو خمسين رجلاً إذ دخل عليه كثير النواء فسلم وجلس ثم قال أن المغيرة بن عمران يزعم إن معك ملكاً يُعرفك الكافر من المؤمن وشيعتك من أعدائك فقال الباقر ما حرفتك ؟ قال أبيع الحنطة فقال كذبت فقال وربما الشعير ، قال ليس كما ذكرت بل تبيع النوا ، فقال من أخبرك بهذا قال الملك الرباني يُعرفني شيعتي من عدوي ولست تموت إلا تائهاً ، قال جابر فلما انصرفت إلى الكوفة ذهبت في جماعة نسأل عن كثيرٍ فدُللنا على عجوز قالت مات تائهاً منذ ثلاثة أيام .

• وعن أبي البصير قال دخلت على أبي عبد الله - يعني الصادق عليه السلام - وأنا أريد أن يعطيني من دلالة الإمامة فلما دخلت وكنت جنباً قال يا أبا محمد أما كان لك فيما كنت فيه شغل ، تدخل عليّ وأنت جنب ؟ فقلت ما عملته إلا عمداً ، فقال أولم تؤمن ؟ قلت بلا ولكن ليطمئن قلبي قال نعم يا أبا محمد قم فاغتسل .

• وعن شعيب القرقوفي قال دخلت أنا وعلي بن حمزة وأبو البصير على أبي عبد الله الصادق عليه السلام ومعي ثلاثمائة دينار فصببتها قدامه فاخذ منها قبضة ورد الباقي عليّ وقال يا شعيب رد هذه المئة دينار إلى موضعها الذي أخذتها منه فلما خرجنا من عنده قال أبو بصير يا شعيب ما حال هذه الدنانير التي ردها عليك ؟ قلت أخذتها من عروة أخي سرّاً منه وهو لا يعلمها قال شعيب فلما عددنا الدنانير وجدنا مئة دينار كاملة .

• وعن رزام بن مسلم مولى خالد بن عبد الله القسري إن المنصور قال لحاجبه إذا دخل عليّ جعفر بن محمد يعني الصادق عليه السلام فأقتله قبل أن يصل إلي فدخل أبو عبد الله فجلس فأرسل المنصور إلى الحاجب فنظر إليه وجعفر قاعد عنده ثم قال له عد إلى مكانك قال فاقبل الحاجب يضرب يداً بيد فلما قام أبو عبد الله وخرج دعا الحاجب فقال بأي شيء أمرتك ؟ فقال والله ما رأيته حين دخل ولا حين خرج ولا رأيته إلا وهو قاعد عندك .

• وعن هشام ابن أحمر قال كتب أبو عبد الله رقعة في حوائج لأشترها وكتب إذا قرأت الرقعة خرّقتها فاشترت الحوائج وأخذت الرقعة فأدخلتها في زنجفلي وقلت أتبرك بها وقدمت عليه فقال يا هشام اشترت الحوائج ؟ قلت نعم قال وخرقت الرقعة ؟ قلت أدخلتها زنجفلي وأقفلت عليها الباب اطلب البركة وهو ذا المفتاح قال هشام فرفع جانب مُصلاته وقدم إلى الرقعة وقال خرّقتها فخرقتها ورجعت ففتشت عنها فلم أجدها .

• وعن عمر بن يزيد قال اشتكى أبو عبد الله شكاة شديدة فخفت عليه وقلت في نفسي اسأله عن الإمام بعده فبادرني بالجواب قبل أن أسأله وقال ليس عليّ من وجعي هذا بأس .

وروي عن يونس بن ظبيان قال كنت عند الصادق عليه السلام مع جماعة فقلت قول الله لإبراهيم : ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ ^(١) . أكانت أربعة من أجناس مختلفة أم من جنس واحد ؟ فقال أتحبون أن أريكم مثله ؟ قلت نعم فقال يا طاووس فإذا الطاووس طائر بحضرته وقال يا غراب فإذا الغراب بين يديه ثم قال يا باز فإذا بازٌ بين يديه ثم قال يا حمامة فإذا حمامة بين يديه ثم أمر بذبحها كلها وتقطيعها ونتف ريشها وان يخلط ذلك كله ببعضه ببعض ثم أخذ برأس الطاووس فقال يا طاووس فرأينا لحمه وعظامه وريشه يتميز عن غيره حتى التصق ذلك برأسه وقام الطاووس بين يديه حياً ثم صاح بالغراب فقام حياً وبالبازي والحمامة فقامتا كذلك حتى قامت كلها أحياء بين يديه .

• وعن هشام بن الحكم قال أردت شراء جارية يمينى وكتبت إلى أبي الحسن - يعني الإمام الكاظم عليه السلام - أشاوره فلم يرّد علي جواباً ولما كان الطواف مرّ بي يرمي الجمار فنظر إلي وإلى الجارية ثم أتاني كتابه (لا أرى بشرائها بأساً إن لم يكن في عمرها قلة) فقلت والله ما قال لي هذا الحرف إلا وهاهنا شيء ، لا والله لا اشتريها قال هشام فما خرجت من مكة حتى دفنت .

• وعن الوشاء قال حدثني الحسين بن علي قال حججت أنا وخالي إسماعيل بن الياس فكتبت إلى أبي الحسن - الإمام الكاظم عليه السلام - وكتب خالي أن لي بنات وليس لي ذكر وقد قتل رجالنا وقد خلفت امرأتي حاملاً فأدعُ الله أن يجعله غلاماً وسمه فوقّع في الكتاب قد قضى الله حاجتك فسمه مُجَدّاً فَقَدِمْنَا الكوفة وقد ولد له غلام قبل وصولنا بستة أيام .

• وعن عثمان بن عيسى أبو الحسن لإبراهيم بن عبد الحميد يا إبراهيم قال لبيك قال إلى أين ؟ قال إلى قبا ، قال في أي شيء ؟ قال كنا نشترى في كل سنة هذا التمر فأردتُ إن آتي رجلاً من الأنصار لاشتري منه التمر ، فقال وقد أمنتم الجراد ؟ ثم مضى فأخبرت أبا الأعز وقلت والله لا اشتري هذا العام نخلة فما مرت خامسة حتى بعث الله جراداً فأكل عامة ما في النخل .

• وعن المفضل بن عمر قال بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام ادعى ابنه عبد الله الإمامة بعد أبيه فأمر موسى الكاظم عليه السلام بجمع حطب كثير في وسط داره وأرسل إلى أخيه عبد الله فلما صار إليه ومع موسى جماعة من الأمامية أمر موسى بطرح النار في الحطب فاحترق حتى صار جمرًا ولا يعلم الناس السبب في هذا العمل حتى قام موسى وجلس بثيابه في وسط النار واخذ يحدث الناس ساعة ثم قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس فقال لأخيه عبد الله إن كنت تزعم أنك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس ، قالوا فرأينا عبد الله قد تغير لونه وقام فخرج من بيت موسى .

• وقال إسحاق بن عمار اقبل أبو بصير مع أبي الحسن - الكاظم عليه السلام - من المدينة يريد العراق فنزل في منطقة (زباله) فدعا بعلي بن أبي حمزة وكان تلميذاً لأبي بصير فجعل يوصيه بحضرة أبي بصير ويقول يا علي إذا صرنا إلى الكوفة تقدم في كذا وافعل كذا فغضب أبو بصير وخرج من عنده فقال لا والله ما أرى هذا الرجل ، أنا اصحبه منذ حين ثم يتخطاني بجوائجه إلى بعض غلماني ، فلما كان من الغد حُمَّ أبو بصير فدعا بعلي بن أبي حمزة فقال استغفر الله مما حصل في صدري من مولاي ومن سوء ظني فيه ، كان قد علم أنني ميت واني لا الحق بالكوفة فمات أبو بصير هناك .

• عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه أن أبا الحسن - علي الرضا عليه السلام - خرج من المدينة يريد الحج في السنة التي حج فيها هارون الرشيد فانتهى إلى جبل عن يسار الطريق يقال له (فارغ) فنظر إليه أبو الحسن ثم قال (يا فارغ

هادمه يُقَطَّعُ أرباً أرباً) فلم ندرِ ما معنى ذلك فلما بلغ هارون ذلك الموضع نزله وصعد جعفر بن يحيى الجبل وأمر أن يبنى له مجلس فلما رجع من مكة صعد إليه فأمر بهدمه فلما انصرف إلى العراق هارون الرشيد قطع جعفر بن يحيى أرباً أرباً .

• وكانت امرأة بخراسان تسمى زينب فادعت أنها علوية من سلالة فاطمة عليها السلام فسمع بها علي رضا عليه السلام فقال هذه كذابة فسفها عليه وقالت كما قدحت في نسي فانا اقدح في نسبك فاخذ بيدها واحضرها عند السلطان وقال إن هذه كذابة على علي وفاطمة عليهما السلام وليست من نسلهما فان من كان حقاً بضعة من علي وفاطمة فان لحمه حرام على السباع فالقوها في بركة السباع فان كانت صادقة فلا تقربها السباع فلما سمعت ذلك منه قالت فانزل أنت إلى بركة السباع فان كنت صادقاً فأنها لا تقربك فقام الإمام علي رضا عليه السلام إلى بركة السباع وقال والله لأنزلنَّ إليها فنزل والناس ينظرون من اعلى البركة فلما حصل بين السباع أقيعت جميعها إلى الأرض على أذناهما وصار يأتي إليها واحداً واحداً ويمسح وجهه ورأسه وظهره إلى أن أتى على الجميع ثم طلع والناس ينظرون إليه فقال للسلطان انزل هذه الكذابة فامتنعت فأمر السلطان أعوانه بإلقائها فمذ رأتها السباع وثبوا عليها واقتسوها .

• وعن إبراهيم بن موسى قال ألححت على أبي الحسن عليه السلام في شيء طلبته فكان يعدني ، فخرج ذات يوم يستقبل والى المدينة فلما انفرد وحده أتته وليس معنا ثالث فقلت جعلت فداك هذا العيد قد أظلنا والله ما ملك درهماً فما سواه ، فحك بسوطه الأرض حكاً شديداً ثم ضرب بيده فتناول منه سبيكة ذهب فقال استنفع بها واكنم ما رأيتم .

كرامات الصحابة

لقد كانت للصحابة الكرام كرامات عديدة ولكنهم لم يكونوا محتاجين إليها كي يزيد اعتقادهم فقد كان إيمانهم كبيراً وإخلاصهم اكبر إلا أن كرامات الصحابة لم

تكن لها أهمية بالغة في وقتها لحُفوتها أمام نور النبوة في ذلك الوقت ولكنها ازدادت وكثرت بعد انتقال الرسول ﷺ إلى دار البقاء ونذكر منها :

- إن الإمام علي كره رفع باباً حديدياً في يده يعجز عن رفعه عدة رجال وذلك في معركة خيبر .

- وان أبا بكر الصديق رضي الله عنه أخبر قبل وفاته انه ستولد له مولود أنثى بعد وفاته فكان كذلك .

- وصاح عمر بن الخطاب رضي الله عنه (يا سارية الجبل) وهو على المنبر في المدينة وسارية في نهاوند [مدينة إيرانية غربي كرمنشاه] فسمعه سارية ونفذ أمره ، كما ألقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتاباً في النيل وكان يفيض فيغرق المزروعات فنقص النيل كثيراً حتى خاف الناس فألقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه كتاباً آخر يقول (إن كنت تجري من قبلك فلا حاجة لنا بك وان كان الله يجريك فنسأله ذلك) فعاد النيل إلى جريانه الاعتيادي .

- وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه (ما بال أحدكم يدخل عليّ وفي عينيه اثر الزنا) قال هذا لرجل رأى امرأة في الطريق فتأملها بشهوة .

- ومشى جعفر بن أبي طالب في الهواء وشرب خالد بن الوليد السم فلم يضره .

- وكان سعد بن أبي وقاص إذ دعا استجاب الله دعائه وكان البراء بن عازب من الصحابة إذا أقسم على الله ابره وكان حبيب بن عدي أسيراً عند المشركين ويأتيه العنب في غير وقته .

- وقد أضاء سوط أسيد بن حُضير لما خرج من عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء حتى وصل إلى داره . وكان عامر بن قيس الصحابي العابد يأخذ العطاء فلا يجد سائلاً إلا أعطاه فيعود إلى بيته والدرهم كاملة .

الكرامات في طور جديد

دأب الأولياء منذ البداية في سلوكهم على الاحتفاظ بكراماتهم سريةً بسبب الحياء الذي كان ينتابهم ومنعاً لسوء الظن بهم من قبل الآخرين ، ولكن الولي يجوز له إظهار كرامته إذا كان هناك سبب يدعو إلى ذلك كزيادة الاعتقاد المرغوبين أو تثبيت إيمانهم : ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١).

وما كان للناس أن يتبعوا بشراً مثلهم ما لم يجدوا فيه حالة تفوق عليهم وهذا دأب الأنبياء كذلك قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٢). ونتيجة لذلك فقد اظهر المشايخ الكسنزانيون كراماتهم لسببين :

أ . انتفاع الناس بها : كان الرسول ﷺ مناراً ومنبع بركة للمسلمين فكانوا ينتفعون بدعائه في شفاء أمراضهم وتفريج كربهم وكانوا يتبركون بأدواته ﷺ وقد ظهرت فوائد جمة للصحابة من جراء استعمالهم لأدوات الرسول وكانوا يستسقون به وبآله من بعده ، ولما كان المشايخ وارثي نوره ولمسته الروحية فقد ساروا على نهجه ومنحوا بركاتهم للضعفاء والمرضى ونفع الله بهم خلقاً كثيراً .

ب . إحياء السنة النبوية : نتيجة للتطور الحضاري وهجوم المدينة الحديثة بكل ما تحويه من إغراءات وتعشق للمادة ، ولتقادم العهد واتساع الهوة بين الإسلام الحق المتمثل بالرسول ﷺ وأصحابه وبين الجيل الحديث فقد أدى إلى جعل هذا الجيل ينظر إلى الإسلام وكأنه حالة قديمة وأصبحت شخصية الرسول ﷺ وبطولات الصحابة شيئاً عادياً لا تثير في نفوس الشباب إلا ما تثيره أية شخصية بطولية في أدب معين وأصبح الشباب المسلم يرى في القصص والروايات والأفلام ما يجعله يتخيل إن كل ما يقرأه عن الإسلام مشابهة لهذه الأفكار أو بعبارة أخرى أصبح بعض الشباب المسلم يعتقد إن كل ما كتب عن الإسلام هو خيال كُتِّب وان قصة

١ - البقرة : ١١١ .

٢ - التوبة : ١١٩ .

التوحيد وحادثة الإسراء والمعراج ليست إلا جزءاً من أدب الجاهلية صاغته خيالات الكتاب كما صاغت الكوميديا الإلهية ورسالة الغفران وقصة حي بن يقظان ، ناهيك عن الألعاب البهلوانية والخدع البصرية التي يقوم بها أصحاب السيرك معتمدين على قوانين فيزيائية وكيميائية وأسس نفسية فاختلط الأمر على الشباب حتى أن المعجزة التي كانت تُعدّ أمراً خارقاً قبل أربعة عشر قرناً أصبحت الآن أمراً عادياً في نظر الجيل الجديد لما يراه من خوارق على الشاشة ، أضف إلى ذلك إن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف تقوم على أساس مخالفة النفس والرغبات مما جعل الشباب الذي اعتاد إطلاق هواه ينفر منها وبذلك فأن المصلح الديني والمرشد الداعي إلى إحياء الدين والسنة لا بد له من إظهار كرامات جديدة خارقة بمستوى الحضارة في هذا الزمن ولكي يقتدي به الناس لا بد من التأثير الروحي عليهم بواسطة النور الإلهي المستمد من حضرة الرسول ﷺ ، فليس ثمة فرق بين عرب الجزيرة ومجتمع اليوم من ناحية الجهل الديني ، فالكرامات هي جزء من بركات الرسول ﷺ ولكنها بأسلوب جديد يتناسب ومتطلبات العصر الحديث والحضارة الجديدة والفكر الراقي إلى مستوى أعلى من الفكر البدوي في الجزيرة العربية قبل أربعة قرناً وهي المعجزة الصغرى التي يمنحها الله ﷻ لأوليائه تحقيقاً لاصطفائه لهم وتثبيتاً لقلوب مُريديهم وإقبال الناس على التوبة على أيديهم والسلوك على نهجهم الذي اختاره الله لهم واعداهم لينهضوا بمهمة إحياء الدين ، ولقد نجح المشايخ الكسنزانيون المؤيدون بالله في جذب الشباب الضائع من حلقة الفراغ إلى فلك الدين الإسلامي الحنيف بواسطة أظهار كراماتهم سواء في إثبات خوارق جسدية أو شفاء أمراض أعجزت الطب الحديث لذا فأن إظهار الكرامات أصبح أمراً واجباً وضرورياً للشيخ المرشد .

الكرامات بعد انتقال المشايخ

الكرامة بالنسبة للولي هي حالة أو درجة وصل إليها ونالها بالتكريم الحاصل له من قبل الله ﷻ ولما كان الله ﷻ هو الفاعل للكرامات ومجريها على أيدي أوليائه فلا يقصد المريد المستمد من الشيخ نسب الشيخ إلى القدرة على الخلق والإيجاد والاستقلال بالفعل وتحريك الأشياء وشفاء الأمراض ، إن مثل هذا الاعتقاد لا يمكن أن يصدر عن مسلم عاقل ولكن الذي يحصل هو التوسل إلى الله بجاه الشيخ عليه السلام عند الله لعلم المريد أن الشيخ صاحب حظوة عند الله وموضع تفضيل على باقي الناس ، وكرامات المشايخ في حياتهم الدنيا كثيرة وواضحة لا ينكرها إلا معاند أو سفيه وغالباً ما تكون في قضاء حوائج الناس لإرادة الله سبحانه أن ينفع البشر بهم فهي أما أن تكون بدعائهم أو بالتوسل إلى الله بهم .

إن الكرامة تحصل بفعل الله تعالى وإرادته لا شريك له في ذلك أما الأولياء فهم محل ظهور الكرامات إذ إن الله ﷻ اختار هؤلاء الأشخاص ليكونوا محلاً لإظهار الخوارق إمام الناس بفعله وبما إن الله ﷻ حيّ دائماً فأن هذه الكرامات مستمرة أيضاً دائمة بدوامه . إن الولي عندما ينتقل إلى العالم الآخر لا تنقطع كراماته لسببين :

أ . إن الولي بعد انتقاله من الحياة يكون في عالم البرزخ وإن عالم البرزخ يُعدُّ من الموجودات في الدنيا لأنه حاصل قبل البعث وكل حال قبل البعث والنشور لا يعد من الآخرة وبذلك فإن الولي في حال البرزخ تستمر كراماته ويقضي حوائج الناس بأمر الله وفعله .

ب . إن الله ﷻ يوكل بأضرحة الأولياء ملائكة يتولون قضاء أمور الناس وحوائجهم فزيارة أضرحة الأولياء والتوسل بهم إلى الله أمر لا غبار عليه لان الله ﷻ عندما أحب الأولياء وجعلهم موضع سره وخوارقه فقد حبيبهم إلى الناس ونفع الناس بهم ثم مكنهم من التصور في صور عديدة فتظهر روحانيتهم في وقت واحد في

أماكن متعددة ومختلفة المسافات نظراً لغلبة الروحانية فيهم على الجثمانية ، فالذي يحصل هو تعدد صور الروحانية بالنسبة للأولياء وليس الجثمانية وبذلك فان الأولياء لا تنقطع كراماتهم بعد الانتقال إلى عالم البرزخ وإنما تبقى مستمرة وهم يدركون المریدون والمحتاجین عن الطریقین اللذین مر ذکرهما .

حكايات الصالحين

• جاءت امرأة إلى السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله بولدها وقالت رأيت قلب ولدي شديد التعلق بك وخرجت عن حقي فيه لك فأخذه وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق فجاءته أمه يوماً فوجدته نحيلاً مصفراً من آثار الجوع والسهر وأكل خبز الشعير فتركته ودخلت للشيخ فرأت بين يديه دجاجاً يأكله فقالت : يا سيدي تأكل الدجاج ويأكل ولدي الشعير فوضع يده على العظام وقال قومي بأذن الله فقامت الدجاجة فقال الشيخ إذا صار ابنك كهذا فليأكل ما شاء .

• ومن كراماته رحمته الله انه كان لا يرضع في يوم رمضان في فترة رضاعته ، وكان لا يصيبه الذباب قط وراثته من جده المصطفى صلى الله عليه وآله .

• وأنه كان يعظ في مجلسه رحمته الله فمرت عليه حدأة فصاحت وشوشت على الحاضرين فقال يا ربح خُذي رأس هذه الحدأة فوقعت لوقتها في ناحية ورأسها في ناحية أخرى وعندما انتهى من وعظه نزل عن الكرسي وأخذها بيده ومرّ يده الأخرى عليها وقال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فحييت وطار .

• ومرت به رحمته الله ثلاثة أحمال خمرٍ للسلطان صاحب الشرطة فقال لهم قفوا فأبوا فقال للدواب قفي فوقف وأخذ من معها من الأعوان القولنج فَضَجُوا وتابوا فزال الألم وانقلب الخمر خلاً ففتحوها فإذا هي خلّ .

• واتاه بعض الرافضة بَقُفَتَيْنِ مخيطتين وقالوا له قل لنا ما فيها فوضع يده على أحدهما وقال في هذه صَبِيٌّ مُقْعَدٌ فَفُتِحَتْ فإذا فيها ذلك فامسك يده وقال له قم فقام يعدو ثُمَّ وضع يده على الأخرى وقال فيها صبي لا عاهة به فَفُتِحَتْ فإذا فيها ذلك فامسك بناصيته وقال له اقعد فقعد فتابوا عن الرفض ولزموا مجلس الشيخ .

• وجاءه رجل من بغداد وقال أختطفَ الجان ابنتي فقال له اذهب إلى محل كذا وحُط دائرة وقل عند خطها بسم الله على نية عبد القادر ففعل الرجل كما أمره فمرَّ عليه الجن زمراً زمراً إلى أن جاء ملكهم فوقف بإزاء الدائرة وقال له ما حاجتك قال فذكرت له البنت فاحضر من اختطفها ودفعها إليَّ وضرب عنق الجني فقلت له ما رأيت كأمثالكَ لأمر الشيخ فقال نعم انه لينظر من داره إلى المردّة وهم بأقصى الأرض فيفرون من هيئته .

• سُعي عند المنصور بالإمام جعفر الصادق عليه السلام فلما أحضر الساعي قال له أتخلفُ فقال نعم فلما حلفه فقال قل (برئتُ من حول الله وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا) فحلف الرجل ثم مات مكانه .

• قال شقيق البلخي خرجت حاجاً في سنة (١٤٩ هـ) فنزلت القادسية فبينما أنا انظر إلى الناس وزينتهم وكثرتهم نظرت فتى حسن الوجه فوق ثيابه ثوب صوف مشتمل بملة وفي رجليه نعلان وقد جلس منفرداً فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم والله لأمضين إليه ولأوبخن فدنوت منه فلما رأني مقبلاً قال يا شقيق : ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾^(١) . وتركني ومضى فقلت في نفسي أن هذا الأمر عظيم قد تكلم بما في نفسي ونطق باسمي ما هذا إلا عبدٌ صالح فلحقت به فوجدته يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت هذا صاحبي امضي إليه واستحله فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه فلما رأني قال يا شقيق اقرأ : ﴿ وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾^(٢) . وتركني ومضى فقلت من هذا الفتى فقيل هذا الإمام موسى الكاظم .

١ - الحجرات : ١٢ .

٢ - طه : ٨٢ .

• وحكي عن الإمام علي الرضا عليه السلام بمنى فمر يحيى بن خالد البرمكي وهو مغطٍ وجهه بمنديل من الغبار فقال الإمام : مسكين هؤلاء ما يدرون ما يحل بهم في هذه السنة ، فكانت نكبتهم على يد الرشيد .

• قال الشيخ علوان الحموي في نسمة الأسحار لما بلغ الحسن البصري قتل الحجاج لسعيد بن جبير قال : اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج ، فما بقي إلا ثلاثاً حتى وقع في جوفه الأكلة والدود فمات .

• ورأى بعض الأولياء ليلة موت الحسن البصري إن أبواب السماء مفتحة وكأن منادياً ينادي ألا إن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راضٍ .

• في فصل الربيع يقدم بعض الصيادين بصيد نوع من الطيور يسمى (زرزور) وبعدد كبير ويجمعونها في داخل أقفاص معدة لذلك ثم يبيعونها في الأسواق والمحلات فكان حضرة الشيخ عبد الكريم الكسنزان رحمته الله كلما يراها ينادي على الصياد فيشتري منه الطيور بأجمعها ويدفع ثمنها مقدماً ثم يجلس حضرته فيمد يده الشريفة إلى داخل القفص فيخرج منه زرزوراً واحداً فيطلقه في الهواء وهكذا واحداً بعد واحد حتى يطلق سراح الجميع وهو يتسم . وهكذا يجب أن يكون شيخ الطريقة قدوةً في الرحمة والشفقة بالحيوانات والطيور ويهبهما الحياة الحرة من جديد .

• قال اليافعي كان لحبيب العجمي زوجة سيئة الخلق فقالت له يوماً إذا لم يفتح الله عليك بشيء فأجر نفسك واعمل فخرج إلى مكان ما وصلى العشاء ثم أتى بيته خجلاً من توبيخها مشغول القلب من شرها فقالت أين أجرتك فقال لها أن الذي استأجرتني كريم واستحييت من استعجاله فمكث كذلك أياماً عديدة يصلي في ذلك المكان إلى الليل وتقول له زوجته كل يوم أين أجرتك فيقول استأجرتني كريم فخفت من استعجاله فلما طال غليها الحال قالت له اطلب أجرتك من هذا أو أجر نفسك من غيره فوعدها انه يطلب الأجرة وخرج على عادته فلما أمسى الليل عاد إلى منزله خائفاً منها فرأى في بيته دخاناً ومائدة منصوبة وزوجته

مستبشرة فرحةً فقالت له بعث لنا الذي استأجرك ما يبعث الكرام وقال رسوله قولي لحبيب يجد في العمل وليعلم إنا لم نؤخر أجرته بخلاً ولا عدماً فليقرّ عيناً وليطبّ نفساً ثم أرتته كيساً مملوءاً دنانيراً فبكى حبيب وقال لزوجته هذه الأجرة من كريم بيده خزائن السموات والأرض فلما سمعت ذلك تابت إلى الله وَعَجَّلَ وأقسمت إنها لا تعود إلى ما كنت عليه .

• قعد الجنيد البغدادي في الجامع يتكلم على الناس بالغداة فوقف عليه غلام نصراني متنكر وقال أيها الشيخ ما معنى قول الرسول ﷺ : ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ﴾ فأطرق الجنيد رأسه ثم رفعه فقال أسلم فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام .

• قال خير النساج رضي الله عنه كنت جالساً في بيته فخطر لي إن أبا القاسم الجنيد في الباب أخرج إليه فنفيت ذلك عن سري وقلت وسوسةٌ فوقع خاطر ثانٍ كذلك فنفيت ذلك عن سري فوقع خاطر ثالث كذلك فقلت أنه خاطر حق وليس بوسوسة ففتحت الباب فإذا الجنيد قائم فسلم عليّ وقال يا خير لم لم تخرج من الخاطر الأول .

• قال نجل الشيخ أبي بكر الشبلي رحمته الله كنت أرى من والدي الشيخ أبو بكر الشبلي ما يدل على أنه عالم بحالي في غيابي عنه فإذا اشتغلت بطاعة قابلي بوجه مسرور وإذا اشتغلت بلعبٍ قابلي بضد ذلك ولما شاورته في السفر إلى الديار الهندية قال أرى أن المدة قرب انقضاؤها وكنت أود أن تحضر وفاقي فقلت أتخلف عن السفر ؟ فقال لا بل سافر وأنت في ودیعة الله تعالى وما أراد الله سيكون فكان الأمر كما قال .

• قال السراج رويانا أنه مرّ بالسيد أحمد الرفاعي جماعة من الفقراء وكان صغيراً فوقفوا ينظرونه فقال أحدهم لا إله إلا الله محمد رسول الله ظهرت هذه الشجرة المباركة فقال الثاني تتفرغ لها فروع فقال ثالث عن قليل يشتمل ظلها وقال الرابع عن قليل

يكثّر ثمرها ويشرق قمرها فقال الخامس عن قليل ترى الناس منها العجب ويكثر نحوها الطلب وقال السادس عن قليل يعلو شأنها ويظهر برهانها فقال السابع كم يغلق لها باب وكم يظهر لها أصحاب .

• وروي إن الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله كان يقرأ القرآن وهو شاب على الشيخ علي بن القارئ الواسطي فصنع شخص طعاماً ودعا إليه ابن القارئ وأصحابه جماعة آخرين من القراء وغيرهم فلما أكلوا الطعام كان معهم قوال فشرع يغني ويدق في يديه والسيد أحمد الرفاعي جالس عند نعال القوم فلما طاب القوم واستراحوا وتواجدوا وثب السيد أحمد الرفاعي وخسف الدف الذي كان معه فالتفت القراء إلى الشيخ علي القارئ وقالوا له هذا صبيّ مالنا معه مطالبة والمطالبة عليك فقال لهم ابن القارئ أسألوه فأن أتى بالجواب وإلا عليّ المطالبة فالتفتوا إليه وقالوا لم كسرت الدف فقال لهم أي سادة نرجع إلى أمانة القوال يخبرنا بما خطر بباله فأى شيء قال اتبعناه ، فسألوا القوال عما بباله فقال أني كنت بارحة أمس عند قوم يشربون فسكروا وتمايلوا كتمايلكم فخطر لي أن هؤلاء كهؤلاء فلم يتم خاطري حتى قام هذا الصبي وخسف الدف فعند ذلك نهض القراء إلى السيد أحمد الرفاعي وقبلوا يده .

• وكان السيد أحمد الرفاعي رحمه الله إذا طُلب منه أن يكتب له عوذة ولم يكن عنده مداد يأخذ الورقة ويكتب عليها بغير مداد فكتب يوماً لشخصٍ بغير مداد فأخذ الشخص الورقة وغاب مدةً ثم جاء بها ورفعها إليه ليكتب له فيها على سبيل الامتحان فلما نظر إليها الشيخ أحمد الرفاعي قال أي ولدي هذه مكتوبة وردها إليه من غير ضجر .

• وكان عبد الله بن المبارك من أكابر المجتهدين وأعلام العارفين حكى عنه الإمام الياضي انه فتح عينيه عند الوفاة ثم تبسم وقال لمثل هذا فليعمل العاملون .

• ومرت رابعة العدوية يوماً بشيخان الراعي فقالت له أني أريد الحج فاخرج لها من جيبه ذهباً لتنفقه فمدت يدها إلى الهواء فامتألت ذهباً وقالت له أنت تأخذ من الجيب وأنا آخذ من الغيب فمضى معها عن التوكل .

• وقيل إن لصاً دخل إلى بيت رابعة العدوية وهي نائمة فحمل الثياب وطلب الباب فلم يجده فوضعها فوجده فحملها فخفي عليه فأعاد ذلك مراراً كثيرةً فهتف به هاتف دع الثياب فإننا نحفظها ولا ندعها لك وإن كانت نائمة . قال البوني وهذا التحقق التمكين بقوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ ﴾ (١) .

• اخرج الطبراني أنه كان لرجلٍ أمٌ مقعدة نحو عشرين سنة فقالت له اذهب إلى أحمد بن حنبل وسله أن يدعو لي فأتاه ودق الباب فلم يفتح له وقال من هذا فقال أمي مقعدة وتسألك الدعاء فقال نحن أحوج أن تدعو لنا فرجع فوراً إلى البيت فرأى أمه تمشي على رجلها .

• وقال ابن أبي الورد : رأيت المصطفى ﷺ في المنام فقلت ما شأن أحمد بن حنبل قال سيأتيك موسى فأسأله فإذا بموسى ﷺ فقلت يا نبي الله ما شأن أحمد بن حنبل قال أبتلي في السراء والضراء فوجد صادقاً فألحق بالصادقين .

• كان للشيخ محيي الدين كركوك رحمته الله مُريداً هندياً يشتغل في بستانه في قرية (قوله) التابعة لقضاء جمجمال وفي معرض الحديث عن أجود أنواع التين تأسف المريد الهندي وقال يا ليتني كنت الآن في بستانني في الهند فاحضر أجود أنواع التين للشيخ فقال له الشيخ محيي الدين كركوك أتحب أن تكون في بستانك الآن ؟ فقال : نعم ، فقال له : تعال إلى رجلي ، ففتح عينه فإذا هو ببستانه ، فملاً سلةً من التين الجيد وأحضر أقلاماً من التين للزراعة وتساءل كيف الرجوع إلى الشيخ ؟

فهتف به هاتف إن أغمض عينك فأغمضها ثم فتحها فإذا هو أمام شيخه ، فقام بزرع الأقالام في بستان الشيخ وأنتجت التين المعروف بتين (قُؤله) .

• قال عبد الرحمن بن أحمد يوماً لسهل بن عبد الله التستري عندما أتوضأ للصلاة يسيل الماء من بين يديّ على شكل قضبان من ذهب وفضة فقال سهل أما علمت إن الصبيان إذا بكوا يعطون خشخاشةً لينشغلوا بها .

• قال الشيخ الجنيد البغدادي دخلتُ على السري السقطي يوماً فقال لي كان يجيئني عصفور كل يوم فأفنتُ له الخبز فيأكل من يدي فنزل وقتاً من الأوقات فلم يسقط على يدي ففكرت في نفسي ما السبب ؟ حتى تذكرت أنني أكلت طعاماً جيداً في ذلك اليوم فقلت لا أكل بعدها وأنا تائب منه فعاد العصفور يسقط على يدي .

• قال أبو بكر الدقاق كنت ماراً في حي بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين للشرعية فهتف بي هاتف من تحت الشجرة كل حقيقة لا يتبعها الشرعية فهي كفر .

• حكى عن أبي سعيد الخراز قال كنت في بعض أسفاري وكان يظهر لي كل ثلاثة أيام شيء آكله وحدث أن مضت ثلاثة أيام ولم يظهر شيء فضعفتُ وجلستُ فهتف بي هاتف ايهما أحب إليك سببٌ أم قوةٌ فقلت القوة فقمت من وقتي فمشيت اثني عشر يوماً ولم أذق شيئاً ولم اضعف .

• قال ذو النون رأيت شاباً عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت وقلت انك تكثر الصلاة فقال انتظر الأذن من ربي في الانصراف ، قال فرأيت رقعةً سقطت عليه مكتوب فيها من العزيز الغفور إلى عبدي الصادق انصرف مغفوراً لك ما تقدم من ذنبك .

• وحكي عن بعضهم قال كنا في مركب فمات رجلٌ كان معنا وهو عليل فأخذنا في جهازه وأردنا أن نلقيه في البحر فصار البحر جافاً ونزلت السفينة فخرجنا وحفرنا له قبراً ودفناه فلما فرغنا استوى الماء وارتفع المركب وسرنا .

• وقيل إن الناس أصابتهم مجاعة بالبصرة فاشترى حبيب العجمي طعاماً بالنسيئة (دَيْنٌ) وفرقه على المساكين وخاط كيسه وجعله تحت رأسه فلما جاءوا يتقاضونه أخذه من تحت رأسه فإذا هو مملوء بالدراهم فقضى منها ديونهم .

• وقيل إن إبراهيم بن الأدهم أراد أن يركب السفينة فأبوا إلا أن يعطيهم ديناراً فصلى على الشط ركعتين وقال اللهم قد سألتني ما ليس عندي فصار الرمل دنانيراً .

• قال أحمد بن منصور قال لي أستاذي أبو يعقوب السنوسي غسلت مُريداً فامسك إبهامي وهو على المغتسل فقلت يا بُني خلّ يدي أنا أدري أنك لست بميت وإنما هي نقلة من دارٍ إلى دار فخلّ يدي .

• قال إبراهيم بن شيبان صحبني شابٌ حسن الإرادة فمات فاشتغل قلبي به جداً وتوليت غسله فلما أردت غسل يديه بدأت بشماله من الدهشة فأخذها مني وناولني يمينه فقلت صدقت يا بني أنا غلطت .

• قال علي الخواص عطشت في بعض أسفاري وسقطت من العطش فإذا أنا بماء رُشٍّ على وجهي ففتحت عيني فإذا برجل حسن الوجه راكب دابة شهباء فسقاني الماء وقال كن رديفي وكنت بالحجاز فما لبث إلا يسيراً فقال لي ما ترى ؟ فقلت أرى المدينة فقال انزل وأقرئ رسول الله ﷺ مني السلام وقل أخوك الخضر يقرئك السلام .

• قال الشيخ علي الخواص كنت في البادية مرةً فسرت في وسط النهار ووصلت إلى شجرة وقربها ماء فنزلت فإذا أنا بسبعٍ عظيمٍ اقبل فاستسلمت فلما قرب مني إذ هو يعرج فحمحم وبرك بين يدي ووضع يده في حجري فنظرت فإذا

يده منتفخة فيها قيح ودم فأخذت خشبةً وشققت الموضع الذي في القيح وشددت على يده خرقة فمضى .

• وقيل أصاب عبد الواحد بن زيد (فلج) فدخل وقت الصلاة وأحتاج إلى الضوء فقال من هاهنا فلم يجبه أحد وخاف فوت الوقت فقال ياربِّ احللي من وثاقي حتى اقضي طهاري ثم شأنك وأمرُك قال فصَحَّ حتى أكمل طهارته ثم عاد إلى فراشه وصار كما كان .

• قال خليل الصياد غاب أبني مُحمَّد فوجدنا عليه وجداً شديداً فأتيت الشيخ معروف الكرخي فقلت يا أبا محفوظ غاب أبني وأمه واجدة عليه فقال ما تشاء ؟ فقلت أدعُ الله أن يرده فقال : اللهم إن السماء سماءُك والأرض وما بينهما لك أيت بمحمد ، قال خليل فأتيتُ باب الشام فإذا هو واقف فقلت يا مُحمَّد فقال يا ابتي كنت الساعة بالانبار فهتف بي هاتف أن عُد إلى بغداد .

• وحكي عن الكتاني في أنه قال كان عندنا رجل من أصحابنا هاجت عينه فقيل له إلا تعالجها ؟ فقال عزمت على أن لا أعالجها حتى تبرأ ، قال فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لو كان هذا العزم على أهل النار لأخرجناهم كلهم من النار .

• حكي أن السيدة آمنة بنت موسى الكاظم عليه السلام كان يُسمع عند مقامها قراءة القرآن بالليل وقيل أن رجلاً جاء إلى الخادم بعشرين رطلاً من الزيت وعاهد الخادم أن يوقد ذلك في ليلة واحدة فصبه الخادم في القناديل وأشعلها فلم يوقد منها شيء فتعجب الخادم من ذلك فرآها في المنام وهي تقول رد عليه زيتته فإنَّ لا نقبل إلا الطيب وسله من أين اكتسبه فلما أصبح جاء إلى صاحب الزيت فقال له خذ زيتك قال ولم ؟ قال انه لم يوقد فيه شيء ورأيت السيدة في المنام فقالت إنَّ لا نقبل إلا الطيب ، فقال : صدقت السيدة إني رجلٌ غشاش .

• قال إبراهيم الخواص نزلت إلى دجلة وكان الماء مداً والريح تلعب بالموج فرأيت رجلاً بين الموج يمشي على الماء فسجدت وجعلت بيني وبين الله أن لا أرفع

رأسي حتى اعلم من الرجل فلم اطل السجود حتى حركني وقال قم ولا تعاود أنا إبراهيم الخراساني .

• وقال إبراهيم الآجري مما نقل عنه القشيري جاءني يهودي يتقاضى عليّ في دين كان له عليّ وأنا قاعد عند الأتون فقال لي اليهودي يا إبراهيم اربي آيةً اسلم عليها فقلت له تفعل قال نعم فقلت انزع ثوبك فلففته ولففت على ثوبه ثوبي وطرحته في النار ثم دخلت الأتون وأخرجت الثوب من النار فإذا ثيابي بحالها لم يصبها شيء وثيابه في وسطها صارت حراقةً فاسلم اليهودي .

• وقال المانوي خطف التمساح صبيّاً فأنت أمه مذعورةً إلى الشيخ إبراهيم الدسوقي فأرسل نقيبه فنأدى بشاطئ البحر يا معشر التماسيح من ابتلع صبيّاً فليطلع به فطلع ومشى معه إلى الشيخ فأمره أن يلفظه فلفظه حياً .

• وحكي عن إبراهيم بن معضاض الشافعي الزاهد العابد انه اخبر بموته قبل وفاته ونظر إلى موضع قبره وقال يا قُبِيرِ جاءك دُبِيرِ وكان يُضْحِكُ أهلَ مجلسه إذا شاءَ في حال بكائهم ويبيكيهم إذا شاءَ في وسط ضحكهم .

الباب الرابع

* مقامات الطريقة

- التوبة
- التوكل
- الخوف
- الرجاء
- الصدق
- الإخلاص
- الصبر
- الورع
- الزهد
- الرضا
- الشكر

ما أكلت تفنيه وما لبست تبليه
وما عملت من خير أو شر تلاقيه
والتوجه إلى الله حتم مقضي وفراق الأحبة وعد مأتي

السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان قدس الله سره

مقامات الطريقة

التوبة

هي الرجوع عن التصرفات السيئة الخارجة عن الطاعة المبغضة عنده ﷺ .
وتوبة المسلم نور يتوقد في القلب بفضل الله ورحمته بعد أن أضله الشيطان بإغوائه
وهي لعامة البشر لأنه لا يخلو أي بشر من وسوسة الشيطان وخواتره أو من الغفلة
عن ذكر الله ، لذلك فأن التوبة واجبة على كل البشر وقد ورد وجوبها في آيات
قرآنية عديدة نذكر منها :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾^(٤).

وعن الرسول ﷺ انه قال : ﴿ يا أيها الناس توبوا إلى الله فاني أتوب إليه في
اليوم مئة مرة ﴾^(٥). وتوبته ﷺ كانت في الاستغفار وهو المغفور له ما تقدم من
ذنبه وما تأخر .

وقال الرسول ﷺ : ﴿ من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله
عليه ﴾^(٦). وقال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله : « مفتاح التوبة
التقوى ، والثبات عليها مفتاح القرب من الله ﷻ ، التوبة هي أصل كل خير وفرعه
ولهذا لا يفتقر الصالحون عنها في جميع أحوالهم ، وتوبوا يا مُريدِين يا عصاة ، صالحوا

١ - التحريم : ٨ .

٢ - النور : ٣١ .

٣ - التوبة : ١٨ .

٤ - طه : ٨٢ .

٥ - رواه مسلم عن ابن عمر .

٦ - صحيح مسلم عن طريق أبي هريرة .

ربكم بالتوبة هذا القلب لا يصلح لله وَعَلَيْكُمْ وفيه ذرة من الدنيا وطمع في أحد من الخلق فان أردتم صحبته فاخرجوا هذين كليهما من قلوبكم فهذا لا يضركم إذا اتصلتم به وَعَلَيْكُمْ أتتكم الدنيا والخلق وأنتم معه على بابه وهذا شيء مجرب قد جربه الزاهدون التاركون ، توبوا واعترفوا بتقصيركم ، التوبة مياه الحق وَعَلَيْكُمْ يحيي الأرض بعد موتها بالغيث ، ويحيي القلوب بعد موتها بالتوبة واليقظة » (١).

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أكثرُوا من الاستغفار والتوبة فانهما أصلان عظيمان لأمر الدنيا والآخرة ، أمر نوح عَلَيْهِ السَّلَام قومه بالاستغفار ووعدهم في جوابه بالمغفرة وتسخير الدنيا ووقوفها في خدمتهم فقال لقومه حاكياً عن قوله تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾ (٢).

وقال أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : متى تتوبون يا مدبرين يا عصاة ؟ صالحوا ربكم وَعَلَيْكُمْ بواسطة التوبة لولا حيائي من الله وَعَلَيْكُمْ ومن حلمه لقمْتُ وأخذت بيد واحد منكم وقلت له أنت فعلت كذا وكذا تُب إلى الله وَعَلَيْكُمْ لا كلام لك ومعك حتى يقوى إيمانك بمولائك وَعَلَيْكُمْ فحينئذ تتعلق بالعروة الوثقى وهي وصول قلبك إليه فيباهي بك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمم ، يا من آمن بلسانه متى تؤمن بقلبك ؟ إيمان اللسان مع كفر قلبك لا فائدة منه » (٣).

ويقسم أهل الطريقة التوبة على عدة أقسام :

قال الإمام القشيري : سمعت أبا علي الدقاق يقول : التوبة ثلاثة أقسام (توبة ، إنابة ، أوبة) فكل من تاب خوفاً من العقاب هو صاحب توبة ، وكل من تاب طمعاً في الثواب هو صاحب إنابة ، وكل من تاب امتثالاً لأمر الله - رغبة لا رهبة - فهو صاحب أوبة .

١ - الناشر السيد الشيخ محمد الكسنزان - جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر ص ١٣ .

٢ - نوح : ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

٣ - الناشر السيد الشيخ محمد الكسنزان - جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر .

وقال القشيري : التوبة للمؤمنين لقوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا
 الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(١). والإنابة للأولياء المقربين لقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ
 بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾^(٢). والأوبة للأنبياء والمرسلين لقوله تعالى : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ
 أَوَّابٌ ﴾^(٣).

وحقيقة التوبة هي انتباه يطرأ على الفكر فيوقظ القلب من رقود الغفلة عن
 ذكر الله فيؤدي به إلى ترك المعاصي الظاهرة والباطنة الصغيرة والكبيرة والإقبال على
 الله بكل جوارحه تاركاً التفكير بالذنوب متفائلاً بالمغفرة وشرطها ترك قرناء السوء
 وهجرة الأصحاب الفسقة الذين يحبون المعصية إلى العبد وينفرونه من الطاعة ثم
 الالتحاق بصحبة الصادقين والصالحين الأخيار من المشايخ الكرام لان صحبتهم
 والسلوك على أيديهم يُعد سياجاً يردعه عن العودة إلى حياة المعاصي وعليه أن
 يكف عن التفكير بالذنوب السابقة لان ذلك يؤدي إلى اليأس من غفرانها
 والإحباط في السلوك كما أن اليأس كفر لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ
 إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٤).

« ويقسم ابن عربي التوبة على عدة أقسام :

١ . توبة العوام وهي ثلاثة أنواع :

أ . توبة عوام المؤمنين عن الصغائر التي صدرت منهم بسهو أو غفلة أو جهل
 أو نسيان قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ
 يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾^(٥).

١ - النور : ٣١ .

٢ - ق : ٣٣ .

٣ - ص : ٣ .

٤ - يوسف : ٨٧ .

٥ - النساء : ١٧ .

ب . توبة الفاسقين وهي الندم على ما مضى من الذنوب وترك الذنب في الحال والعزم على تركه في المستقبل ورد المظالم إلى أهلها وإذابة النفس في الطاعة والبكاء في الأسحار بحضرة الملك الجبار .

ج . توبة الكافرين بدخولهم الإسلام والإيمان به وأداء حق الله عليهم ونعته بالرب ونعت أنفسهم بالعبيد .

٢ . توبة الخواص وهي على نوعين :

أ . توبة عن الأفكار والإخطار من واردات الدنيا ووساوسها وهي مقام عوام الأولياء وخواص المؤمنين .

ب . توبة خواص الخواص وهي توبة عن اشتغال القلب بغير الله وهي مقام الأنبياء وخواص الأولياء «(١)».

التوكل

التوكل لغةً : إظهار العجز والاعتماد على الغير ، اتكل فلان في أمره إذا اعتمد عليه ، وواكله مواكلة إذا اتكل كل واحد منهما على صاحبه(٢).

وهو الإيمان بقدرة الله تعالى على إدارة الأمور وتوجيهها والتصرف بالعبد كيفما يشاء ﷻ ، وعند ذلك يسلم العبد الأمور لله ويوكلها إليه وهو أول المقامات في الطريقة فبدون التوكل لا يدخل المرید ولا يعد سالكاً في طريق القوم .

ومشروعية التوكل في القرآن الكريم وردت في آيات عديدة منها :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٥).

١ - الشيخ ابن عربي - تحفة السيرة إلى حضرة البررة ص ٢١ .

٢ - مختار الصحاح الفخر الرازي .

٣ - الطلاق : ٣ .

٤ - إبراهيم : ١٢ .

٥ - آل عمران : ١٥٩ .

إن الله ﷻ جعل التوكل من صفات المؤمنين وقرنه بالإيمان فالإنسان المؤمن المتوكل يعتمد يقبله على الله ﷻ ويعتقد حق الاعتقاد بأن الله هو المعطي للأشياء منعاً أو بسطاً وإن العبد بحركته وجده لا يزيد في الرزق وبترك الطلب لا ينقص من رزقه مع عدم ترك الأسباب لأن الله ﷻ قسم الأرزاق فمنها يأتي بطلب ومنها يأتي بلا طلب ، قال الرسول ﷺ : ﴿ لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً ﴾ .

وهذا توكل العامة ، أما توكل أهل الطريقة السالكين فيكون أمر الآخرة التي لم يعلموا أمرها أما الرزق في الدنيا فقد علموا أن الله كفى العباد ذلك .
وقال الشيخ الحسن البصري رحمه الله : « من توكل وقنع ورضي أتاه الشيء بلا طلب » (١).

وقال إبراهيم بن أدهم : « التوكل أن يستوي عندك أفخاذ السباع والمتكئ على الحشايا » (٢).

وقال يحيى بن معاذ : « التوكل ثلاث درجات أولها ترك الشكاية والثاني الرضا بالمقسوم والثالث المحبة » (٣).

ويرى ابن معاذ إن ترك الشكاية هو من صفات المتوكلين الصالحين أي استسلام واعتماد على الله في جميع الأحوال سواء كانت يسراً أو عسراً وأما الرضا بالمقسوم فيعدها من صفات المتوكلين الأبرار ، وأما توكل المحبة لله فيرى ابن معاذ أنه توكل الأنبياء .

وحقيقة التوكل هي الاعتماد الكامل على الله ﷻ والثقة التامة به .

قال ذو النون : « التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة » (٤).

١ - السلمي - مقدمة في التصوف وحقيقته ص ٤٢ .

٢ - السلمي - مقدمة في التصوف وحقيقته ص ٤٥ .

٣ - المصدر نفسه ص ٤٧ .

٤ - المصدر نفسه ص ٤٨ .

ولقد ظهرت أول حالة التوكل بين الصحابة عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما سأله الرسول ﷺ : ﴿ **ماذا تركت لأولادك** ﴾ ، قال تركت لهم الله ورسوله . وحقيقة التوكل هي أن يندمج التوكل بالفناء أي بمعنى نسيان التوكل فيكون حالة طبيعية تصدر بشكل طبيعي لا شعوري أي انه لا يكون من الأعمال التي يشتغل بها في السلوك وإنما هو حالة مر بها المرید وانطبع في نفسه .

قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله : « يا موتى القلوب ، ما تعودكم عندي ؟ يا عبيد الدنيا والسلطين ، يا عبيد الأغنياء ، يا عبيد الغلاء والرخص ، لو بلغ ثمن حبة من الخنطة ديناراً لا أبالي ، المؤمن لا يهتم رزقه لقوة يقينه واتكاله على ربه ﷻ لا تعد نفسك من المؤمنين انزل منهم ، سبحان من أوقفني بينكم .

الأقسام قد فرغ الله ﷻ منها ، لا يزيد منها ذرة ولا ينقص منها ذرة . قال النبي ﷺ : ﴿ **فرغ الله ﷻ من الخلق والرزق والأجل ، قد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة** ﴾ ، لا تشتغلوا بطلب ما قد قُسم فان ذلك الاشتغال لِعِبٍّ وُحْمَقٍ . جميع أحوالكم قد دبرها الله ﷻ وأرخها في أوقات معلومة . ما دامت غير مطمئنة بالمجاهدة فهي لا تؤمن هذا ، ولا تترك الحرص واللجاج قبل الطمأنينة ، تؤمن به دعوى باللسان . كونوا عقلاء ، تهذبوا بما أقول ، لا تشتغلوا بطلب المقدور المكون الذي لا بد منه ومن وجوده عندهم ومجيئه إليكم في أوقاته المؤرخة في علم الله ﷻ . عن النبي ﷺ قال : ﴿ **لو قال العبد اللهم لا ترزقني لرزقه على رغم انفه** ﴾ .

يا غلام ، إن الدين عند الله الإسلام ، وحقيقة الإسلام الاستسلام ، عليكم بتحقيق الإسلام ثم بتحقيق الاستسلام . صفوا ظواهركم بالإسلام وصفوا بواطنكم بالاستسلام . سلموا أنفسهم إلى ربكم ﷻ وارضوا بتدبيره لكم . اتركوا قدرتكم للقدر الذي حكم به ربكم ﷻ . اجعلوا جميع ما يأتي به القدر مقبولاً عندهم . ربكم اعلم بكم منكم .

أرضوا بكلامه موقنين . استقبلوا أوامره ونواهيه بيدي القبول . استقبلوا دينه بكل قلوبكم ، اجعلوه شعاركم ودثاركم . اغتنموا حياتكم قبل مجيء يوم لا مرد له من الله ، وهو يوم القيامة .

ويلك لا تكن أبلهاً تنازع الله ﷻ ، وتناظره بحماقتك وجهلك ، فتخاطر برأس مالك الذي هو دينك . أغمض ، أطرق ، تأدب ، اعرف من أنت ، اعرف قدرك ، وما ذلك إلا بان تعرف نفسك . أنت عبد والعبد وما يملك لمولاه ، ليس له في نفسه تصرف . العبد يجب عليه أن يترك إرادته لإرادة سيده ، اختيار لا اختياره ، قوله لقول سيده . أنت تتواقح على الله ﷻ لأجل نفسك ، والقوم يتواقحون على ربحهم لأجل الخلق ، يسألونه فيهم ويلحون عليه لأجلهم . هم الذين ودّعوا الخلق ، طهروا قلوبكم عن الخلق ، ولا يبقى في قلوبهم ذرة من الخلق ، هم قيام معه وبه وله . هم في بسط كلي بلا قبض ، عز كلي بلا ذل ، عطاء كلي بلا حرمان ، إجابة كلية بلا منع ، قبول كلي بلا رد ، فرح كلي بلا ترح ، قدرة بلا عجز ، قوة بلا ضعف ، نعمة بلا نقمة ، قد البسوا خلع الكرام وسلّم إلى أيدي قلوبهم التوفيق بالتفويض والتمكين والتكوين ، صار التكوين في أيديهم كنزاً لا ينفد ، ومعيناً لا ينضب . كلما خافوا زادهم أمناً ، كلما تأخروا قدم لهم . لهم قول مسموع ، وشفاعة مقبولة . فوض إليهم ملك الدنيا والآخرة من وراء معقول الخلق ، يُنادون في الملكوت عظماء» (١).

وقال الإمام القشيري : واعلم أن التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب بعدما تحقق العبد إن التقدير من قبل الله تعالى ، فأن تعسر شيء بتقديره وإن اتفق شيء فبتيسيره .

والتوكل يجب عليه أن يتخذ الأسباب إقتداءً برسول الله ﷺ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

وقال سهل بن عبد الله التستري : التوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته فمن بقي على حاله فلا يترك سنته .

وقال أيضاً من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان . ويعرّف سهل بن عبد الله التوكل فيقول : التوكل هو الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد ، أي الاسترسال مع الله في كل ما أَرَادَهُ ﷻ في الجهاد ، في الضرب في الأرض طلباً للرزق ، في التزود من العلم ، في حُسن الخُلُق وهذا يقتضي أن يسكن الإنسان إلى النتائج بعد أن يكون قد اتخذ الأسباب بقدر طاقته ويقتضي أمراً آخر هو الابتعاد عن كل ما لا يريد ﷻ .

« ومن آثار التوكل عدم الاعتماد على أحدٍ من البشر إيماناً بأن الخالق الرازق الفعال لكل شيء هو الله وان من دونه لا يملكون ضرراً ولا نفعاً . ومن الآثار العلمية للتوكل تعويد الإنسان على احترام نفسه وذلك بحفظ كرامتها وترفعها عن المذلة والمهانة بسؤال الناس والتسول والطلب منهم وهذا ظاهر فيما حدث مع إبراهيم بن أدهم ، وكما زُوي عن حذيفة المرعشي وقد كان خدماً لإبراهيم بن أدهم فقيل له : ما أعجب ما رأيت ؟ فقال بقينا في طريق مكة أياماً لم نجد طعاماً ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع . فقلت هو ما رأى الشيخ . فقال عليّ بدواة وقرطاس . فجئت به إليه فكتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أنت المقصود إليه بكل حال ، والمشار إليه بكل معنى ، وكتب شعراً :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا ضائع أنا عارٍ

هي ستة وأنا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلي الرقعة فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقك ، فخرجت ، فأول من لقيني كان رجلاً على بغلة ، فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى ، وقال : ما فعل صاحب هذه الرقعة ؟ فقلت : هو في المسجد الفلاني فدفع إلي صره فيها ستمائة دينار ، ثم لقيت رجلاً آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا نصراني ، فجئت إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فإنه يجيء الساعة ، فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكب على رأس إبراهيم يُقبله واسلم «(١)».

الخوف

هو شعور بالتقصير وتوقع حصول عقوبة نتيجة ذلك التقصير فيحدث قلق في النفس وارتباك وفقدان السيطرة على التصرفات ، وهو مشترك بين عامة الناس إذ كل الخوف مصدره واحد هو الذي ذكرناه أي توقع حصول مكروه وخوف المؤمنين من الله ﷻ هو ما يخصنا فقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم بألفاظ متعددة مثل (الخوف ، والخشية ، الرهبة ، التقوى) .

قال تعالى : ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) . حيث جعل الله ﷻ الخوف منه شرطاً للإيمان به ، وقال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾^(٣) . وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ

١ - الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٣٦ .

٢ - آل عمران : ١٧٥ .

٣ - الرحمن : ٤٦ .

الْمَأْوَى ﴿١﴾. تبشير بمقام أهل الخوف من الله ومن خاف الله أدى حقوقه عليه وبذلك يكون مستحقاً للثواب .

وقال تعالى في وصف الملائكة : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٢). وقال تعالى في وصف القرآن الكريم : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (٤).

وعباد الله المؤمنون يشمل الملائكة والأنبياء والصالحين السالكين السائرين على نهج الرسول ﷺ فقد نقل عنه ﷺ انه قال : ﴿ ما جاءني جبريل قط وهو يرتعد فرقاً من الجبار ﴾ ، وقال تعالى مخبراً عن موسى ﷺ : ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً ﴾ (٥). وروي عن الرسول ﷺ : ﴿ انه كان إذا دخل في الصلاة يُسمع أزيزاً كأزيز المرجل ﴾ (٦).

ومن عرف الله وعلم إن قدرته محيطه بكل شيء خافه حق مخافته قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٧). وعن الرسول ﷺ قال الله تعالى : ﴿ وعزتي لا أجمع على عبيد خوفين ولا أجمع له أمين فان آمني في الدنيا أخفته يوم القيامة وان خافني في الدنيا أمنت يوم القيامة ﴾ (٨).

١ - النازعات : ٤٠ ، ٤١ .

٢ - النحل : ٥٠ .

٣ - الزمر : ٢٣ .

٤ - الحشر : ٢١ .

٥ - الاعراف : ١٤٣ .

٦ - رواه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي .

٧ - فاطر : ٢٨ .

٨ - أخرجه ابن حبان في الصحيح والبيهقي ورواه ابن المبارك .

فالعبد المؤمن يجب أن لا يأمن من خوف الله في الدنيا وهذا شأن السادة أهل الطريقة السالكين وهم الذين يؤدون الطاعات والالتزامات تجاه الخالق ويخافون أن لا تُقبل .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني ؟ قال : ﴿ لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه ﴾^(١).

وخوف المؤمن من الله يورث هيبة له عند الناس ، قال الرسول صلوات الله عليه : ﴿ من خاف الله تعالى خافه كل شيء ، ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء ﴾^(٢). وقال الرسول صلوات الله عليه : ﴿ عيان لا تمسهما النار ، عين باتت تحرس في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ﴾ ، ومن حديث للرسول : ﴿ سبعة يظلهم الله في ظله ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ﴾^(٣). وكذلك كان صحابة رسول الله صلوات الله عليه يخافون الله متأسين برسوله الكريم صلوات الله عليه ، فعن عبد الله بن الرومي قال بلغني إن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : لو أني بين الجنة والنار ولا ادري إلى أيتهما يُؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن اعلم إلى أيتهما أصير . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلوات الله عليه : ﴿ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ﴾^(٤). فغضى أصحابه وجوههم ولهم خنين .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلوات الله عليه : ﴿ من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل ألا أن سلعة الله غالية ، ألا أن سلعة الله الجنة ﴾^(٥).

١ - رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد .

٢ - رواه ابن حبان وابن أبي الدنيا .

٣ - متفق عليه من حديث أبي هريرة .

٤ - متفق عليه .

٥ - رواه الترمذي وقال حديث حسن .

والخوف يجب أن لا يغلب على السالك حتى يدخل في اليأس لان الله ﷻ يقول : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (١) .
فلا بد أن يجمع الخوف والرجاء فخوف من عذاب الله وغضبه ورجاء في رحمته ﷻ .

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : « ومن عبد الله على ميزان الخوف والرجاء لا يضل ويصل إلى ما هو له » (٢) .

« وروي عن الإمام علي عليه السلام قال لبعض الخائفين وقد تاه عقله فأخرجه من الخوف إلى القنوط ما اشارك إلى ما أرى ؟ فقال ذنوبي عظيمة فقال ويحك إن رحمة الله أعظم من ذنوبك فقال الرجل إن ذنوبي أعظم من أن يكفرها شيء فقال الإمام عليه السلام إن قنوطك من رحمة الله أعظم من ذنوبك » (٣) .

وقال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله : « ليس على وجه الأرض احد أخاف منه وارجوه ، لا من الجن ولا من الإنس ولا من الحيوانات والحشرات ولا من جميع المخلوقات ، لا أخاف إلا من الله ﷻ ، كلما أمني زدت من الخوف لأنه فعال لما يريد ، ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون » (٤) .

وقال أيضاً : المتقون ، هم الذين يتقون الله ﷻ في الجلوات والخلوات ، ويراقبونه في جميع الحالات ، ترتعد فرائص قلوبهم منه في الليل والنهار . يخافون البيات من مجيء الآفات التي تقطعهم عنه ، مع عدم الصبر ، فينتقلون إلى الكفن ، يخافون من مجيء ملك الموت على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهم على اشر عمل ، يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة ، خائفة من الرد ، خائفة من علم الله ﷻ فيهم .

١ - الزمر : ٥٣ .

٢ - عادل الخير الدين - العالم الفكري للإمام جعفر الصادق ص ٣٠٧ .

٣ - الشيخ أبو طالب المكي - قوت القلوب ج ٢ ص ١٥٧ .

٤ - السيد الشيخ محمد الكسنزان - جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر ص ٢٦ .

كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى إذا لقي سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول له : تعالى حتى نبكي على علم الله ﷻ فينا . ما أحسن هذا الكلام ، هو كلام عارف بالله ﷻ ، عالم به وبتصاريفه ، أما قوله علم الله ﷻ الذي أشار إليه نبكي على علم الله فهو في قوله تعالى : ﴿ هَؤُلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي وَهَؤُلَاءِ إِلَى النَّارِ وَلَا أَبَالِي ﴾ . وخلط الكل موضعاً واحداً فلا يدري أي الفريقين هو . المتقون لم يغتروا بما ظهر من أعمالهم ، لان أعمالهم بخواتيمها ، المتقون هم التاركون للمعاصي والزلات ، ما ظهر منها وما بطن .

وقال يحيى بن معاذ : « من عبَدَ الله تعالى بالخوف دون الرجاء غرق في بحار الأذكار ومن عبد الله بالرجاء دون الخوف تاه في مفاوز الاغترار ومن عبَدَ الله بالخوف والرجاء معاً استقام في الأذكار » (١).

وقد أدرك أهل الطريقة أساس الخوف ومواقعه واستطاعوا تحديد انتقالاته في الجسد وبينوا نتائج هذا الانتقال فقد ذكر أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب إن الخوف قد يفيض من القلب إلى المرارة ويقتل صاحبه وهو الذي يموت بالغشى والصعق وقد يطير الخوف من القلب إلى الدماغ فيحرق العقل ويتيه العبد ، وقد يكمن الخوف في الكبد فيورث الكمد اللازم والحزن الدائم ويحدث الفكر الطويل وعند هذا يذهب النوم ويدوم السهر ، ويروي أبو طالب المكي أن هذا أفضل أحوال الخوف وهو خوف العالمين .

وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول : « يخرج من النار رجلٌ بعد ألف عام يا ليتني كنت ذلك الرجل » (٢). وقوله هذا لخوفه من الخلود في النار ورأى الشيخ داود الطائي رضي الله عنه امرأة تبكي على قبر ولدها وهي تقول يا ابنه ليت شعري أي خديك بدأ به الدود أولاً ؟ فصعق وسقط مكانه .

١ - الشيخ أبو طالب المكي - قوت القلوب ج ٢ ص ١٥٨ .

٢ - الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين ج ٤ ص ١٧٤ .

وقال الإمام الغزالي واعلم إن حقيقة الخوف هو تألم القلب واختراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل وقد يكون ذلك من جريان الذنوب ، وقد يكون الخوف من الله تعالى بمعرفة صفاته التي توجب الخوف لا محالة وهذا أكمل وأتم لان من عرف الله خافه بالضرورة قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(١).

وقيل إن الله تعالى جمع للخائفين ما فرقه على المؤمنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان قال تعالى : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾^(٢). وقال تعالى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾^(٣).

ويصنف ابن عجيبة مراتب الخوف إلى ثلاثة مراتب فقال : « خوف العامة من العقاب وفوات الثواب ، وخوف الخاصة من العتاب وفوات الاقتراب ، وخوف خاصة الخاصة من الاحتجاب بعروض سوء الأدب »^(٤).

وقال الفضيل بن عياض : إذا قيل لك تخاف الله فأنتك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم كذبت فليس وصفك وصف من يخاف .

الرجاء

هو طلب شيء معين بانكسار وتردد لشعور الطالب انه يطلب شيئاً لا يستحقه ولكنه يأمل ويطمع في كرم المطلوب منه لنيل المطلوب .

وحقيقة الرجاء تعلق القلب بمرغوب سيناله في المستقبل . وهذا التعلق يورث الجد والاجتهاد خاصة إذا علم كرم المطلوب منه فأن الطالب يتهالك في نيل رضاه بسبب ذلك الأمل وان لم يجتهد في الطلب يصبح الرجاء أمنية وغروراً يورث الكسل .

١ - فاطر : ٢٨ .

٢ - الأعراف : ١٥٤ .

٣ - البينة : ٨ .

٤ - الشيخ ابن عجيبة - معراج التشوف إلى حقائق التصوف ص ٦ .

ورجاء المؤمن في ربه ورد في آيات كثيرة منها : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾^(١). وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾^(٢). وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾^(٣).

فالرجاء أمر محمود شرط أن لا يغلب عليه الخوف لان الخوف توقع حصول مكروه في المستقبل ، فأن غلب الخوف ساء العبد ظنه بربه - حاشا لله - كما أن الخوف من المحبوب يوجب الوحشة من المحبوب وهذا لا يجوز . كما لا يجوز أن يصل الرجاء بالعبد إلى حد التوغل في المعاصي بأمل حسن الظن لان الرجاء وحده على كثرته يوقع المحب في الإعجاب وسوء الأدب .

والرجاء يتولد من الخوف إذ لولا خوف توقع الأذى لما حصل الرجاء بالمغفرة والرحمة وهذا رجاء الناس العامة فهم بين من عمل حسنةً يرجو قبولها ومن عمل سيئةً يرجو غفرانها ، أما رجاء المحبين فهم لا يخافون عقاباً لعدم حصول التوقع به عندهم لما علموا من محبة الله لهم وهو حال أهل الطريقة فرجاؤهم يكون في التقرب من الجليل في قلوب مطمئنة وليست خائفة . كانت رابعة العدوية تقول : « ما عبدته خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته »^(٤).

فالرجاء هنا هو رؤية الجليل تعالى والفوز بالقرب من حضرته سبحانه . واجتماع الرجاء والخوف في قلب العبد ورد على لسان الرسول ﷺ حيث قال : ﴿ ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب أمريء مسلم عند الموت إلا أعطاه الله ما يرجو وصرف عنه ما يخاف ﴾^(٥).

١ - العنكبوت : ٥ .

٢ - البقرة : ٢١٨ .

٣ - الكهف : ١١٠ .

٤ - ماسينون - التصوف الإسلامي .

٥ - روي في رياض الصالحين .

والله سبحانه عند ظن العبد به فأن ظن خيراً فهو خير ، وعلى سعة رحمة الله وعظم مغفرته فهو شديد العقاب ذو انتقام فلا يجوز أن يبيح لنفسه ما يشاء أملاً في الرحمة ورجاء المغفرة .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « الخوف رقيب القلب والرجاء شفيع النفس ومن كان بالله عارفاً كان إلى الله راضياً ، راجياً وهما جناحا الأيمان يطير بهما العبد إلى رضوان الله وعينا عقله يبصر بهما إلى وعد الله ووعيده ، وللخوف طالع عدل الله باتقاء وعيده والرجاء داعي فضل الله ويحيي القلب والخوف يميت النفس . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ المؤمن بين خوفين خوف ما مضى وخوف ما بقى ﴾ ، وبموت النفس يكون حياة القلب وبحياة القلب البلوغ إلى الاستقامة ومن عبد الله على ميزان الخوف والرجاء لا يضل ويصل إلى ما هو له وكيف لا يخاف العبد وهو غير عالم بما يختم صحيفته ولا له عمل يتوسل به استحقاقاً ولا قدرة له على شيء ولا قفر ، وكيف لا يرجو يعرف نفسه بالعجز وهو غريق في بحر ألاء الله ونعمائه من حيث لا تحصى ولا تعد ، والمحب يعبد ربه على الرجاء بمشاهدة أحواله بعين السهر » (١).

« والرجاء هو الأمل الذي يحيي به الإنسان ولولا الرجاء لما كان هناك عمل فالرجاء باعث على الاجتهاد واللذة في العمل ، وفيه انشراح القلب للعمل والحث على تكثير أنواع الطاعات المختلفة ، فرجاء المغفرة يؤدي إلى التوبة ورجاء الثواب يؤدي إلى كثرة العمل » (٢).

ويقول ابن قيم الجوزية : وإنما نطق به التنزيل لفائدة وهي كونه يبرد حرارة الخوف بل لفوائد كثيرة أخرى منها ظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين ، ومنها أنه سبحانه يحب من عباده أن يؤملوه

١ - عادل خير الدين - العالم الفكري للإمام جعفر الصادق ص ٣٠٧ .

٢ - محمد هشام - مدارج السالكين عند الصوفية ص ٧٣٢ .

ويرجوه ويسأله من فضله لأنه الملك الحق الجواد أجود من سُئِلَ وأوسع من أعطى وأحب ما للجواد أن يرجى ويؤمل ويُسأل ، وفي الحديث : ﴿ من لم يسأل الله يغضب عليه ﴾ ومنها إن الرجاء حادٍ يحدو به في سيره إلى الله ويُطيب له المسير ويحثه عليه ويبعثه على ملازمته ، ومنها إن الرجاء يطرحه على عتبة المحبة فإنه كلما اشتد رجاؤه وحصل له ما يرجوه ازداد حباً لله تعالى وشكراً ورضاً به وعنه ، ومنها أنه يوجب له المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها والتعلق بها فأن الراجي متعلق بأسمائه الحسنی متعبداً بها داع بها .

وقال ابن عجيبة : « رجاء العامة حسن المآب بحصول الثواب ورجاء الخاصة حصول الرضوان والاقتراب ورجاء خاصة الخاصة المتمكين من الشهود وزيادة الترقى في أسرار الملك المعبود » (١).

وللمؤمن رجاءان ينتجان من خوفين :

خوف من الفعل الذي مضى ، فأن كان خيراً يرجو قبوله وان كان سوءاً فيرجو غفرانه .

وخوف من الفعل القادم الذي سوف يفعله فهو يرجو أن يكون عملاً صالحاً مقبولاً لأنه لا يعلم خاتمة أعماله فيرجو الله أن يجنبه العمل السيء أو يغفر له إن كان قد قُدرَ عليه .

الصدق

سمي الصدق صدقاً لقوته في نفسه لان الكذب لا قوة فيه : « وقولهم في شيء صدق أي صلب » (٢).

١ - الشيخ ابن عجيبة - معراج التشوف إلى حقائق التصوف ص ٦ .

٢ - احمد فارس - معجم مقاييس اللغة .

والصدق إيراد الحقيقة كاملة من غير زيادة أو نقصان ويقترن الصدق بالإخلاص لان المرید إذا اخلص فهو صادق وإذا صدق فهو مخلص والصدق يجب أن يكون في القول والنية ، فالصدق في القول هو أن يصدق قلب المرید ما يقوله لسانه من ذكر وتوحيد ومعنى آخر أن يصدق المرید قلبه ويتم التوحيد في العمل .

وصدق العمل يكمن في أن يكون ذلك العمل خالصاً لله دون رياء أو نفاق فصدق المرید مع شيخه يكون في التزامه تعليمات الشيخ واستمراره على الأوراد التي كلفه بها الشيخ لأجل السير به نحو النجاة والتقرب به من حضرة الجليل فأن صدق المرید في نيته طلباً لوجهه تعالى عليه الصدق في العمل مع الشيخ والتزام طاعته لان العهد مقطوع سابقاً فيجب الوفاء به والوفاء للشيخ يعني الوفاء لله قال تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(١) . فحقيقة الصدق أن يستوي عند المرید سره وعلا نيته وان يتحد قوله وفعله مع قلبه ونيته فيكون بذلك صديقاً قال تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾^(٢) . والصدق في مقدمة الأعمال الصالحة للسالكين لأنه عين العبادة فبدونه تُنفى كثير من الأمور ، قال الرسول ﷺ : ﴿ عليكم بالصدق فأن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ﴾^(٣) . ويحتل الصدق موقع الشمس بين بقية الأعمال فهو النور الذي بدونه لا تقوم العبادات ولا تصلح كنور الشمس الذي بدونه لا تقوم حياة .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « الصدق نور متشعشع في عالمه كالشمس يستضيء بها كل شيء تغشاه من غير نقصان يقع على معناها »^(٤).

١ - الأحزاب : ٢٣ .

٢ - المائدة : ١١٩ .

٣ - رواه الأربعة .

٤ - عادل خير الدين : العالم الفكري للإمام جعفر الصادق .

وقال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله : « الصادق لو لقي الخلق كلهم ما حل له النظر إلى غير محبوه وعليك وما تكبر في عيني رأسه الدنيا وما تكبر في عيني قلبه الآخرة وما يكبر في عيني سره غير المولى وعليك زعاق المنافق من لسانه ورأسه وزعاق الصادق من قلبه وسر قلبه على باب ربه وسره داخل عليه لا يزال يصرخ على الباب حتى يدخل النار » (١).

وقال رحمته الله : « يا كذابين الصادق لا يرجع ، الصادق لا ظهر له ، الصادق أمام بلا وراء ، صدق بلا كذب ، وقول وعمل ودعوى وبينه ، ما يرجع عن محبوه وعليك بسهام تأتية بل يتلقاه بصدرة ، حبك للشيء يعمي ويصم ، من علم ما يطلب هان عليه ما يبذل ، المحب الصادق في محبته أبداً يقتحم الأخطار في طلب محبوه وعليك ولو كان بين يديه نار غاص فيها يهجم على ما يتجاسر عليه غيره صدقه يحمله على ذلك محبته وقلة صبره عن محبوه وعليك تحمله على ذلك البلايا تظهر وتميز بين الصادق والكاذب ما أحسن ما قال بعضهم شعراً :

وفي حالة السخط لا في الرضا يبين المحب من المبغض » (٢).

فالصادق الحق يلزم حالة الصدق وان بذل في ذلك مهجته وإلا فان اختل صدقه خشية الخطر خرج من زمرة الصادقين .

قال الشيخ الجنيد البغدادي رحمته الله : « حقيقة الصدق أن تصدق في مواطن لا ينجيك منها إلا الكذب » (٣).

فهذه هي صفة الصادقين الذين لا يسمعون لومة لائم ولا عدل عاذل في حبهم لله ولنا مثال في صحابة الرسول صلوات الله عليهم من الرجال والنساء الذين صدقوا مع الرسول صلوات الله عليهم عهدهم فلم يردعهم اللوم والتعذيب ولا التجريح حتى كان البعض منهم يكوى بالحديد المحمى والأخر يضرب بالسياط وثالث يحرم من الطعام فما

١ - الناشر السيد الشيخ محمد الكسنزان - جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر .

٢ - السيد الشيخ محمد الكسنزان - جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر ص ٣٣ .

٣ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية .

اختل عهد أحد منهم ولا تهاون أحدهم في صدق قوله وفعله فنالوا درجات الصادقين أمثال بلال وخباب وصُهب وعمار وياسر وسمية .

وروي إن فرعون عندما اشتد في عذاب زوجته آسيا قال لها ارتدي عن دين موسى ؟ فقالت انك تغلب نفسي ، وقلبي في عصمة ربي لو قطعتني أرباً ما زدت إلا حُباً ، فهذا صدق عهد مع الله قولاً وفعلاً ، سرّاً وعلانية .

قال أبو الحسن الزنجاني : « أصل العبادة على ثلاثة أركان العين والقلب واللسان : فالعين بالعبارة ، والقلب بالفكرة ، واللسان بالصدق والتسبيح والذكر » (١).

والصادق لا يرى من الناس إلا الصدق فتراه يصدق ما يقولون لأنه لا يعرف غير ذلك فيصدق الكاذب لأنه لا يعرف الكذب وهكذا نرى آدم عليه السلام قد صدق إبليس في كذبه لأنه عليه السلام صادق لا يعرف حقيقة أخرى غير الصدق وهذا المعنى لدى آدم عليه السلام لا يسع معنى آخر ضده . والصادق يجب أن لا تحدثه نفسه بأنه صادق بل يرى صدقه دائماً غير متكامل وهذا حاله كحال الإخلاص قال سهل بن عبد الله التستري : « أول خيانة الصادقين حديثهم مع أنفسهم » (٢). لان المريد متى رأى نفسه أو ظن انه مخلص صادق وقع في آفة العجب والغرور ، والصادق في حبه وعهده تنعدم في عينه الرؤية فلا يرى سوى محبوبه وتعمى عينه عمن سواه فلا تكبر أمامه الدنيا ولا الآخرة ولا يعظم في نفسه ثواب أو عقاب يكابد الأهوال في طلب محبوبه ويهون عليه ما يبذل من مال وجهاد للنفس .

وسئل أبو يزيد البسطامي ما اسم الله الأعظم ؟ فقال : اروني الأصغر حتى أريكم الأعظم ، ما هو إلا الصدق أصدق وخذ أي اسم شئت ، أسماء الله سبحانه وتعالى كلها عظيمة .

١ - الإمام الغزالي - مكاشفة القلوب .

٢ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية .

وذكر الإمام الغزالي للصدق معان ستة فقال : « اعلم إن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان : صدق في القول وصدق في النية والإرادة ، وصدق في العزم ، صدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق :

- ١ . صدق اللسان يكون في الإخبار وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه .
- ٢ . صدق في النية والإرادة ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى .
- ٣ . صدق في العزم على العمل لله تعالى .
- ٤ . صدق في الوفاء بالعزم بتذليل العقبات .
- ٥ . صدق في الأعمال حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف به .

٦ . الصدق في مقامات الدين كالخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب «(١)».

« فالصدق صفة ينبعث منها العزم والتصميم والهمة والترقي في مدارج الكمالات والتخلي عن الصفات الناقصة المذمومة ، وهو سيف الله في يد السالك يقطع به حبال العلائق والعوائق التي تعترض طريقه في سيره إلى الله تعالى ولولاه لما استطاع أن ينطلق في مدارج الترقى ولكان معرضاً للوقوف والانقطاع «(٢)».

وتظهر أهمية الصدق وعظيم آثاره في اعتباره ارفع الدرجات بعد النبوة والرسالة عند الله ﷻ قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٣).

فقد جعل الله ﷻ الصديقين رفاقاً للأنبياء ، والصديق من تساوت أفعاله وأقواله

١ - الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٣٤ .

٢ - عبد القادر عيسى - حقائق عن التصوف ص ٢٠٦ .

٣ - النساء : ٦٩ .

واتسمت بالصدق والإخلاص . قال أبو القاسم القشيري : أقل الصدق استواء السر والعلانية ، والصادق من صدق في أقواله والصادق من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله .

الإخلاص

هو ثبوت النية على الاعتقاد وصدق تلك النية ، لان الإخلاص مسألة روحية عميقة سرية تترجم عنها إلى الظاهر التصرفات والأفعال الظاهرية ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾^(١) . ولما كان الإخلاص مسألة سرية فهي متعلقة بالقلب فيبدأ المرید بتطهير قلبه من الأدران المتراكمة فيه وإخراج أية محبة دنيوية منه حتى يفرغ تماماً استعداداً لحلول محبة الله فيه ويتم ذلك بذكر الله فيه قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(٢) . والإخلاص في محبة الله يبدأ بالإخلاص في محبة الشيخ العارف والصدق معه والطاعة العمياء له لان حب الشيخ من حب الرسول ﷺ طالما كان الشيخ وريثاً للرسول ﷺ وسائراً على نهجه وحب الرسول ﷺ وطاعته فيكون الشيخ العارف عاملاً آمراً بأمر الله ورسوله فحبه والإخلاص له يأتي من حب الله ورسوله والإخلاص معهم قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(٣) . فالمرید قد قطع على نفسه عهداً للشيخ وأشهده بأن يخلص لله توحيداً وصبراً وشكراً وأن يرفض الدنيا ويطلب الله سبحانه ويعرض عنها ويقبل عليه ﷺ ويستوحش الناس ويأنس بذكر الله .

والقلب يرتبط بالعقل الذي هو مصدر التفكير وعنه تصدر التصرفات فإذا خلص القلب تبعه العقل بتوجيه التصرفات نحو ما يرضاه الله والابتعاد عن نواهيه

١ - البينة : ٥ .

٢ - الرعد : ٢٨ .

٣ - آل عمران : ٣١ .

وَعَجَلٌ ولهذا ترى الإسلام اهتم بالقلب لأنه متى صلح القلب تبعته التصرفات الظاهرية بحق وحقيقة وعمل خالص من أي شرك أو رياء ، قال الرسول ﷺ : ﴿ أَلَا أَنْ فِي الْجَسَدِ مِضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ﴾^(١). وقال ﷺ : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ ﴾^(٢). وقال ﷺ : ﴿ إِنْ لِكُلِّ حَقِّ حَقِيقَةٍ وَمَا بَلَغَ أَحَدٌ حَقِيقَةَ الْإِخْلَاصِ حَتَّى لَا يَحِبَّ أَنْ يَحْمَدَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عَمَلِ اللَّهِ ﴾ ، فحقيقة الإخلاص في العبادة هي أن يرى المرید نفسه مقصراً تجاه خالقه مهما بذل من طاقات وان لا يجعل لعمله قدراً كبيراً ويستصغره دائماً لأن الله ﷻ لو طالب العبد أن يفي له بالنعم التي أنعمها عليه لعجز العبد عن ذلك ولو وزن إخلاصه في العبادة مهما بلغ لما ساوى بذلك نعمة واحدة من نعم الله عليه .

قال الرسول ﷺ : ﴿ مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَعْلَمَ مَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَعْلَمْ مَا لِلَّهِ عِنْدَهُ ﴾ .

فأي عمل يقوم به المرید في طلب وجه الله ﷻ ليس له أن يطالب الناس بالتقدير إنما ذلك على الله لأنه خاص به خالص له وإلا فقد وقع في الرياء ، لذا يجب أن يكون العمل لله خالصاً من الآفات القلبية والنفسية فلا يعجب المرید من نفسه وإخلاصه لله ويراه دائماً قليلاً .

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : « الإخلاص يجمع فواضل الأعمال وهو معنى مفتاحه القبول وتوقيعه الرضا فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وأن قل عمله ، ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وان كثر عمله اعتباراً بآدم وإبليس عليه اللعنة وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل محاب مع إصابة علم كل حركة وسكون والمخلص ذائب روحه باذل مهجته في تقويم ما به العلم والأعمال والعامل

١ - رواه البخاري .

٢ - رواه مسلم وابن ماجه .

والمعمول بالعمل لأنه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكل وإذا فاتهُ ذلك فاتهُ الكل ، وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد كما قيل ألا هلك العاملون إلا العابدين ، وهلك العابدون إلا العالمين ، وهلك المخلصون إلا المتقين ، وهلك المتقون إلا الموقنين ، وإن الموقنين لعلّى خطر عظيم ، قال الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾^(١). وقال أيضاً : أدنى حد الإخلاص بذل العبد طاقته ثم لا يجعل علمه عند الله قدراً ، فيوجب به على ربه مكافأة بعلمه ، انه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز ، وأدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام ، وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة «(٢).

وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله : « يا غلام عليك بالإخلاص في العمل لله وَعَلَيْكَ في صلاتك وصيامك وحجك وزكاتك وجميع أفعالك اتخذ عنده عهداً قبل وصولك إليه ما هذا العهد إلا إخلاصاً وتوحيداً وسنة وجماعة وصبراً وشكراً وتفويضاً للخلق رفضاً وله طلباً وعن غيره إعراضاً وعليه إقبالاً بقلبك وسرك ولا جرم يعطيك في الدنيا قرباً وله حباً واليه شوقاً وفي الآخرة يعطيك من قربهِ ونعمه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر «(٣).

وقال رحمته الله : « يا مخلص أهرب من الشرك إلى باب ربك ، قف عنده ولا تهرب عند مجيء الآفات ، إذا وقفت على بابهِ وجاءتك الآفات من خلفك فتعلق بالباب فأنها تدفع عنك بتوحيدهك وهيبة صدقك فإذا جاءتكَ الآفات فعليك بالصبر والثبات «(٤).

وقال أيضاً رحمته الله : « يا عابد بغير قلب حاضر مثلك مثل الحمار المشدود العين وهو يطحن يظن انه مشى فراسخ كثيرة وهو من مكانه ما برح ، ويلك تقوم

١ - الحجر : ٩٩ .

٢ - عادل خير الدين - العالم الفكري للإمام جعفر الصادق ص ٢٨٣ .

٣ - الناشر السيد الشيخ محمد الكسنزان - جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر ص ٣٠ .

٤ - المصدر نفسه - ص ٣٠ .

وتتعد في صلاتك وتجويع وتعطش في صومك بلا ذرة من الإخلاص والتوحيد فماذا ينفعك ؟ ما يقع بيدك غير التعب ؟ تصلي وتصوم وعين قلبك ما في بيوت الناس وجيوبهم وأطباقهم تنظرهم حتى يهدوا لك وتريهم عبادتك وتعلمهم بصومك ومجاهدتك ، يا مشركاً ، يا منافقاً ، يا مرئياً ، يا مُدبراً عن وصف الصديقين الروحانيين الربانيين «(١)».

قال ابن عجيبة : « الأعمال كلها أشباح وأجساد وأرواحها وجود الإخلاص فيها كما لا قيام للأشباح إلا بالأرواح وإلا كانت ميتة ساقطة كذلك لا قيام للأعمال البدنية والقلبية إلا بوجود الإخلاص فيها وإلا كانت صوراً قائمة وأشباحاً خاوية لا عبرة بها «(٢)».

وقال الشيخ الجنيد البغدادي رحمته الله : « الإخلاص ما أريد به الله من أي عمل كان «(٣)».

وقال أبو يعقوب السوسي : « الخالص من الأعمال ما لم يعلم به ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده ولا النفس فتعجب به «(٤)». فيجعل النفس بعيدة عن المرید في عمله لأنها العدو الأول السالكن طريق التصوف والتوحيد الخالص فتراه يوجه عمله إلى ربه وحده ويخفيه عن النفس كي لا تعجب من إخلاصها لله فتقع في المحذور . ويرى ابن عجيبة إن الإخلاص هو توحيد القصد تجاه الله ﷻ وإن يكون السالك مُلكاً لله وحده روحاً ونفساً وفكراً وقلباً لا شريك له جل وعلا ولا إرادة للسالك في أي عمل كان فيقول : « الإخلاص إخراج الخلق عن معاملة الحق وإفراد الحق تعالى بالقصد «(٥)».

١ - المصدر نفسه .

٢ - الشيخ ابن عجيبة - إيقاظ الهمم في شرح الحكم ج ١ ص ٢٥ .

٣ - الشيخ الكلاباذي - التعرف لمذهب أهل التصوف .

٤ - المصدر نفسه .

٥ - الشيخ ابن عجيبة - معراج التشوف إلى حقائق التصوف .

والإخلاص هو صفاء الأعمال وخلوصها من الشوائب وهو على درجات :
الأولى : إخلاص الناس العامة فيكون في إخراج المخلوقات عن الهدف في
أعمال العبادة وبمعنى آخر الابتعاد عن الرياء في العبادة .

الثانية : إخلاص السالكين ويكمن في عدم التفكير في الجزاء والثواب على
العبادة لا في الدنيا ولا في الآخرة وإنما يكون العمل من أجل محبة الله فيعبد حباً لله
ولا شيء غير ذلك متجاهلاً الثواب والعقاب يوم الحساب .

وأما إخلاص أهل الطريقة العارفين بالله فيكون بتجردهم عن القوة والإرادة في
العبادة سواء بالقصد أو الحركة وعدم الشعور بوجود غير الله حتى تكون عبادتهم من
الله وإلى الله ولا أحد سواه فإذا صام رآه من الله وإذا قام فالحول والقوة من الله وإذا
شكر فالشكر من عند الله ، أما العبد فهو مسخر ذائب في أمر الله به يقوم وبه
يصلي وبه يذكر وهذه أعلى درجات الإخلاص وذلك يحصل لهم لأنهم مخلصون قد
صفاهم واستخلصهم ربهم فهم يفعلون ذلك بأمره ﷻ .

قال أبو عثمان المغربي : « أخلاص الخواص هو ما يجري عليهم لا بهم فتبدو
منهم الطاعات وهم بمعزل عنها » (١).

والإخلاص لله واجب حتماً سواء كان ذلك في رضا العبد أم لم يكن لان الله
قاهر قادر وقضى بالإخلاص له في عبادته قال تعالى : ﴿ وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٢). فالإخلاص
الحق يكون في معرفة الإنسان خالقه صاحب النعمة عليه مع رؤيته للنعمة فلا ينكر
المنعم ولا النعمة وإنما يرى النعم كلها ويدرك في قلبه إنها خلقت لتسبيح الله وحمده
وإنما انتفاعنا بها أمر من الله لاقتضاء الضرورة .

١ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية .

٢ - الرعد : ١٥ .

قال محيي الدين بن عربي : « لا يَصْحُ وجود الإخلاص إلا من المخلصين » (١).

إذ أن هذه الطائفة وهم أهل الطريقة قد استخلصهم الله واعتنى بهم عناية فائقة فلا يرون الفعل والأشياء إلا خادمة مطيعة لمن أوجدها ﷺ فلما حصل لهم المضار والنفع نظروا ببصيرتهم الثاقبة المنورة إلى واضع هذه الأسباب وعلموا حاجتهم إليه فكانوا بذلك عباداً مخلصين أحبوه حباً شغلهم عن التفكير بما كان السبب في معرفتهم له ﷺ .

الصبر

« الصبر لغة الحبس صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر حبستها ، والصبرُ من الحجارة ما اشتد وغلظ » (٢). وهو تكريس الطاقة البشرية لتحمل ما يقع على الإنسان من جهد سواء كان فكرياً أو نفسياً أو جسدياً ويصبيه بأذى معين .

والصبر من صفات الأنبياء المرسلين قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (٣). وجعل الله ﷺ الفلاح في الصبر بقوله جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤). ويوصي الله ﷺ رسوله الكريم بموالات الصابرين العابدين لله حق عبادته بقوله : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (٥). والصبر يمحو السيئات والخطايا ويقرب العبد من حضرة الجليل قال الرسول ﷺ : ﴿ ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقي

١ - الشيخ ابن عربي - الفتوحات المكية .

٢ - أحمد بن فارس - معجم مقاييس اللغة .

٣ - الاحقاف : ٣٥ .

٤ - آل عمران : ٢٠٠ .

٥ - الكهف : ٢٨ .

الله وما عليه خطيئة ﴿﴾ ، وقال ﷺ : ﴿ ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها ﴾^(١) . والصبر من الشجاعة قال الإمام علي كرم الله : « البخل عار والجبن منقصه والصبر شجاعة »^(٢) . والصبر نوعان صبر على الدنيا وصبر على الدين :

فصبر الدنيا يبدأ بالشكر على الرخاء ومعرفة الإنسان لنعم الله وفضله عليه ومن ثم شكره عليها بإنفاقها في مجال يرضيه وعدم استخدامها هذه النعم في معصية الله فلا تسخر العقول النيرة للأجرام ولا تستخدم الأموال لارتكاب الفواحش وانتهاك محارم الله .

والصبر على البلاء من صفات الصالحين لان الدنيا دار امتحان إذ إن الله تعالى يختبر إيمان عبده بأنواع المصائب فالمریض الصابر على بلائه والفقير الصابر على جوعه وهكذا .

وأما الصبر على الحكم فذلك هو قمة الصبر على الدنيا لان الله ﷻ حبيب إلى العبد الدنيا وزخارفها ثم قضى عليه ما شاء ليرى مدى صبره وتحمله فإذا صبر العبد جرت تلك المقدرات عليه وهو مأجور عليها وان جزع فهي جارية عليه وله منها الوزر على جزعه فيها ومن ذلك بلاء العبد بالموت والفراق .

روي عن النبي ﷺ انه مرّ بامرأة تبكي على قبر صبي لها فقال : ﴿ اتقي الله واصبري ﴾ ، وانه ﷺ قال عند وفاة ولده إبراهيم : ﴿ إن العين لتدمع والقلب ليحزن ولكن لا نقول ما يغضب الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ﴾ .

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام الصبر يُظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء ، والجزع يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة ، والصبر يدعيه كل

١ - رواه البخاري ومسلم .

٢ - نهج البلاغة .

أحد ، وما يثبت عنده إلا المخبتون ، والجزع ينكره كل أحد ، وهو بين على المنافقين ، لان نزول المحنة والمصيبة مخبر عن الصادق والكاذب .

قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله : « اصبر على أذية الخلق والجيران ، فأن في الصبر خيراً كثيراً كلكم مأمورون بالصبر ، اصبروا على الأمر بالقدر حتى ينقلب السماع يقيناً ، الصبر أساس الخير ، الملائكة ابتلوا فصبروا والأنبياء ابتلوا فصبروا وأتم على أثر القوم فافعلوا كفعالهم واصبروا كصبرهم ، القلب إذا صح لا يبالي بمن خالفه ومن وافقه بمن حمده ومن ذمه ، ومن أعطاه ومن منعه ، بمن قربه ومن أبعدته بمن قبله أو رده القلب الصحيح يمتلئ توحيداً وتوكلاً ويقيناً وإيماناً ومن الله وَعَجَّلَ قرباً ، يرى الخلق كلهم بعين العجز والذل والفقر ومع ذلك لا يتكبر على طفل صغير منهم » (١).

وقال رحمه الله : « ويحك اذكر جوع الجياع وعري العراة ، ومرض المرضى ، وحبس المحبوسين ، وقد هان عليك ما عندك من البلاء ، اذكر أهل القبور في أهوال القيامة ، اذكر علم الله وَعَجَّلَ فيك ونظراته إليك وسابقته لك وقد استحييت منه ، إذا ضاق بك الأمر فتفكر في ذنوبك وتب منها وقل لنفسك بذنوبك ضيق الحق عليك ، إذا ثبت من الذنوب واتقيت الحق وَعَجَّلَ جعل لك من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً قال الله وَعَجَّلَ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٢). إذا وافقت ولم تنازع وشكرت ولم تكفر ، ورضيت ولم تسخط ، وسكنت ولم تشك أليس الله بكاف عبده » (٣).

وقال رحمه الله : « يا فقراء اثبروا على فقركم وقد جاءكم الغنى في الدنيا والآخرة عن النبي ﷺ قال : ﴿ الْفُقَرَاءُ الصُّبْرُ جُلَسَاءُ اللَّهِ وَعَجَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ، الفقراء الصُّبْرُ جلساء الرحمن وَعَجَّلَ اليوم بقلوبهم وغداً بأجسادهم ، ما من مؤمن إلا عند

١ - الناشر السيد الشيخ محمد الكسنزان - جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر .

٢ - الطلاق : ٢ ، ٣ .

٣ - الناشر السيد الشيخ محمد الكسنزان - جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر .

الموت يكشف عن بصره فيرى ماله في الجنة فيطيب له الموت والسكرات «(١).
فالصبر إذن حبس للنفس لتقبل ما حكم الله .

قال ابن عجيبة : « الصبر حبس القلب عن حكم الرب »(٢).

والصبر على الدنيا دليل على عمق الإيمان بالله ومحبه قال أبو الدرداء : (ذروة
الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر) ، وقال القناد رحمه الله : « الصبر ملازمة
الواجب في الإعراض عن المنتهى عنه والمواظبة على المأمور به »(٣).

والسادة أهل الطريقة لا يرضون بالقدر فحسب بل يشعرون بمتعة الألم في
صبرهم . قال ذو النون المصري لمريض كان يزوره ليس صادقاً في حبه من لم يصبر
على ضربه ، فقال المريض بل ليس صادقاً في حبه من لم يتلذذ بضربه .

والصبر في الدنيا بالتحمل بلا شكوى للناس فأن شكى ربه إلى الناس خرج
من حدود الصبر ، قال بشر الحافي : « الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه
للناس »(٤). إنما جواز الشكوى من الله إلى الله ﷻ بدليل شكوى النبي أيوب عليه السلام
فقد شكى الله الضّر ومع ذلك لم يخرج من دائرة الصابرين ، قال القناد رحمه الله :
« الصابر من يصبر في الله والله ولا يجزع ولا يتمكن منه الجزع ويتوقع منه
شكوى »(٥).

وأما الصبر على الدين فيشمل الصبر على اجتناب المحارم والتزام الطاعات
والصبر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالصبر على الطاعات يبدأ بالتغلب
على الشهوات النفسية وشدة تعلقها بمغريات الحياة خاصة ما حرم منها فأن النفس
مغمرة بكل ما هو محرم من قبل الله تعالى لذا فان تربية أهل الطريقة تبدأ من هنا أي

١ - الناشر السيد الشيخ محمد الكسنزان - جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر .

٢ - الشيخ ابن عجيبة - إيقاظ الهمم في شرح الحكم .

٣ - الدكتور سعاد الحكيم - المعجم الصوفي .

٤ - السلمي - طبقات الصوفية .

٥ - المصدر نفسه .

محاولة السيطرة على شهوات النفس وكسرها بالرياضات والتسبيح وسد جميع المنافذ المؤدية إلى المحرمات ثم المشبوهات ثم تدريجياً حتى يصل إلى تقليل الاستفادة من الحلال وهي درجة الورع ثم يأتي الصبر على مواصلة العبادات وتحمل القيام بها وما يتبعها من جهد طلباً لوجهه تعالى .

وحينما يخلص المريد مع شيخه من تصفية قلبه من غير حب الله وتعوده على الصبر في الدنيا والدين وجب عليه الآن الصبر على أذى الناس وطعنهم في دينه أسوة بسيدنا محمد ﷺ حين بث دعوته في مكة فأذاه المشركون وأدموه فقابل جهلهم بنبله ومسح الدم عن وجهه ودعى لهم بالهداية واستغفر لهم وقال : ﴿ اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ﴾^(١).

وهذا نجده اليوم في آل بيته الطاهرين مشايخ الطريقة الكسنزانية من بذل لأموالهم وجهدهم في سبيل نشر تعاليم الدين الحنيف وصبر وجهاد في هذا المجال لقد ورثوا قدست أسرارهم عن النبي ﷺ دعوته وجهاده وتعاليمه وراياته كما ورثوا عنه حبه لله وتقواه وصبره ونبله واستقامته .

إن الصبر يتمثل في هذا المجال بالصبر على أقوال الناس وأذاهم بالتكذيب فهو نعمة من الله تعالى ينعم بها على العبد لمن يشاء ولا تجاريها نعمة أخرى سوى التجلي الرباني ، قال الرسول ﷺ : ﴿ ما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر ﴾ ، والصبر يختلف باختلاف السالكين فصبر الناس العامة يكون في حبس القلب على مشاق العبادة وترك جميع المنهيات من قبل الله ﷻ وصبر السالكين المتقدمين يكون في مجاهدتهم للنفس مع مراقبة القلب ودوام حضوره مع الله وصبر أهل الطريقة الواصلين حبسهم لأرواحهم في دوام العكوف والنظر إلى الله .

والصبر من أشد الأعمال على النفس لأنه يجسها عما تطلب ويثبتها في مواجهة ما تكره فلولا إيمان المؤمن بقدرة الله وحبه له ما صبر ولا احتسب ، ولكنه

١ - عبد القادر عيسى - حقائق عن التصوف ص ٢٢٥ .

آمن وعمل صالحاً ثم اهتدى إلى نور الله بواسطة الشيخ العارف فكان الصبر على بلاء المحبوب متعة كبيرة بالنسبة للسالك .

« ويقسم الصبر إلى ثلاثة أقسام : صبر على الطاعات ، صبر على المعاصي ، وصبر على المصائب .

فالصبر على الطاعات : هو الاستقامة على شرع الله والمثابرة الدائمة على العبادات والصبر على ما يعترض ذلك من أنواع الابتلاء .

والصبر عن المعاصي : هو مجاهدة النفس في نزواتها ومحاربة انحرافها وتقويم اعوجاجها وقمع دوافع الشر والفساد والتي يثير الشيطان فيها .

وأما الصبر على المصائب : فأن الله تعالى يختبر إيمان عباده - وهو اعلم - بأنواع المصائب ويمتحن المؤمنين بصنوف المحن كي يميز الخبيث من الطيب والمؤمن من المنافق قال تعالى : ﴿ اَلَمْ . اَحَسِبِ النَّاسُ اَنْ يُّثْرَكُوْا اَنْ يَقُوْلُوْا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُوْنَ ﴾^(١) . «(٢) .

الورع

هو خوف يُداهم القلب فيوحي إليه بأنه واقع في الخطيئة ، وأصله سد منافذ الجوارح عما يوحي بوقع الضرر منه ودوام محاسبة النفس وكفها عن ارتكاب ما تكره عاقبته والصدق في المعاملة وصفاء النية والابتعاد عن كل شبهة ورفض كل ريبة أو ظن لقوله تعالى : ﴿ اِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ اِثْمٌ ﴾^(٣) . وقال الرسول ﷺ : ﴿ فضل العلم خير من فضل العباداة وخير دينكم الورع ﴾ ، وقال الإمام علي عليه السلام : (ثبات

١ - العنكبوت : ٢ .

٢ - عبد القادر عيسى - حقائق عن التصوف ص ٢٢٥ .

٣ - الحجرات : ١٢ .

الأيمن الورع وزواله الطمع) ، وقال الرسول ﷺ : ﴿ لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار فما ينفعكم إلا بالورع الشافي ﴾^(١).

وقال الحسن البصري رحمه الله : « مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة »^(٢).

والورع هو اجتناب الحرام والمشبوه وذلك لان ترك المشبوه في نظر أهل الطريقة تغليب لجانب الحرمة فيه على الرغم من أن فيه نسبة حلال ولكن ورعهم يكفهم عنه ويوجب الورع على العبد التزام الحق في القول والعمل في حالتي الغضب والرضا وان يخاف الله فيما يقول : « والورع أن لا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضي »^(٣).

وفي الورع اجتناب للغيبة والسخرية وغض البصر عن المحارم وعدم الإعجاب بالنفس وترك المرء ما لا يعني هو عدم مصاحبة ضعيف الإيمان .

قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله : ولا يتم الورع إلا أن يرى عشرة أشياء فريضة على نفسه .

أولها : حفظ اللسان من الغيبة لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾^(٤).

والثاني : الاجتناب عن سوء الظن لقوله تعالى : ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾^(٥). ولقوله ﷺ : ﴿ إياكم والظن فانه اكذب الحديث ﴾ .

والثالث : الاجتناب عن السخرية لقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ ﴾^(٦).

١ - الشيخ عبد القادر الكيلاني - الغنية لطالبي طريق الحق ص ٢٠٩ .

٢ - المصدر نفسه .

٣ - عبد المنعم الحفني - معجم مصطلحات الصوفية .

٤ - الحجرات : ١٢ .

٥ - الحجرات : ١٢ .

٦ - الحجرات : ١١ .

والرابع : غض البصر عن المحارم لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾^(١).

والخامس : صدق اللسان لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾^(٢). يعني فاصدقوا .

والسادس : أن يعرف منة الله عليه لكيلا يعجب بنفسه لقوله تعالى : ﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾^(٣).

والسابع : أن ينفق ماله في الحق ولا ينفقه في الباطل لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾^(٤). يعني لم ينفقوا في المعصية ولم يمنعوا من الطاعة .

والثامن : أن لا يطلب لنفسه العلو والكبر لقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً ﴾^(٥).

والتاسع : المحافظة على الصلوات الخمس في مواقيتها بركوعها وسجودها لقوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾^(٦).

والعاشرة : الاستقامة على السنة والجماعة لقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾^(٧).

قال الإمام الصادق عليه السلام : « أغلق أبواب جوارحك عما يقع ضرره إلى قليل ويذهب بوجاهتك عند الله ، ويعقب الحسرة والندامة يوم القيامة ، والحياء عما

١ - النور : ٣٠ .

٢ - الأنعام : ١٥٢ .

٣ - الحجرات : ١٧ .

٤ - الفرقان : ٦٧ .

٥ - القصص : ٨٣ .

٦ - البقرة : ٢٣٨ .

٧ - الأنعام : ١٥٣ .

اجترحت من السيئات . والمتورع يحتاج إلى ثلاث أصول : الصفح عن عشرات الخلق اجمع ، وترك خطيئته فيهم ، واستواء المدح والذم لديه .

وأصل الورع دوام محاسبة النفس وصدق المقابلة وصفاء المعاملة ، والخروج من كل شبهة ، ورفض كل عيب وريبة ، ومفارقة جميع ما لا يعنيه . وترك فتح أبواب لا يدري كيف يغلقها ولا يجالس من يشكل عليه الواضح ، ولا يصاحب مستخف الدين ، ولا يعارض من العلم ما لا يحتمل قلبه ولا يتفهمه من قائله ويقطع عمن يقطعه عن الله وَعَجَلٌ (١).

والورع يطهر قلب العبد من الادناس ويحافظ عليه طاهراً نقياً صافياً وذلك بصون النفس عن دنس الطباع . ويرى أهل الطريقة أن الورع رفض كل تعلق بغير الله وعدم الطمع في غيره تعالى .

قال أبو بكر الشبلي رحمته الله : (الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله)

فحبك لله لا يخالطه شيء آخر سواه .

« والورع على ثلاث درجات فما ترك الحرام والمشبهه سُمِّي ورع الناس العامة ، وما ترك كل شيء يُكدر صفو القلب سمي ورع السالكين ، وما ترك كل شيء وتعلق بحب الله وعكف وركن إليه سُمِّي ورع العارفين .

ومن ثمرات الورع :

١ . تجنب القبائح من المكروهات والدنئات الشائنة وإن لم تكن محرمة شرعاً صوناً للنفس وتحفظاً .

٢ . التوقي عن الفضول الشاغلة عن المراقبة والرعاية .

٣ . التورع عن كل داعية تدعو إلى شتات الوقت وعن كل شاغل عن الحق موجب للمقت «(٢).

١ - عادل خير الدين - الإمام جعفر الصادق ص ١٩٥ .

٢ - محمد هشام - مدارج السالكين عند الصوفية ص ٧٢١ .

لقد عاش أهل الطريقة في الدنيا على حذر وقلق مستمر وجاوروها كما يجاور العدو اللدود فلا يلذ لهم طعام ولا يهدأ لهم بال ما داموا مع عدوهم الأكبر وحاجزهم الأعظم عن عفو الله ومغفرته وهكذا كانت حياتهم حتى رحلوا عنها .

الزهد

« الزهد الشيء القليل ، ورجل مزهد أي مقل »(١).

والزهد تفريغ القلب والنفس من حب الدنيا وزينتها وامتلاؤها بحب الله ومعرفته ، وهو إدبار عن الدنيا وإقبال على الآخرة من غير تأسف عليها ولا إعجاب في تركها ولا طلب تقدير هذا العمل وان يرى الزاهد ترك الدنيا راحة والبحث عنها آفة ، ويلخص الزهد في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾(٢).

وسيد الزهاد في الدنيا هو سيدنا محمد ﷺ فقد كان ازهد الناس في الدنيا مع أمكان مطاوعتها إياه وانقيادها له حتى انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، فالدنيا زائلة ومتاعها في الآخرة قليل قال تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(٣).

وقال تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾(٤).

وقد جعلت الدنيا وما تحويه من مغريات فتنةً وامتحاناً للعباد ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾(٥).

١ - احمد بن فارس - معجم مقاييس اللغة .

٢ - الحديد : ٢٣ .

٣ - الأنعام : ٣٢ .

٤ - الكهف : ٤٦ .

٥ - الكهف : ٧ .

وكان الرسول ﷺ يدعو أصحابه إلى الزهد في الدنيا وترك مغرياتها فقال

ﷺ :

﴿ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ﴾^(١). وقال ﷺ : ﴿ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ﴾^(٢). وقال ﷺ : ﴿ ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس ﴾^(٣). ويؤكد ﷺ إن الزهد في الدنيا هو قصر الأمل فيقول : ﴿ ما أنا في هذه الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ﴾^(٤). وقال ﷺ : ﴿ حب الدنيا رأس كل خطيئة ﴾^(٥).

ألا ترى كيف أحب ما ابغضه الله وأية خطيئة اشد جرماً من هذا ، ومن زهده ﷺ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال كنت مع النبي ﷺ فجعل يدفع عنه شيئاً ويقول : ﴿ إليك عني إليك عني ﴾ ولم أر معه أحداً فقلت يا رسول الله أراك تدفع شيئاً ولا أرى معك أحداً فقال : ﴿ هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها فقلت لها أليك عني فتنحت وقالت أما والله لئن انفلت مني لا ينفلت مني من بعدك ﴾ .

وهكذا قال لها الإمام علي كرم الله وجهه عندما تمثلت له بصورة حسناء فنهرها وقال : « غُري غُري ، غُري غُري »^(٦). وقال كرم الله وجهه : « أزهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها »^(٧). والزهد يكون بترك الدنيا مع القدرة عليها وليس في إدبارها عن المرء فتكون في قلبه بعيدة عن متناول يده ويدعي الزهد إنما يجب أن تخرج من قلبه قبل كل شيء . والفقير لا يملك الدنيا بل يملك قوة الإرادة والكفاح فيها والسعي خلفها فأن ترك البحث عنها مع فقره عُدٌّ من الزاهدين كذلك . قال أبو عبد الله

١ - رواه السيوطي في الفتح الكبير ج ٢ .

٢ - رواه مسلم .

٣ - رواه ابن ماجه .

٤ - رواه الأربعة .

٥ - رواه السيوطي في الفتح الكبير .

٦ - السيد الشيخ محمد الكسنزان - جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر ص ٢٥ .

٧ - المصدر نفسه .

عليه السلام : « ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا بتحريم الحلال بل بالزهد أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله »^(١).

وقال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله : « حقيقة الزهد ترك الدنيا وترك الآخرة وترك الشهوات واللذات وترك الوجود وترك طلب الحالات والدرجات والمقامات والكرامات وترك كل شيء سوى رب البريات حتى لا يبقى إلا الخالق وَعَلَيْكَ إليه المنتهى وهو غاية الآمال واليه تصير الأمور »^(٢).

وقال رحمته الله : « من صح زهده في الخلق صحت رغبتهم فيه وانتفعوا بكلامه والنظر إليه إذا صح زهد القلب في الخلق وزهد السر في جميع ما سوى الله وَعَلَيْكَ القرب منه كان القرب في الدنيا خليله وفي الآخرة انيسه »^(٣).

وقال أيضاً : « ويحك القلب يزهد لا الجسد يا متزهد بالظاهر زهدك مردود عليك قد خبأت عما متك وقميصك ، ودفنت ذهبك في الأرض ، قطع الله وَعَلَيْكَ جلدك ورأسك إن لم تتب ، قد فتحت دكانك فيه النفاق ، ويلك المؤمن زهد في قلبه ، قُربُ ربه وَعَلَيْكَ في سره ، الدنيا والآخرة على بابه في خزانته لا في قلبه ، قلبه فارغ من مولاه ، فكيف يسع غيره وقد امتلأ به وبذكره وقربه ؟ قلبه فارغ منكسر لأجل مولاه وَعَلَيْكَ فلا جرم يكون عنده قال الله وَعَلَيْكَ في بعض كلامه : ﴿ أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي ﴾ ، انكسرت نفوسهم بترك الدنيا وانكسرت قلوبهم لأجل المولى وَعَلَيْكَ فلما تحقق لهم الانكسار جاء إليهم وجبر كسرهم جاء الطبيب فطبهم . هذا هو النعيم لا نعيم الدنيا والآخرة »^(٤).

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : « الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار وهو ترك كل شيء يشغلك عن الله وَعَلَيْكَ ، من تأسف على قوتها ولا إعجاب في

١ - المصدر نفسه .

٢ - السيد الشيخ محمد الكسنزان - جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر ص ٢٥ .

٣ - المصدر نفسه .

٤ - المصدر نفسه .

تركه ، ولا انتظار فرج منها ، ولا طلب مُجْدَةٍ عليه ، ولا غرض لها ، بل يرى فوتها راحة وكونها آفة ويكون أبداً هارباً من الآفة معتصماً بالراحة والجوع على الشبع وعافية الأجل على محنة العاجل ، والذكر على الغفلة وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة» (١).

وقال بعض أهل البيت : « لو كانت الدنيا باجمعها لقمة في فم طفل كيف حال من نبذ حدود الله وراء ظهره في طلبها والحرص عليها » (٢).

والزهد هو أعظم مقام عرف به أهل الطريقة حيث لم يقيموا للدنيا وزناً ولم يرفعوا بها رأساً إذ محبة الله ورسوله ﷺ لا تنال إلا بالزهد في الدنيا ، والمراد به هو انصراف الهمة إلى الله تعالى ، عن سهل بن سعد الساعدي إن رسول الله ﷺ قال : ﴿ لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء ﴾ (٣).

والزهد ثلاثة أنواع عند أهل الطريقة :

زهد العامة من الناس : وهو ترك الدنيا ما زاد عن حاجتهم لإدامة الحياة .
وزهد السالكين : يكون في ترك القليل طمعاً في الكثير فتركوا الدنيا لان متاعها في الآخرة قليل واقبلوا على الآخرة .

وزهد العارفين : الذين زهدوا في كل شيء سوى الله ، قال أبو يزيد البسطامي : (زهدت في الدنيا ثم زهدت في الآخرة ثم زهدت في كل ما سوى الله فناداني الحق ما تريد ؟ فقلت أريد أن لا أريد) ، فهذا هو التجرد من الإرادة في الحركات والسكنات وكل شيء فكان بالله ولله ومن الله .

« ويرجع سبب إلتجاء أهل الطريقة إلى الزهد في الدنيا إلى ثلاثة أسس :

١ - المصدر نفسه .

٢ - عادل خير الدين - العالم الفكري للإمام جعفر الصادق ص ١٩١ .

٣ - رواه الترمذي .

١ . إنهم علموا بأن الدنيا ظل زائل وخيال زائر والرحيل منها إلى دار البقاء إما إلى نعيم وإما إلى عذاب .

٢ . علموا إن وراء الدنيا داراً أعظم منها قدراً وأجلّ خطراً وهي دار البقاء قال تعالى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى ﴾^(١).

٣ . علموا إن زهدهم فيها لا يمنعهم شيئاً كتب لهم وإن حرصهم عليها لا يجلب لهم مالم يُقْضَ لهم منها فما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم »^(٢).

والزهد في الدنيا يقسم حسب ما تحويه من مغريات :

الزهد في الطعام : أعلى درجات الزهد في الطعام هي أن يكتفي السالك بما يدفع عنه الجوع ولا يتقيد بغداء أو عشاء ويقتصر على لقيمات يُقْمَن صلبه .
والدرجة الثانية : أن يتقيد الزاهد بالغداء والعشاء ولكن لا يدخر شيئاً .

والدرجة الثالثة : أن يتقيد الزاهد بالغداء والعشاء ويدخر قوت يوم واحد وإن زاد خرج عن حدود الزهد . وأما الأدم فأعلى درجات الزهد فيه الملح والخل ثم يأتي بعده الزيت والدرجة الثالثة هي اللحم في الأسبوع مرة وإن زاد خرج عن حدود الزهد .

ويصنف بعضهم زهداً في الملابس والمسكن وأثاث البيت : وهذا كله زهد في الدنيا وهو صفة من صفات أهل الطريقة العارفين بالله وهم زاهدون عمن سواه وهدفهم أن يشرق نور ربهم عليهم ويشع في قلوبهم .

١ - النساء : ٧٧ .

٢ - عبد القادر عيسى - حقائق عن التصوف ص ١٩٤ .

الرضا

هو سرور يدخل القلب فيشعر العبد بالراحة بفعل دخول ذلك السرور إلى قلبه ناشراً الهدوء في أعصابه مبرزاً البشاشة على قسماات وجهه .

ورضا المؤمن يكون عندما تسره المصيبة كما تسره النعمة ويصل الرضا بالمؤمن إلى حب كل شيء يرضي الله تعالى لأجل محبته سبحانه فيرى قدر الحياة خيراً ورحمة وينظر إليه بعين الرضا لعلمه وأيمانه إن وراء كل فعلاً من أفعال الجليل حكمة خفية قال تعالى : ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾^(١) . ولما رضي المؤمنون عن ربهم في بلائه لهم رضي عنهم لصبرهم ورضاهم فتحقق قوله تعالى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾^(٢) . فالرضا عنه ﷺ بتقبل القليل من خيره الكثير وبعدم الاعتراض على الحكم والقضاء ، فحقيقة المؤمن أن يكون راضياً ثابتاً على حالٍ واحدة لا يتغير مهما طرأت عليه من تحولات والمقصود حالته النفسية فان ابتلاه الله في بدنه لم يحب العافية حتى ينقله الله من حال إلى حال أخرى فيرضى بما رضي الله ويحب ما يحب وذلك هو حقيقة الإيمان . قال الرسول ﷺ : ﴿ ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ﴾^(٣) . فالرضا به وعنه أمر محمود مطلوب وأما الرضا منه فهو أمر لا يقول به إلا من جهل مقام ربه لان الله سبحانه واسع غير متناه فمن رضي منه بالقليل ما عرفه ، وقال الرسول ﷺ : ﴿ من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله ، وقال ﷺ : ﴿ ومن سخط فله السخط ﴾ .

فليس أمام المؤمن العابد الصابر غير الرضا بما قدر عليه وبذلك له رضا الله وليس الرضا في الصبر وتحمل البلاء فحسب إنما يكون الرضا في عدم الاعتراض

١ - النساء : ١٩ .

٢ - المائدة : ١١٩ .

٣ - رواه السيوطي في الفتوح الكبير .

على الحكم وان يكون العبد ساخطاً على نفسه لائماً لها ويراها مقصرةً مهما بلغت حداً في العبادة .

قال الإمام علي عليه السلام : (رأس إطاعة الله الصبر والرضا عنه فيما أحب العبد أو كره) ، فمن عرف الله حق معرفته وأحبه شديد حبه رضي بقضائه سواء كان مفرحاً أو محزوناً فلا رأى له فيما يجري .

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : صفة الرضا أن يرضي المحبوب والمكروه ، والرضا شعاع نور المعرفة . والراضي فإن عن جميع اختياره . والرضي حقيقة هو المرضي عنه ، والرضا اسم يجتمع فيه معاني العبودية . وتفسير الرضا سرور القلب ، سمعت إن محمداً الباقر عليه السلام يقول : تعلق القلب بالموجود شرك ، وبالمفقود كفر ، وهما خارجان من سنته ، وأعجب بمن يدعي العبودية لله كيف ينازعه في مقدوراته حاشا الراضين العارفين عن ذلك .

قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله : كل الدائرة على الرضا بالقضاء وترك الإرادة واستطراح القلب بين يدي مقلبه .

ما أقل التوحيد فيكم ما أقل الرضا عن الله تعالى فيكم ما أكثر شكركم بالأسباب والخلق . قد اتخذتم فلاناً وفلاناً أرباباً من دون الله وَعَلَيْكُمْ تَضِيفُونَ إِلَيْهِمُ الضر والنفع والعطاء والمنع . لا تفعلوا ارجعوا إلى ربكم وَعَلَيْكُمْ ، مالكم باب آخر كل الأبواب مغلقة إلا بابه ، كل واحد منكم ليتطهر وليضع جبهته على التراب ويتقرب ويعتذر ويعترف بذنوبه ويتعرض لنواله وليسأل حوائجه ويشكو إليه من جميع ما يضيق به صدره هو ربكم وَعَلَيْكُمْ لا رب لكم غيره ، ألحكم لا اله لكم غيره ، كل من تقدمكم عاملهم بالبأساء والضراء والشدة والرضا ليعرفوه ويشكروه ويصبروا معه ويتوبوا إليه ، العقوبات للعوام ، والكفارات للمؤمنين المتقين والدرجات للصالحين .

وقال ابن عجيبة : « الرضا تلقي المهالك بوجه ضاحك أو سرور يجده القلب عند حلول القضاء ، أو ترك الاختيار على الله فيما دبر وأمضى ، أو شرح الصدر ورفع الإنكار لما يرد من الواحد القهار »(١).

وقال ابن عطاء الله الاسكندري : « الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد وهو ترك السخط »(٢).

وقال الحارث المحاسبي : « الرضا سكون القلب تحت مجاري الأحكام »(٣).

وقال الشيخ الجنيد البغدادي رحمته الله : « الرضا ترك الاختيار »(٤).

وقال رويم رحمته الله : « الرضا استقبال الأحكام »(٥).

وقال أبو علي الدقاق : « ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء وإنما أن لا تعترض على الحكم والقضاء »(٦).

« والرضا هو محبة الله من غير طلب وصول بل حب في كل الأحوال بُعداً وقرباً ، رضا وسخط دون التفات إلى راحة المحب ولا رجعة عن المحبة لان الله سبحانه لم يقض شيئاً إلا في صالح وخير العبد وان المؤمن الذي عمر الأيمان قلبه وانتشر حب الله فيه وملك عليه عقله لا يحس بقضاء الله مهما كان نوعه .

فتساوت لديه الأفراح والأحزان واختلطت عنده المشاعر والأحاسيس فكونت شيئاً واحداً هو محبة الله والرضا عنه وهذه حال لا يفهمها إلا من وصل إليها .

والرضا أسمى مقاماً وارفح رتبة من الصبر إذ هو السلام الروحي الذي يصل بالعارف إلى حب كل شيء في الوجود يرضي الله تعالى حتى أقدار الحياة ومصائبها يراها خيراً ورحمة ويتأملها بعين الرضا فضلاً وبركة »(١).

١ - الشيخ ابن عجيبة - معراج التشوف إلى حقائق التصوف ص ٨ .

٢ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية ص ٨٩ .

٣ - المصدر نفسه ص ٨٩ .

٤ - المصدر نفسه ص ٨٩ .

٥ - المصدر نفسه ص ٨٩ .

٦ - عبد المنعم الحفني - معجم مصطلحات الصوفية .

واعلم إن الله تعالى لا يرضى عن عبده إلا إذا رضي العبد عن ربه في جميع أحكامه وأفعاله وعندها يكون الرضا متبادلاً كما أشار إلى ذلك الحق تعالى بقوله : **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ^(٢). ولقد أدرك السادة أهل الطريقة سر هذا الترابط بين الرضائين : « فقد كان سفيان الثوري يوماً عند رابعة العدوية فقال اللهم أرض عني فقالت أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راضٍ ؟ فقال استغفر الله » ^(٣).

ورضاء الله تعالى عن العبد هو أسمى منزلة وارتفاع رتبة وأعظم منحة قال تعالى : **﴿وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾** ^(٤).

وقال الإمام الطوسي عن الرضا : « إن العبد لما صدق في محبته وقعت بينه وبين الله تعالى المفاوضة والتسليم فزالت عن قلبه التهم وسكن إلى حسن اختيار من أحبه ونزل في حسن تدبيره وذاق طعم الوجود له فامتلاً قلبه فرحاً ونعيماً وسروراً فغلب ذلك الم المصائب والبلوى فيستخرج منه إذا نزل به كبيرة فتارةً يتنعم بعلمه إذا علم أنه يراه في البلوى ، وتارةً يعلم أنه ذكره فأثلاه ولم يغفل عنه على عظم قدره أن يولى من أمره ما فيه الصلاح فيراه تارةً يشكو إليه شكوى المحب إلى حبيبه ، وتارةً يئن إليه ، وتارةً يطمع أن يراه راضياً عنه » ^(٥).

ويقول الإمام الهروي : « الرضا على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : رضا العامة وهو الرضا بالله رباً وهذا قطب رحي الإسلام وهو

يظهر من الشرك الأكبر ولا يصبح إلا بثلاث شرائط :

أ . أن يكون الله **وَعَلَى** أحب الأشياء إلى العبد .

١ - عبد القادر عيسى - حقائق عن التصوف ص ٢٤٨ .

٢ - المائدة : ١١٩ .

٣ - الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٣٦ .

٤ - التوبة : ٧٢ .

٥ - محمد هشام - مدارج السالكين ص ٦٤٠ .

ب . إن الله سُبْحَانَهُ أولى الأشياء بالتعظيم عنده .

ج . إن الله سُبْحَانَهُ أحق الأشياء بالطاعة .

الدرجة الثانية : الرضا عن الله وبهذا الرضا قطعت آيات التنزيل وهو الرضا على كل ما قضى وقدر وهذا من أوائل مسالك أهل الخصوص ولا يصح إلا بثلاث شرائط :

أ . استواء الحالات عند العبد .

ب . سقوط الخصوصية مع الخلق .

ج . الخلاص من المسألة والإلحاح .

الدرجة الثالثة : الرضا برضا الله فلا يرى العبد لنفسه سخطاً ولا رضا فيبعثه على ترك التحكم وحسم الاختيار وإسقاط التميز ولو ادخل النار «(١)».

الشكر

الشكر هو الاعتراف بالنعمة والامتنان للمُنعم ، وهو فرح القلب بحصول النعمة مع صرف الجوارح في طاعة المنعم والاعتراف به ، والشكر خلوص القلب في محبة المنعم وجريان اللسان بذكره والثناء عليه ، أي رؤية المنعم لا رؤية النعمة ومحبتها .

وبالشكر يتنافى الوجود الإنساني ويتجلى الوجود الإلهي إذ إن الشاكر يرى أن شكره هذا من الله ونعمته هذه من الله وهو لله فيكون قد أدى لله حقه في الشكر وهو فرض من الله تعالى على العباد قال تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾^(٢) . وأقل درجات الشكر أن لا تستعين بنعمة الله على ارتكاب

١ - الشيخ نجم الدين أبي بكر - منازل السائرين ص ٨٢ .

٢ - البقرة : ١٥٢ .

معاصيه فلا تُسخر الأموال والقوة والذكاء في اتجاهات لا يرضاها الله ﷻ . ولسيد الشاكرين سيدنا مُحَمَّد ﷺ أحاديث كثيرة نورد منها :

قال ﷺ : ﴿ الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر ﴾ .

وقال ﷺ : ﴿ أول ما يدعى إلى الجنة الحامدون لله على كل حال ﴾ ،
وقيل ان داود عليه السلام قال الهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى إليه ﴿ الآن قد شكرني ﴾ .

وعن الإمام الحسين عليه السلام قال : من سجد سجدة ليشكر نعمة وهو متوضئ كتب الله له عشر حسنات ومحى عنه عشر خطيئات .
والنعمة من الله إذا لم تُشكر تتحول إلى نقمة على العبد وعكس ذلك إذا صبر العبد على البلاء فينقلب رحمة .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « إن الله أنعم على قوم بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً وابتلي قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة ، وقال أيضاً في كل نفسٍ من أنفاسك شكر لازم بك ، وأدنى الشكر رؤية النعمة من الله تعالى من غير علمه بتعلق القلب بها دون الله ﷻ والرضا بما أعطى ، وان لا تعصيه بنعمته وتخالفه بشيء من أمره ونهيه بسبب نعمته فكن لله عبداً شاكراً على كل حال ، ولو كان عند الله تعالى عبادةً تعبّد بها عباده المخلصون أفضل من الشكر على كل حال لأطلق نقطة فيهم من جميع الخلق بها فلما لم يكن أفضل منها خصها من بين العبادات وخص أربابها فقال : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ ^(١) . وتمام الشكر الاعتراف بلسان السر خالصاً لله ﷻ بالعجز عن بلوغ أدنى شكره لان التوفيق للشكر نعمة حادثة يجب الشكر عليها وهي أعظم منه إلى ما لانهاية له مستغرقاً في نعمه قاصراً عاجزاً عن إدراك غاية شكره فأني يلحق العبد شكر نعمة الله ومتى يلحق ضيق بضيق ، والعبد

ضعيف لا قوة له أبداً إلا بالله وَعَجَّلَ ، والله غني عن طاعة العبد فهو قوي على مُزيد
النعم على الأبد فكن لله عبداً شاكراً على هذا الوجه ترى العجب «(١)».

والحمد والشكر على النعمة هو نعمة من الله أفضل من النعمة المشكور
عليها ، قال الإمام الرضا عليه السلام من حمد الله على نعمة فقد شكره وكان الحمد
أفضل من تلك النعمة .

ولا يخفى أن نعم الله على العباد أعظم من أن تعد أو تحصى وهو القائل جل
وعلا في كتابه الكريم : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (٢) . فقد نفى عنها
الإحصاء والحصر ، فليس للمؤمن أن يشكر على نعمة واحدة وإنما عليه الشكر
الدائم لان النعم التي تفضل بها الله سُبْحَانَهُ عليه لا تحصى فكيف يشكرها واحدة
واحدة ؟

فعلى كل جارحةٍ ونعمة شكر واجب ، فشكر العين هو ستر ما تراه من
عيوب المسلمين ، وشكر الأذن هو ستر ما تسمعه من عيوب الناس ، وشكر
اللسان هو الاعتراف بالنعمة ، وشكر البدن هو الاتصاف بالوفاء والخدمة ، وشكر
القلب هو الانعكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة ، وهكذا فالشكر أمر
لا يتناهى طالما نعم الله لا تتناهى والتحير في الشكر هو غاية الشكر فليس للعبد
إذا أراد الشكر سوى الإقرار بالربوبية لله سُبْحَانَهُ .

وينقسم الشكر إلى ثلاثة أقسام تبعاً لتقسيم النعم فالنعم تقع في ثلاثة
مجالات :

- ١ - نعم دينية .
- ٢ - نعم دنيوية .
- ٣ - نعم أخروية .

١ - عادل خير الدين - العالم الفكري للإمام جعفر الصادق ص ١٤١ .

٢ - إبراهيم : ٣٤ .

فمن النعم الدينية : الهداية والتقوى والمعرفة بالله وحسن العبادة وقبول الجليل صالح الأعمال ويمكن جمع النعم الدينية في نعمة الإسلام وبُعث سيدنا مُحَمَّد ﷺ جميعاً ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١) . ثم أتم الجليل نعمته علينا فلم يزل ينير لنا الطريق لنهتدي بان جعل الولاية والعلم به في آل بيت الرسول ﷺ وجعلهم مشاعل خير تسير بالناس نحو النجاة والضياء وتخرجهم من الهاوية والظلام وهذا يتضح في إرشاد أهل الطريقة مشايخنا الكسنزان حيث يبذلون جهودهم وأموالهم في سبيل تربية المريدين وإحياء السنة المحمدية والدين الإسلامي .
وأما النعم الدنيوية : فتكون أجلها في الصحة والعافية والستر والمال الحلال والعزة .

وأما النعم الأخروية : فلا مجال لحصرها لأنها تبقى كثيرة كبيرة مهما حاولنا ذكرها .

فالشكر طاعة ومحبة والشكوى معصية وان جاز بعضهم الشكوى في البلوى فيجب أن تكون الشكوى لله وحده .
ويؤدي الشكر بطرق ثلاث :

١ . شكر اللسان : وهو التلفظ بكلمة الشكر (الحمد لله والشكر له) وكذلك من شكر اللسان ذكر نعمة الله أمام الناس شرط أن لا تحجب النعمة رؤية المنعم أي التكلم بالنعمة موضحاً أنها من الله ، قال الرسول ﷺ : ﴿ التحدث بنعمة الله تعالى شكر ﴾^(٢) .

٢ . شكر العمل : وهو أن يؤدي عملاً يرضي الله لأجل شكره على نعمة معينة كما يؤدي العبد صلاة خاصة لأجل الشكر وهو فرض قال تعالى :

١ - الأنبياء : ١٠٧ .

٢ - رواه الترمذي .

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾^(١). وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تتورم قدماه فقلت يا رسول الله لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: ﴿أفلا أكون عبداً شاكرًا﴾ ، فَشُكِرَ رسول الله كان بالصلاة على نعمة الغفران .

٣ . شكر الجنان : هو بأن يشهد العبد في داخله إن كل نعمة به أو بأحد غيره هي من الله ولا يدع رؤية هذه النعمة تنسيه الجليل المنعم عليه فيكون قلبه مملوءاً بالله حقاً وحقيقة ظاهراً وباطناً وبفعالية هذا الوجود الإلهي في القلب يتنافى الوجود الإنساني وبذا يتم الشكر .

والشكر واجب في السراء والضراء ومن شكر في المنع نال درجة أعلى في الشكر كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في الضراء : ﴿ الحمد لله على كل حال ﴾ ، وقيل : « الشاكر من يشكر على العطاء ، والشكور من يشكر على المنع »^(٢). وعندما يرى العبد نفسه عاجزاً عن الشكر حائراً في كيفيته يكون شكوراً .

١ - سبأ : ١٣ .

٢ - عبد المنعم الحفني - معجم مصطلحات الصوفية .

الباب الخامس

* الوسيلة والتوسل

- التوسل بالنبي الأكرم صلوات الله تعالى
- التوسل بالأنبياء وأهل البيت
- الشفاعة وسيلة
- الشفاعة في الأحاديث النبوية
- الرد على منكري التوسل
- الرد على منكري زيارة المقابر
- * التقبيل والتبرك بآثار الرسول صلوات الله تعالى

- دليله في السنة
- التبرك بآثار الرسول صلوات الله تعالى
- التبرك بأدوات الشيخ
- الطاعة
- ضرورة اتخاذ الشيخ الواحد

* تنبيه

- * آداب المُريد مع الشيخ
- * آداب المُريد مع المُريدين
- * وصاية هامة للمُريد

أيها المُرِيدُ ألبس ثوب التوبة قميصاً نقياً صافياً ،
فمن لم يكن متشريعاً متحققاً عفيفاً فإنه ليس من مُريدنا .

السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان (قدس الله سره)

الوسيلة والتوسل

معنى الوسيلة : جاء في لسان العرب الوسيلة : المنزلة عند الملك ، والوسيلة الدرجة والقربى وجمعها الوسائل قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾^(١).

وقال الجوهري في الصحاح : « الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير والجمع الوسائل »^(٢).

وجاء في تاج العروس الوسيلة والواسطة : المنزلة عند الملك والدرجة والقربى .
وقال ابن الأثير هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به ، والوسيلة هي الشفاعة يوم القيامة ، قال لييد :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي لب إلى واسل
والوسيلة مما تقدم هي الوساطة التي يمكن بها بلوغ الهدف أو الوصول إلى
المبتغى وهي واسطة يستطيع الإنسان بها الوصول إلى القرب أو إزالة كرب .

وقد ورد ذكر الوسيلة في القرآن الكريم في آيتين اثنتين :
قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾^(٤).

١ - الإسراء : ٥٧ .

٢ - إسماعيل بن حماد الجوهري - الصحاح مج ٥ ص ٨٤١ .

٣ - المائدة : ٣٥ .

٤ - الإسراء : ٥٧ .

التوسل بالنبي الأكرم صلى الله تعالى عليه وسلم

ثبت يقيناً جواز التوسل بالنبي ﷺ قبل أن يولد ويبعث وبعد ولادته وبعثته وفي حياته وبعد انتقاله إلى العالم الآخر وسوف نسوق بعض الأدلة على ذلك :

• أقر الله ﷻ استفتاح اليهود بالرسول ﷺ قبل أن يولد ولم ينكر ﷻ على اليهود ذلك وإنما ذمهم على الكفر والجحود بعد إذ تبين لهم بركة اسم النبي ﷺ الموصوف عندهم في التوراة فقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

جاء في التفاسير عن معنى الآية الكريمة إن اليهود من بني قريضة وبني النضير قبل بعث الرسول ﷺ كانوا يسألون الله به الفتح والنصر على المشركين فيقولون : اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة فيفتح لهم ، وجاء في تفسير النسفي : « كان اليهود يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم فيقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لأعدائهم المشركين قد أطل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلناه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم » (٢).

• واخرج البيهقي في دلائل النبوة والطبراني في المعجم الصغير والحاكم في المستدرک عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد ألا غفرت لي فقال الله تعالى : يا آدم كيف عرفت محمدًا ولم أخلقه ؟ قال يا رب انك لما خلقتني رفعت راسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً (لا اله إلا الله محمد رسول) فعلمت انك لم تضيف إلى

١ - البقرة : ٨٩ .

٢ - تفسير النسفي ج ١ ص ٦١ .

اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم أنه لأحب الخلق إليّ وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك ﴿١﴾.

• « واخرج الترمذي وابن ماجه في سننها والنسائي في عمل اليوم والليلة والطبراني والبيهقي عن عثمان بن حنيف إن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال ادع لي الله أن يعافيني فقال : ﴿ إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك ﴾ ، قال : فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : ﴿ اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى اللهم شفعه فيّ ﴾ ،

قال عثمان بن حنيف فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضرر قط «(٢). فالرسول الأعظم ﷺ يُعلم الناس التوسل به إلى الله لقضاء الحوائج وهو حديث صحيح لا خلاف بين المحدثين في صحته .

• « عن أبي الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت انظروا روضة النبي ﷺ فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل «(٣). وهذه القصة وقعت بعد قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استشفع بالعباس عند النبي ﷺ .

• روى القاضي عياض في الشفا بإسناده إلى ابن حميد قال ناظر أبو جعفر المنصور مالكا في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قوماً فقال : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ (٤). ومدح قوماً فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ

١ - موسى محمد علي - حقيقة التوسل والوسيلة ص ٤٩ - ٥٠ .

٢ - موسى محمد علي - حقيقة التوسل والوسيلة ص ٤٩ - ٥٠ .

٣ - المصدر نفسه ص ٣٥ .

٤ - الحجرات : ٢ .

رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ .
 وذم قوماً فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ .
 وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً فاستكان له أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله
 أستقبل القبلة أم استقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال : ولم تصدف عنه وجهك وهو
 وسيلتك ووسيلة أهلك آدم ﷺ إلى الله يوم القيامة ؟ بل أستقبله واستشفع به
 فيشفعك الله قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
 وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ ﴿٣﴾ .

• قال الحافظ أبو بكر ابن المقرئ في مسند اصبهان : « كنا أنا والطبراني وأبو
 أيوب الشيخ في مدينة النبي ﷺ فضاقت بنا الوقت فواصلنا ذلك اليوم فلما كان
 وقت العشاء أتيت إلى الروضة الشريفة وقلت يا رسول الله الجوع ، فقال لي
 الطبراني : أجلس فأما أن يكون الرزق أو الموت فقممت أنا وأبو أيوب الشيخ
 فحضر الباب علوي ففتحنا له فإذا معه غلامان بزييلين فيهما شيء كثير فقال :
 يا قوم شكوتم إلى النبي ﷺ فأني رأيته فأمرني بحمل شيء أليكم » ﴿٤﴾ .

التوسل بالأنبياء وأهل البيت والصحابه والصالحين

• جاء في صحيح البخاري عن انس إنهم أجدبوا زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 فخرج الناس إلى المصلى فقال عمر : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا فنتسقينا وإنا
 نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فسقوا . وهذه الحادثة رد على الذين أدعوا بأن
 توسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعم النبي ﷺ دليل على عدم جواز التوسل بالميت
 وهو خطأ أوقعوا أنفسهم به ذلك لان ترك الشيء لا يعني منعه ، فترك التوسل
 بالنبي ﷺ في تلك الحادثة لا يعني منع ذلك وإنما أراد عمر أن يفعل ذلك لبيان

١ - الحجرات : ٣ .

٢ - الحجرات : ٤ .

٣ - النساء : ٦٤ .

٤ - إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء ص ٤١ .

جواز التوسل بغير النبي ﷺ لذا قال الحافظ في الفتح عقب هذه القصة : « يستفاد من قصة العباس ؓ استحباب بالاستشفاع بأهل الصلاح والخير وأهل بيت النبوة » (١).

• وأخرج بن ماجه عن أبي سعيد الخدري ؓ قال ، قال رسول الله ﷺ :
﴿ من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشي هذا فأني لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، أقبل الله عليه بوجهه وأستغفر له سبعون ألف ملك ﴾ (٢).

وان الذي يهمنا في هذا الموضوع هو قوله ﷺ : ﴿ إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشي هذا ﴾ وهذا التوسل واضح للعبد بغير الأنبياء وإنما التوسل بكل السائلين على الله تعالى وبحق ممشى العبد السائل .

• « روى الطبراني عن عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ قال : ﴿ إذا احتاج أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني فان لله عبداً لا نراهم ﴾ ، وهذا الحديث النبوي الشريف دليل على إن لله رجال غيب وإنهم موجودون ولا شك أن أولياء الله وأصفياه قد كرمهم الله بالشفاعة بإذنه فالاستغاثة بهم أو الاستغاثة على أساس هذا المعنى لا غبار عليها » (٣).

• روى أبو يعلى عن طريقين عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش من جيوشهم فيقال هل فيكم من صحب محمداً ﷺ يستنصرون به فينتصرون ثم يقال هل فيكم من صحب محمداً فيقال فمن

١ - المصدر نفسه ص ٣٦ .

٢ - المصدر نفسه ص ٣١ .

٣ - إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء ص ٢٦ .

صحب أصحابه ؟ فلو سمعوا به من وراء البحر لأتوه ﴿^(١)﴾. قال الهيثمي رجال الطريقين رجال الصحيح ومعنى الحديث الشريف دليل على صحة التوصل بالصحابة والتابعين .

• روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد قال أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن الاستراباذي قال : « ما أهمني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام فتوسلت به إلا سهل الله لي ما أحب » (٢).

• « روي عن إبراهيم الحربي أحد أئمة الحديث انه قال سمعت أبي يقول : قبر معروف الترياق المجرب ، يعني الشيخ معروف الكرخي رضي الله عنه » (٣).

* « وروي عن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهدي قال سمعت أبي يقول قبر معروف الكرخي رضي الله عنه مجرب لقضاء الحوائج » (٤).

* وقال سيدنا الغوث عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه : « اطلبوا من معبودكم طبيباً يطب أمراض قلوبكم مداوياً يداويكم دليلاً يدلکم ويأخذ بأيديكم ، تقربوا إلى مقبريه ومفرديه وحجاب قبره وبوابي بابه » (٥).

« وقال رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ استعينوا على كل صنعة بصالحها أهلها ﴾ ، هذه العبادة صفة وصالحوا أهلها الصالحون في الأعمال والعاملون بالحكم العاملون به المودعون للخلق بعد معرفتهم به الهاربون من أنفسهم ومن أموالهم وأولادهم وجميع ما سوى ربهم وَعَلَيْكُمْ » (٦).

وقال رضي الله عنه : « فأن الدنيا في قلوبكم ، مكنوني منكم حتى أطهركم بشربات أسقيكم إياها ، أسقيكم الورع والزهد والتقوى والإيمان والإيقان والمعرفة ونسيان

١ - المصدر نفسه ص ٣١ .

٢ - المصدر نفسه ص ٣١ .

٣ - المصدر نفسه ص ٤٠ .

٤ - المصدر نفسه .

٥ - الناشر السيد الشيخ محمد الكسنزان - جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر ص ١٦ .

٦ - السيد الشيخ محمد الكسنزان - جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر .

الكل والفناء عن الكل فحينئذٍ يجيئكم الوجود بربكم وَجَلَّ والقرب منه والذكر له «(١)».

ويسوق موسى مُحمَّد علي خطبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقوله في حق العباس : (واتخذوه وسيلةً إلى الله) ، دليلاً على أن الصحابة لم ينكر أحدٌ منهم التوسل بالرسول صلوات الله عليه وآله وآل بيته ، ويقول : (معاذ الله أن يقول أحد من الصحابة أن صلوات الله وسلامه عليه لا يتوسل به بعد وفاته أو يقول ذلك فقيه من الفقهاء بدينه ، أو عالم متبحر في سنة نبيه ، بصير بأسرار الشريعة . لم يقل ذلك أحد من هذا . بل لم ينكر ذلك أحد من أهل الأديان . ولا سمع به في زمن من الأزمان ، حتى جاء المنكر فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الاغمار ، وابتداع مالم يسبق إليه في سائر الدهور والأيام ، ولهذا طعن في الحكاية التي تقدم ذكرها عن مالك فأن فيها قول مالك للمنصور (استشفع به) على الرغم من صحتها) .

ويقول موسى مُحمَّد علي : « فالتوسل بسيدنا رسول الله صلوات الله عليه وآله والتوسل بسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والاستغاثة بهم جميعاً على النحو الذي عليه الأمة من اعتقاد أنهم عباد مكرمون مقبولو الشفاعة ، عند الله تعالى بفضله ، هو مما أجمعت عليه الأمة . ودل عليه الكتاب . ونطقت به صحاح السنة وأقوال العلماء وسلف الأمة «(٢)».

١ - المصدر نفسه .

٢ - موسى مُحمَّد علي - حقيقة التوسل والوسيلة ص ٥٠ .

الشفاعة وسيلة

الرسول ﷺ وسيلتنا إلى الله تعالى لدخول الجنة والغفران قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (١).

• وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال : ﴿ أنا فاعل ﴾ فقلت أين أطلبك ؟ فقال : ﴿ على الصراط ﴾ (٢).

• وروى أبو بكر بن عبد الله المزني أنه ﷺ قال : ﴿ حياتي خير لكم فان مت كانت وفاي خير لكم تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم ﴾ (٣).

فالشفاعة متحققة لرسولنا الكريم ﷺ ولا خلاف في هذا ، وبواسطة شفاعته يدخل أكثر من نصف هذه الأمة في الجنة حيث حُيِّرَ ﷺ بين أن يدخل نصف أمته الجنة وبين الشفاعة فاختر الشفاعة لهم .

وقد وردت الشفاعة للآخرين كما في الآيات الآتية :

قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (٥). يقول النسفي في تفسير هذه الآية الكريمة ليس لأحد أن يشفع عنده إلا إذا أذن له في الكلام وهذا يعني إن الله جل وعلا وهو العلي القدير يأذن لبعض الخلق من أنبيائه وأوليائه

١ - النساء : ٦٤ .

٢ - سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٢ .

٣ - الجامع الصغير للسيوطي .

٤ - طه : ١٠٩ .

٥ - البقرة : ٢٥٥ .

بالشفاعة بأمره وإرادته فإذا كان الشهيد يشفع لسبعين من أهله بدخول الجنة فلا داعي لإثبات أن من كان بمنزلة تساوي منزلة الشهيد أو أعلى له حق الشفاعة كذلك .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

• وذكر موسى محمد علي إن الشفاعة العظمى لسيدنا محمد ﷺ يوم القيامة هي من الفضائل التي اختص بها وحده ﷺ واستغاثة الناس يوم القيامة بالنبي هي أعظم الاستغااثات لشدة كربهم وطول موقفهم وظهور فضله ﷺ على سائر الخلائق ، حيث يلتجئ الناس إلى سائر الأنبياء والمرسلين ليشفعوا لهم عند الله فلم يفعلوا وأحالوهم على سيد المرسلين ذي المقام الرفيع والقدر الجليل ﷺ .

وقسم الشفاعة للرسول ﷺ إلى خمسة أقسام :

أولها : مختصة بالنبي ﷺ وهي الإراحة من طول الوقوف وتعجيل الحساب وهي الشفاعة العظمى ولم ينكرها أحد .

الثانية : الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهي أيضاً لنبينا محمد

ﷺ .

الثالثة : الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ .

الرابعة : الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا ﷺ وسائر الأنبياء والملائكة وإخوانهم من المؤمنين ثم يخرج الله تعالى إلى كل من قال لا اله إلا الله ولا يبقى فيها إلا الكافرون .

الخامسة : في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها .

الشفاعة في الأحاديث النبوية الشريفة

- عن انس بن مالك قال رسول الله ﷺ :
- ﴿ أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يؤسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ﴾^(١).
- وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال : ﴿ إذا كنت يوم القيامة كنت أمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر ﴾^(٢).
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ﴿ أنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر ﴾^(٣).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : ﴿ لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله إلا الله خالصاً من قبل نفسه ﴾^(٤).
- وعن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ إذا كان يوم القيامة شُفعتُ فقلت يا رب ادخل الجنة من في قلبه خردلة فيدخلون ثم أقول ادخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء ﴾^(٥).
- وعن عمر بن الحصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :
- ﴿ يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة ﴾^(٦).
- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

١ - أخرجه الترمذي .

٢ - أخرجه الترمذي .

٣ - رواه الترمذي .

٤ - أخرجه البخاري .

٥ - رواه البخاري .

٦ - رواه البخاري .

﴿أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً﴾^(١).

ويرى موسى مُجَّد علي : « إن المقام المحمود للرسول ﷺ هو كون آدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة من أول عرصاتها إلى دخولهم الجنة وإخراج من يخرج من النار»^(٢).

فقد أصبح يقيناً إن شفاعة الرسول ﷺ هي الوسيلة العظمى لنيل الثواب والرضا أو النجاة من العذاب ، ولا ريب إن هذه الشفاعة متواصلة ومتوارثة في أهل بيته ومشايخ الطريقة السائرين على نهجه ﷺ .

الرد على منكري التوسل

« عمد البعض إلى تطبيق الآيات الكريمة التي نزلت بحق المشرقين على المؤمنين واستشهدوا بها من أجل دعم رأيهم بنفي الشفاعة والدعاء لغير الله تعالى ومنها قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾^(٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(٤).

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَاً مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٥).

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾^(٦).

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾^(٧).

١ - أخرجه مسلم .

٢ - موسى مُجَّد علي - حقيقة التوسل والوسيلة ص ٦٠٧ .

٣ - الجن : ١٨ .

٤ - الاحقاف : ٥ .

٥ - يونس : ١٠٦ .

٦ - الشعراء : ٢١٣ .

٧ - فاطر : ١٣ .

وقوله تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ (٢).

إلى غير ذلك من الآيات النازلة في المشركين :

فزعم هؤلاء إن كل من استغاث بالنبي ﷺ أو توسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء الصالحين أو ناداه أو سألته الشفاعة يكون معدوداً في عداد هؤلاء المشركين داخلاً في عموم هذه الآيات .

ولكي نرد هؤلاء نقول :

١ . إن المشركين جعلوا الأصنام آلهة والمسلمون ما اعتقدوا إلا إلهاً واحداً عندهم أن الأنبياء أنبياء والأولياء أولياء ليس إلا ، فلم يتخذوهم آلهة .
٢ . إن المشركين اعتقدوا أن تلك الآلهة مستحقون للعبادة بخلاف المسلمين فليس عندهم المستحق للعبادة إلا الله وحده ﷻ .

٣ . إن المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا ﴾ (٣).

والمسلمون ما عبدوا الأنبياء والصالحين ولكنهم جعلوهم وسيلتهم إلى الله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ (٤).

٤ . إن المشركين قصدوا بعبادة الأصنام التقرب إلى الله تعالى وهي أصنام جمادات لا تنفع ولا تضر وليس لها منزلة عند الله ولا قرينة منه لان المنزلة والقرينة

١ - الرعد : ١٤ .

٢ - الإسراء : ٥٦ .

٣ - الزمر : ٣ .

٤ - الإسراء : ٥٧ .

تتحقق بالطاعة والعبادة أما توسل المسلمين بالأنبياء والأولياء والمشايخ الكاملين لكونهم عباد الله الذين وصفهم الله ﷺ بقولهم : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾^(١). وإن قلوبهم عرش الرحمن كما وصفها الرسول ﷺ بقوله : ﴿ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ﴾ . أفلا يجوز أن يتقرب المسلم بعرش الرحمن إلى الرحمن ؟ فكيف يجوز إذن أن نجعل المؤمنين الموحدين قبل أولئك المشركين إذ لا شك أن المشركين إنما كفروا بسبب عبادتهم الأصنام وسجودهم لها واعتقادهم أنها آلهة تضر وتنفع لذلك احتج الله ﷻ على إبطال قولهم وضرب الأمثال للرد على معتقدهم في كثير من الآيات بأن الإله المستحق للعبادة يجب أن يكون قادراً على كشف الضر وإيصال النفع لمن عبده وبأن ما عبده من جملة المحدثات المنافية للربوبية «(٢).

أما ما جاء عن رسول الله ﷺ في ما يخص التوسل والدعاء فيمكن أن نستدل بالأحاديث الآتية :

كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ آمَنْتَ بِاللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ اللَّهُمَّ أُنِي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَبِحَقِّ مُمْشَايَ هَذَا فَانِي لَمْ أَخْرَجْ أَشْراً وَلَا رِيَاءً وَلَا سَمْعَةً خَرَجْتَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ وَاتَّقَاءَ سَخَطِكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تَعِيزَنِي مِنَ النَّارِ وَإِنْ تَدَخَّلَنِي الْجَنَّةَ ﴾ .

ومحل الاستدلال هنا قوله ﷺ بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فتوسل به وبغيره ﷺ وأمر أصحابه أن يقولوا ولم يزل السلف من التابعين وأتباعهم ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم إلى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد في الدعاء به .

١ - الحجر : ٤٢

٢ - موسى محمد علي - حقيقة التوسل والوسيلة ص ١٤٤ .

ومما جاء عنه ﷺ من التوسل والاستغاثة ما رواه الطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك ؓ (لما ماتت فاطمة بنت أسد ؓ وكانت ربت النبي ﷺ وهي أم علي بن أبي طالب ؓ ، دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها ، وقال : ﴿ رحمك الله يا أُمِّي بعد أُمِّي ﴾ ، وذكر ثنائه عليها وتكفينها ببرده وأمر بحفر قبرها . فلما بلغوا اللحد حفره ﷺ بيده ، وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل ﷺ فاضطجع فيه ثم قال : ﴿ الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأُمِّي فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها مدخلها بحق نبينا والأنبياء الذين من قبلي فأنتك ارحم الراحمين ﴾ .

الرد على منكري زيارة مرقد الأولياء والمشايخ الكاملين

أنكر البعض على المسلمين زيارة مقامات الأنبياء والمشايخ الكرام مستدلين بالحديث النبوي الذي يقول : ﴿ لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد ﴾ ، وهذا الحديث ينقضه حديث الرسول ﷺ : ﴿ كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ﴾ .

ولا يخفى على كل ذي بصيرة من الأمر أن زائر القبور يقصد بزيارتها التوسل والاستشفاع إلى الله تعالى بأصحابها والتبرك بهم كما في زيارة مقامات الأنبياء والمشايخ الكرام ، وأما في زيارة قبور سائر المسلمين فهي للأجر بقراءة الفاتحة والدعاء لهم بالمغفرة ، ويدل على جواز شد الرحال لزيارة مقامات الأنبياء والمشايخ ما قاله عمر بن الخطاب ؓ بعد فتح الشام لكعب الأحبار يا كعب ألا تريد أن تأتي معنا إلى المدينة فنزور رسول الله ﷺ ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين أنا افعل ذلك ، وكذلك يدل عليه مجيء بلال ؓ من الشام إلى المدينة لزيارة مقام الرسول ﷺ .

وعن الحسن البصري قال : وقف حاتم الأصم على مقام رسول الله ﷺ فقال
يا رب إنا زرنا قبر نبيك ﷺ فلا تردنا خائبين فنودي يا هذا ما أذنّا لك في زيارة
قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفوراً لكم .
وقال ابن أبي فديك : سمعت بعض من أدركت من العلماء يقول : بلغنا إن
من وقف عند مقام النبي ﷺ فقال هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾^(١) . وقال صلى الله عليه
يا رسول الله حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك . صلى الله عليه يا فلان ولم تسقط
له حاجة .

ومن القائلين بالجواز الإمام النووي والقسطلاني وكذلك فان شد الرحال إلى
عرفة لقضاء النسك واجب بالإجماع وكذا الرحال للجهاد والهجرة من دار الكفر
وشد الرحال لطلب العلم كلها جائزة كما تم بالإجماع على جواز شد الرحال
للتجارة وحوائج الدنيا فمن باب أولى جواز شد الرحال لحوائج الآخرة وهي زيارة
المقامات الشريفة .

« والواقع انه لو كان الحكم في السفر لزيارة مقام النبي ﷺ التحريم لامتنع
الناس لذلك من زيارته ﷺ ولصارت المدينة التي نورت بوجوده فيها من أهمل المدن
وكادت أن تكون خراباً فأُنِ عمارتها إنما هي لوجود مقامه الشريف فيها وزيارة
المؤمنين لها وانتياهم إياها . وترددهم إليها ومجاورتهم فيها بسبب وجود مقامه
الشريف فيها لأنه ﷺ وسيلتهم إلى الله في سعادتهم حيث ثبت عندهم ثبوتاً
واضحاً أنه ﷺ اقرب الوسائل وأجلها وانجحها إلى الله تعالى »^(٢) . فزيارة مقام
الرسول ﷺ كزيارته في حياته عملاً بالآية الكريمة الآتية : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا

١ - الاحزاب : ٥٦ .

٢ - موسى مُجَدِّ علي - حقيقة التوسل والوسيلة ص ١٨٠ .

أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١﴾.

وفي القياس جاء في السُّنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور عامةً فمقام نبينا مُحَمَّدٍ ﷺ أولى منها واحرق وأحق وأعلى بالزيارة لأن زيارة مقامه الشريف ليست إلا لتعظيمه والتبرك به .

وتم إجماع أئمة المسلمين على أن زيارة مقامه الشريف واجبة أو مندوبة وقال الحنفية إنها تقرب من درجة الواجبات وقال أئمة المالكية إنها واجبة .

فزيارة مقامات الأنبياء والمشايخ الكرام المقصود فيها التعظيم والتبرك والتشفع بهم واجبة لأن الله ﷻ أمر بالوصل ونهى عن القطيعة وهم أحياء في مقاماتهم لذا وصلهم وتعظيمهم والدعاء عندهم والتشفع بهم معمول به عند العلماء المحققين أئمة الدين وبركتهم جارية مستمرة في حياتهم وبعد انتقالهم .

التقبيل والتبرك بآثار الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم

وردت في السُّنة أحاديث كثيرة تجيز تقبيل اليد والتبرك بآثار الرسول ﷺ نختار منها موضع الحاجة :-

• « عن صفوان بن عسك قال يهودي لصاحبه قم بنا إلى هذا النبي فأتيا رسول الله ﷺ فسألا عن تسع آيات بينات فلما أجابهم عنها قَبَّلَا يده ورجله وقالوا نشهد انك نبي الله » (١).

• وروى أبو داود عن أم إبان بنت الوازع بن زارع عن جدّها زارع وكان في وفد عبد القيس فقال : (فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ورجله ﷺ) .

• « وفي شرح البخاري لحافظ بن حجر العسقلاني أن لبابه وكعب بن مالك وصاحبيه قبلوا يد النبي ﷺ حين تاب الله عليهم » (٢).

• واخرج الإمام أحمد في ثلاثياته : حدثنا بن عيينه عن علي بن زيد بن جدعان قال : قال ثابت البناني لأنس بن مالك رضي الله عنه : يا أنس مَسَسْتَ رسول الله ﷺ بيدك ؟ قال أنس : نعم مسسته بيدي فقال ثابت أرني أقبلها .

• ونقل عن موسى مُجَدَّ علي في كتاب (حقيقة التوسل والوسيلة) قول العلامة بن مفلح « تباح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تديناً وإكراماً واحتراماً ، وظاهره عدم الإباحة لأمر الدنيا » (٣).

ويظهر مما سبق أن التقبيل محبة في الدين لأيدي الصالحين ورؤوسهم وأرجلهم جائز ، أما إذا كان لأُمور دنيوية ورهبةً من المُقْبَل فهو غير جائز .

١ - رواه الإمام احمد والترمذي .

٢ - شرح البخاري ج ١١ ص ٤٨ .

٣ - موسى مُجَدَّ علي - حقيقة التوسل والوسيلة ص ٣٥٢ .

• وذكر تميم بن سلمة التابعي إن القبلية سنة من سنن رسول الله ﷺ وكان الصحابة رضي الله عنهم يقبلون يد النبي ﷺ وأجاز العلماء ذلك - أي تقبيل أيدي الصالحين إن كان على وجه التدين .

أذن تقبيل الشخص لتعظيمه لا يجوز إلا للذين لهم شرف ديني كالسادة العلويين تعظيماً لجانب الرسول محمد ﷺ وما عدا ذلك فلم يرد في الشرع جوازه . ولما كان التقبيل سنة من سنن الرسول ﷺ وقد أجازها للصحابة فقد وجب أتباعه عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(١).

ونقل موسى محمد علي عن الطبراني عن أبي رجاء العطاردي قال : دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلاً يقبل رأس رجل وهو يقول : أنا فداؤك لو لا أنت لهلكنا فقلت من المقبل ومن المقبل ؟ قالوا إن ذلك عمر يقبل رأس أبي بكر حيث قاتل أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين .

ونقل موسى محمد علي في كتاب حقيقة التوسل والوسيلة عن الحافظ بن الجوزي : « ينبغي للطالب أن يبالغ في التواضع للعالم ويذل له ومن التواضع تقبيل يده فقد قبل سفيان بن عيينه والفضيل بن عياض أحدهما يد الحسين بن علي الجعفي والآخر رجله »^(٢).

وأضاف صاحب التوسل والوسيلة أقوال الأئمة الأربعة في حكم التقبيل وكما يلي : الحنفية : (ولا بأس بتقبيل يد الرجل العالم والمتورع على سبيل التبرك) . المالكية : (قال الإمام مالك رضي الله عنه إذا كانت قبلة يد الرجل على وجه التكبر والتعظيم فمكروهة وإن كانت على وجه القربى إلى الله لدينه أو لعمله أو لشرفه فأن ذلك جائز) .

١ - الحشر : ٧ .

٢ - موسى محمد علي - حقيقة التوسل والوسيلة ص ٣٦٣ .

الشافعية : قال الإمام النووي رحمته الله : (تقبيل يد الرجل لزهده وصلاحه وعلمه أو شرفه أو نحو ذلك من الأمور الدينية لا يكره بل يستحب فأن كان لغناه أو شوكته أو جاهه عند أهل الدنيا فمكروه شديد الكراهية) .

الحنابلة : قال الإمام أحمد بن حنبل عندما سأل عن قبلة اليد : (إن كان طريق التدين فلا بأس ، قَبَّلَ أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وإن كان على طريق الدنيا فلا) .

وفي السنة النبوية رُخصة وجواز القيام لذوي الفضل فقد قام النبي صلوات الله عليه لما قدم جعفر من الحبشة وقال : ﴿ ما أدري بأيهما أنا أسر بقدم جعفر أو بفتح خير ﴾ .

واخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (كان النبي صلوات الله عليه يحدثنا فإذا قام قمنا إليه حتى نراه قد دخل) .

التبرك بآثار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم

إن دراسة عميقة لسلوك الصحابة الكرام وتعاملهم مع الرسول صلوات الله عليه توضح لنا مدى عمق عقيدتهم الصادقة وتعلقهم الشديد بالرسول صلوات الله عليه فقد كانوا يتركون بحضرتهم ويهتمون اهتماماً بالغاً بجمع آثاره صلوات الله عليه ولقد ثبت أنهم تبركوا بشعراته وبفضل وضوئه وبعرقه الشريف وبشبابه الطاهرة وآنيته وبمس جسده الشريف .

• فقد أخرج البخاري عن أبي جحيفة قال : (خرج علينا رسول صلوات الله عليه بالهاجرة فأتي بوضوء فتوضأ فجعل الناس يأخذون من فضل ماء وضوئه فيتمسحون به)
• وروى البخاري بسنده عن جابر قال : (جاء رسول الله صلوات الله عليه يعودني وأنا مريض لا اعقل فتوضأ علي من وضوئه فَعَلَقْتُ ، فقلت يا رسول الله لمن الميراث ؟ قال : ﴿ إنما يرثني كلاله ﴾ ، فنزلت آية الفرائض) .

• وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : دعا النبي صلوات الله عليه بقدر فيه ماء فغسل يديه ووجهه ومج فيه ثم قال : ﴿ اشربا منه وافرغا على وجوهكما ونحوركما ﴾ .

• وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال : (ذهبت بي خالتي إلى الرسول صلوات الله عليه فقالت يا رسول الله إن ابن أختي وجع فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه) .

• وروى الترمذي بسنده عن كبشة رضي الله عنه قال : (دخل عليَّ رسول الله صلوات الله عليه فشرب من قربة معلقة قائمة فقمتم إلى فيها فقطعته) .

• واخرج الإمام أحمد في مسنده بسنده عن أنس رضي الله عنه : (إن رسول الله صلوات الله عليه كان يدخل على بيت أم سليم فينام على فراشها وليس فيه فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأنت فقل لها هذا النبي صلوات الله عليه نائم في بيتك على فراشك ، فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعه أديم على الفراش ففتحت عتيدها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ، ففرع النبي صلوات الله عليه فقال : ﴿ ما تصنعين يا أم سليم ؟ ﴾ قالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا ، فقال ﴿ أصبت ﴾ .

• وذكر القاضي عياض أن مالكا بن سنان رضي الله عنه مص دم النبي صلوات الله عليه يوم أحد فقال صلوات الله عليه : ﴿ لن تصيبه النار ﴾ .

• وعن عون عن أبيه أبي جحيفة قال في آخر حديث طويل : « وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم - يعني الرسول صلوات الله عليه - قال : فأخذت بيده ووضعتها على وجهي فإذا هي ابرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك » (١).

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله صلوات الله عليه إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال : ﴿ أذهب البأس رب الناس ، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما ﴾ (٢) .

١ - رواه البخاري ج ٢ ص ١٦٥ .

٢ - رواه مسلم

- وعن يزيد بن أبي عبيد قال : « رأيت أثر ندبة في ساق سلمة بن الكوع فقلت يا أبا مسلم ما هذه الضربة قال : هذه ضربة أصابني يوم خيبر فأتيت النبي ﷺ فنفت فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها لحد الآن » (١).
- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاق به أصحابه فيما يريدون أن تقع إلا في يد رجل » (٢).
- عن مالك بن إسماعيل قال حدثنا إسرائيل بن عاصم عن ابن سيرين قال : « قلت لعبيدة عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أهل أنس بن مالك رضي الله عنه فقال عبيدة لان تكون عندي شعرة منه أحب ألي من الدنيا وما فيها » (٣).
- « وعن عائشة بنت سعد عن سعد رضي الله عنه تشكيت بمكة شكى شديداً فجاءني النبي ﷺ بيد على وجهي وبطني ثم قال : ﴿ اللهم اشف سعداً واقم له هجرته ﴾ فما زلت أجد برده على كبدي فيما يخال ألي حتى الساعة » (٤).
- وفي صحيح مسلم وشمائل الترمذي انه عليه السلام كان إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بأنيتهم فيها الماء فما يأتونه بإناء إلا غمس يده الشريفة فيه وربما كان ذلك في الغداة الباردة فيغمس يده في الماء ولا يردهم خائبين .
- وفي الجمع بين الصحيحين عن عبد الله بن موهب قال : (أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ بقدر من ماء فجاءت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر النبي ﷺ فكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء آخر بعث بإناء إليها فحضضت له فشرب منه) .
- يتبين من كل ذلك إن الصحابة كانوا متسابقين في تبركهم بآثار الرسول ﷺ وأدواته ولم ينه عليه السلام عن ذلك لذا اجمع الصحابة

١ - رواه البخاري ج ٥ ص ٧٥ .

٢ - رواه مسلم .

٣ - رواه البخاري ج ١ ص ٥٠ .

٤ - رواه مسلم .

على أن التبرك بآثار النبي ﷺ من السنن المتبعة لرسول الله ﷺ وأنها من تقوى القلوب .

التبرك بأدوات الشيخ

أصل التبرك بآثار الصالحين يرجع إلى عهد الأنبياء السابقين فقد ظهرت البركة وعم النفع على النبي يعقوب عليه السلام مسح وجهه بقميص يوسف عليه السلام الذي أرسله إليه : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ ^(١) . وكذلك بتبرك الصالحين بآثار الرسول ﷺ فكانوا يتبركون بشعره وماء وضوءه وملابسه ولم ينكر عليهم ذلك ﷺ كما أن السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ قبلت تراب ضريح الرسول ﷺ عند زيارتها له وكذلك مرغ بلال رضي الله عنه حديه على أعتاب حجرة النبي ﷺ وكان عبد الله بن عمر يلمس منبر النبي ﷺ ويتبرك به .

وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه قد فقد قلنسوته في إحدى المعارك فقاتل أشد القتال حتى استعاده ثم سُئل فقال إنها تحوي شعرتين من شعر رسول الله ﷺ وبهما كنت أتبرك وانتصر .

ومن ثم التبرك بآثار الأولياء الصالحين وآل بيت النبي عليهم السلام من بعده صار أمراً شائعاً ومشروعاً لإقرار الرسول ﷺ له ، وقد ذكر الخطيب في تاريخه إن الإمام الشافعي كان يتبرك بزيارة قبر أبي حنيفة مدة إقامته بالعراق .

• وروى الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي أصيب بدمل أعجزه علاجه فمسح به قبر الإمام أحمد بن حنبل تبركاً فبرئ ، وقال الحافظ العراقي رويناه إن الإمام أحمد بن حنبل تبرك بالشرب من ماء غسل فيه قميص الإمام الشافعي .

وبذلك جاز شرعاً التبرك بآثار المشايخ الكرام وأولياء الله كما يجوز التوسل إلى الله بمقاماتهم عنده ﷻ . وللمريد أن يتبرك بآثار شيخه وليس هناك فرق بكثرة

المأخوذ أو قلته فالبركة واحدة موجودة في أدق جزئيات الأثر وكل شيء أو مكان
يحل فيه الشيخ ^{رحمته} تحل فيه البركة وتدوم .

الطاعة

الصحة لها أثر عميق في أخلاق وشخصية المرء وكل امرئ يكتسب صفات صاحبه بالتأثير الروحي والإقتداء العملي ، والإنسان بطبيعته اجتماعي يميل إلى الاختلاط ولا بد له من صحبة يميل إليهم ويثبهم آلامه وشكواه ويشركهم في أفراحه ، فأن أختار أصحابه من أهل الفساد والشر والفسوق والمجون انحدرت أخلاقه وانحطت صفاته ، وإذا اختاره من أهل الإيمان والتقوى والمعرفة بالله فإنه يكتسب من صاحبه هذا الخلق القويم والصفات العالية والمعارف الإلهية ، فالمرید الذي اختار صحبة الشيخ الوارث الروحي المحمدي عليه بطاعته لان إطاعته إطاعة لله ولرسوله ﷺ . إن شيخاً تخلق بأخلاقه ﷺ وتولاه الله تعالى برعايته وأخلصه لحضرته بالتقوى والإخلاص والإرشاد لأجل نشر كلمة الله ﷻ في كل مكان كان مُحْتَمّاً ولزماً وواجباً على كل من سلك درب الحق والحقيقة ودرب الوصول إلى الله تعالى أن يطيعه ويلتزم بأوامره وإرشاداته ونصائحه ولا يخرج عن طوعه وذلك لان الله تبارك وتعالى قد خصه بحكمته وجعله موضع سره وأمانته في الأرض .

إن إتباعه والسير على نهج طريقه هو اقرب طريق للوصول إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسوله المبعوث رحمة للعالمين وان تحقيق هذا لا يتم للسالك إلا بمحبته الخالصة لشيخه (أي شيخ الطريقة) والتفاني فيه لقوله تعالى : ﴿ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(١) . وتبعاً لقوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(٢) .

ومن علامات الشيخ الكامل الذي نحن بصدد (الوارث الروحي المحمدي) هو تنوير السبل الصحيحة للسالكين وتنوير قلوبهم للوصول إلى الحقيقة التي يجاهد في سبيل الوصول إليها والأخذ بأيديهم نحو سبيل الخير والنجاة في الدنيا والآخرة

١ - آل عمران : ٣١ .

٢ - النساء : ٥٩ .

وتحقيق أمورهم الحياتية والأخروية وعلى هدى القرآن الكريم ونهج الرسول الأعظم ﷺ سيد المرسلين .

ومن منطلق ما قلناه يستوجب على السالك تنفيذ الأمور الآتية :

١ . أن تكون إطاعة الشيخ عند فوق كل الطاعات ويتمسك به تمسكه بكتاب الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ .

٢ . لا يجوز في أي حالٍ من الأحوال تفسير كلام الشيخ على حسب أهوائه ورغباته بل تفسيره على حقيقة ما أخذه وسمعه من شيخه دون أن يغير أي حرف أو كلمة منه .

٣ . الخروج عن طاعة الشيخ يُعدّ خيانةً تؤدي إلى انقطاع القوة الروحية عنه فيكون خارج تلك الطريقة مطروداً منها ﴿ من غشنا فليس منا ﴾ .

٤ . إن كل من كُلفَ بواجب الإرشاد أو أية مهمة أخرى من واجبات الطريقة فعليه القيام بها بأكمل وجه مطلوب فإذا انحرف قيد شعرة أو خطر في نفسه مخالفة هذا الأمر أو أراد لمصلحته الذاتية وغير ذلك سيصبح ذلك المرید بعمله هذا جزءاً غريباً عن الطريقة أي انه كالعَضْو الذي أصابه مَرَضُ عُضَالٍ فَأَسْتَأْصِلَ .

ضرورة الشيخ الواحد

إن اتخاذ الشيخ واجب لا يستغني عنه المرید فان اتخاذ الشيخ الواحد ضرورة لازمة للمرید فتعدد الشيوخ لا نفع فيه لأن المرء ما خلق له من قلبين في جوف واحد وقد جرى على ذلك جميع من سلكوا هذا الطريق وأكدوه في أقوالهم وأفعالهم .

فقد قال الإمام الشعرائي : ومن شأن المرید أن لا يكون له إلا شيخ واحد فلا يجعل له قط شيخين .

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي : اعلم إنه لا يجوز لمريد أن يتخذ له إلا شيخاً واحداً لأن ذلك أعون له في الطريق وما رأينا مُريداً قط أفلح على يد شيخين .

وقال أبو يزيد البسطامي : من لم يكن له أستاذ واحد فهو مشترك والمشارك شيخه الشيطان .

تبيه

دأب بعض المريدين على القيام ببعض الأعمال التي ليست لها أية علاقة بطريقتنا ولا تمت إليها بأية صلة وهي في أساسها كذب وباطل وخداع وإضاعة للوقت وانحراف عن حقيقة الطريقة من ذلك ادعاء البعض المعرفة بتفسير الرؤيا والإطلاع على الأمور الغيبية وكتابة الأدعية مما يخالف قواعد وأصول الطريقة ويخالف كذلك منطق العقل مستغلين بذلك الناس البسطاء لسلب أموالهم والتحايل عليهم والادعاء بأنهم يتصلون بعالم الغيب والأرواح وقادرون على جلب السعادة وتسهيل الأمور وحل المشاكل .

ألا فليعلم أمثال هؤلاء الضالين والخارجين عن جادة الصواب إن ما يقترفونه لا يرضي الله ورسوله والمشايخ الكرام وأنهم ممن غضب الله عليهم وخسروا الدنيا والآخرة وكذا فليعلم المترددون عليهم والمصدقون لهم بأن هؤلاء قد خرجوا عن مسار الطريقة القويم وإنشاء الله ورسوله ومشايخ الطريقة بُراء من أفعالهم ، وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا كما لا يجوز نهائياً لأي مُريد من مُريدي الطريقة اصطحاب الأطفال والأحداث إلى التكايا أو السفر بهم هنا وهناك وبدون رضا وموافقة أولياء أمورهم لأن هؤلاء الأحداث أو الصغار تبدأ تربيتهم في البيت وبحاجة إلى إعداد تربوي تدريجي وعناية خاصة إلى حين البلوغ ثم يكونوا بعد ذلك مؤهلين لحمل المسؤولية .

آداب المرید مع الشيخ

قال سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله في آداب المرید :

« يا غلام : إذا دخلت عندي فاطوِ عملك ورؤية نفسك . أدخل بلا شيء مفلساً . إذا كنت ترى عملك ونفسك ، عجبت من هذا الذي أشير إليه ، وتبغضني لأني أقول الحق وأخالفك ، ما يبغضني إلا عدو الله وَعَجَّلَكَ ، وما يجهلني إلا جاهل بالله وَعَجَّلَكَ ، كثير القول قليل العمل ، وما يحبني إلا عالم بالله وَعَجَّلَكَ ، كثير العمل قليل القول ، المخلص يحبني والمنافق يبغضني ، السني يحبني والبديعي يبغضني ، إن أحببتي فنفعت ذلك عائد إليك وأن أبغضتني فضرر ذلك عائد عليك ، وما أنا واقف مع مدح الخلق وذمهم .

من أراد الصلاح فليصر أرضاً تحت أقدام الشيوخ ، ما صفة هؤلاء الشيوخ التاركين للعالم والخلق ، المودعين لها من تحت العرش إلى تحت الثرى ، السموات وما فيهن ، والأرضين وما فيهن ، الذين تركوا الأشياء وودعوها وداع من لا يعود إليها قط ، ودعوا الخلق كلهم ونفوسهم من جملتهم ، لوجودهم مع ربهم وَعَجَّلَكَ في جميع أحوالهم ، كل من يطلب ضحبة إلى الحق وَعَجَّلَكَ ومع وجود نفسه فهو في هوس وهذيان ، من صح زهده وتوحيده لا يرى للخلق وجودهم ، لا يرى مُعْطِياً سوى الحق وَعَجَّلَكَ ، لا يرى متفضلاً سواه ، ما أحوجكم يا أهل الدنيا كلكم إلى سماع هذا الكلام ، ما أحوجكم يا زهاد الجهل إلى سماع هذا الكلام ، الأكثر من المتزهدين المتعبدين عبيد الخلق مشركون .

يا صاحبي الصوامع والزوايا ، تعالوا اقرؤوا من كلامي ولو حرفاً واحداً ، اصحبوني يوماً أو أسبوعاً لعلكم تتعلمون شيئاً ينفعكم . ويحكم ، الأكثر منكم في هوس ، تعبدون الخلق في صوامعكم ، هذا الأمر لا يجيء بمجرد القعود في الخلوات مع الجهل . ويلك ، امش في طلب العلم والعلماء بالله وَعَجَّلَكَ حتى لا يبقى مشي ،

امشِ حتى لا يطاوعك شيء ، فإذا عجزت فاقعد بظاهرك ثم بباطنك ثم بقلبك
ومعناك ، فإذا أعييت ظاهراً وباطناً وقعدت ، جاءك القرب من الله ﷻ والوصول
إليه .

إذا كنت تجيء إلى عندي بقولي ، تُضيّق على الحاضرين . ما تزال قاعداً في
دكانك متقلّباً في خراب بيتك ، فإذا جئت ألي فرجةً ، مهما تجيء تسمع كأنك ما
سمعت ، يا صاحب المال ، إنس مالك وتعال بين الفقراء وذلّ الله ﷻ ولهم .
دع عنك رياستك وتعال اقعد هاهنا كواحدٍ من الجماعة حتى ينزرع كلامي في
أرض قلبك ، لو كان لك عقل لقعدت في صحبتي ، وقنعت مني كل يوم بلقمة ،
وصبرت على خشونة كلامي . كل من كان له إيمان ثبت ونبت ، ومن ليس له
إيمان هرب مني . ويلك ، يا من يدعي الإطلاع على حال غيره . فكيف يُصدّقك
وأنت ما اطلعت على حال نفسك ؟ ذلك كذب فُتب من كذبك . اللهم ارزقنا
الصدق في جميع الحالات وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب
النار .

ويحك يا مشركاً بالخلق ، كم تدق أبواباً ليس من ورائها ديار ، وكم تدق على
حديد بلا نار ، لا عقل لك ، لا تفكير لك ، لا تدبير لك . ويلك ، أدن مني
وكُل من طعامي لقمة ، لو ذقت طعامي لزهدت في طعام غيري ، لو ذقت طعام
الخالق ﷻ لزهدت بقلبك وسرك في طعام الخلق . هذا شيء يكون في القلب من وراء
الثياب واللحوم والجلود ، لا يصلح هذا القلب وقد بقي فيه ديار من الخلق ، ولا
يصلح الإيقان وفي القلب من حب الدنيا ذرة ، إذا صار الإيمان يقيناً ، واليقين
معرفةً ، والمعرفة علماً ، فحينئذٍ تصير جهداً لله ﷻ ، تأخذ من يد الأغنياء وتُعبد
إلى الفقراء ، تصير صاحب المطبخ تجري الأرزاق على يد قلبك وسرك . لا كرامة
لك يا منافق حتى تكون كذلك . ويلك ما تهذبت على يد شيخ متورع زاهدٍ ، عالم

بحكم الله ﷻ وعلمه . ويلك ، تريد شيء بلا شيء ، ما يقع بيدك إذا كانت الدنيا لا تُحصَل إلا بالتعب ، فكيف ما عند الله ﷻ ؟ «(١).

وقال الغزالي في إحياء علوم الدين : أدب المرید مع الشيخ عند الصوفية من مهام الآداب : وللقوم في ذلك إقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه وقد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

روي عن عبد الله بن الزبير قال : قدم وفد على رسول الله ﷺ من بني تميم فقال أبو بكر : أمر القعقاع بن معبد وقال : بل أمر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي ؟ وقال عمر : ما أردت خلافتك ، فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ، قال ابن عباس رضي الله عنهما (لا تقدموا) أي لا تتكلموا بين يدي كلامه . وقال جابر : كان ناس يضحون قبل رسول الله ﷺ فنهوا عن تقديم الأضحية على رسول الله ﷺ . وقيل كان قومهم يقولون : لو انزل في كذا وكذا فكره الله ذلك . وقالت عائشة رضي الله عنها : أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم . وقال الكلبي : لا تسبقوا رسول الله ﷺ بقول ولا فعل حتى يكون هو الذي يأمركم به . وروى أبو الدرداء قال : كنت امشي أمام أبي بكر فقال رسول الله ﷺ : ﴿ تمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة ﴾ وقيل : نزلت في أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ ، فإذا سئل الرسول ﷺ عن شيء خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك (٣).

١ - الناشر الشيخ محمد الكسنان - جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر ص ٨ .

٢ - الحجرات : ١ .

٣ - الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين ج ١ ص ١٨٠ .

وروى البخاري بسنده عن المسود بن مخمرة ومروان يصدق كل واحد منهما صاحبة قصة الحديبية من حديث طويل نختار منه موضع الحاجة قال : (فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أيُّ قوم !! والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر كسرى والنجاشي والله ما رأيت مَلِكاً قط يُعظِّمه أصحابه ما يُعظم أصحاب مُحَمَّدٌ مُحمَّدٌ إذا أمرهم ابتدروا أمره إذا توضع كادوا يقتتلون على وضوءه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له) .

ولما كان الشيخ مقتدياً برسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً وارثاً من حضرته اللمسة الروحية فأن شأن المريد مع الشيخ كشأن الصحابة مع الرسول ﷺ ، فالشيخ للمريد أمين الإلهام كما إن جبريل أمين الوحي ولا يتكلم بهوى النفس لذا وجب على المريد أن يتبع مع شيخه الآداب الآتية :

- فقبل كل شيء يجب على المريد أن يدخل على الشيخ أو يحضر مجلسه وهو على طهارة كاملة ووضوء تام وإن يستأذن عليه في الدخول وهذه من الآداب العامة .

- كما يجب أن لا يبدأ شيخه بالكلام حتى يسأله الشيخ ويطرق رأسه حياءً وإجلالاً ولا يظن بشيخه ظن السوء ويسلم له تسليمًا كاملاً ويستمع له فيما يقول ويسجل في ذهنه ذلك ولا يعترض ولا يعلق ولا يحاول أن يضيف .

- كما لا يجوز أن يذكر اسم الشيخ وهو يخاطبه بل يقول : (يا سيدي ، يا إمامي ، يا هداي) ولا يلتفت إلى غيره أثناء كلامه مع الشيخ ولا يناديه بصوت عالٍ ولا يرفع صوته فوق صوت الشيخ ولا يكثر الأسئلة ويثقل عليه بالكلام إلا إذا كان في موضوع الشرع ولا يتعجل الجواب .

- كما يجب على المريد أن لا يأكل مع الشيخ ولا يتقدم عليه بالسير إلا للضرورة كحمل مصباح أو إزالة العوائق من الطريق وغيرها ولا يلبس ملبسه ولا يجلس على فراشه ولا يشرب في أوانيه من غير إذنٍ منه ولا يسبح بسبحته ولا يتكئ

في حضرته ولا يتشاءب ولا يدخن ولا يضحك ولا يعمل بالأوراد في حضرته لان رؤيته تغني عن الأوراد في تلك الأثناء ولا يدير ظهره نحو الشيخ إذا خرج من عنده ، ولا يصاحب من يكره شيخه ويحرضه على تركه ولا يسمع فيه شك المنافقين ولا يبخل عليه بشيء أراداه مهما غلا ، ولا يخبر الشيخ بأخبار تزعجه ويحاول أن يجلب السرور له دائماً . ولا يغضب الشيخ لأن الله ﷻ يغضب لغضبه .

- كما يجب على المريد أن يقتدي بسيدنا إسماعيل عليه السلام في إطاعة أستاذه ووالده عندما قال : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾^(١) . وان ينفذ أمر الشيخ فالشيخ هو الأب الروحي للمريدين جميعاً وأستاذهم في السلوك وان يعتقد ويتيقن بأن شيخه قطب زمانه وأنه يفوق الناس علماً ورتبة ، وان يقوم إذا قام الشيخ ولا يجلس إلا بأذنه وان يدافع عن الشيخ بكل ما يستطيع من يد ولسان وقلب وان يكرم نسل الشيخ وأهله وإكرامه للشيخ .

- وإذا اخطأ عليه أن يعترف أمام الشيخ ويطلب السماح منه فقلبه الرؤوف واسع يقبل التائب النصوح .

وإذا كان يقرأ القرآن وحضر الشيخ فيكمل الآية ثم ينهض إجلالاً له . ويكتم سر شيخه ولا يقترح الآراء وإذا استشاره بأمر يظهر الجهل وان أمره الشيخ فيقول أظن يا سيدي كذا

- وعلى المريد أن يحترم هدية الشيخ ويضعها في مكان لائق بمقامها ويحتفظ بها فإنه لا يدري أي سر وضعه الشيخ فيها وقد ورد عن الرسول ﷺ إنه طوى سرّاً في ثوب وقد ورد عن الرسول ﷺ إنه طوى سرّاً في ثوب وأعطاه لأبي هريرة فصار قلبه حياً ولم ينس أي شيء بعد ذلك .

آداب المرید مع المریدین

الطريقة الكسنزانية هي امتداد للرسالة الحمديدية وسائرة على نهجها فالمرید السالك فيها يخضع لكل ما خضع له المسلمون الأوائل ويتحلّى بأخلاقهم التي حملوها إلى الناس فالإسلام قضى على التعصب الجاهلي وساوى بين المسلمين ولم يفرق إلا بالتقوى . جمع القلوب والأیدی رغم اختلاف الجنس والأشكال فبلال من الحبشة وصهيب من الروم وسلمان من الفرس وكان المسلمون يحبون إخوانهم في الدين ويؤثرونهم على إخوة الرحم الذين كفروا .

هذا هو الإسلام وكذلك الطريقة فمن شأن المرید أن يعادي من عادى المریدین ويحب من يحبهم وان يعفو عن زلاتهم ويستر عيوبهم ويزهد فيما يملكون ، ولا يحقد عليهم ويتواضع لهم ولا يطلب الرياسة عليهم ويكرمهم في كل وقت حباً في الله ويخدمهم ويتحمل الأذى لاجلهم وينصحهم ولا يتكبر عليهم ويحثهم على الصلاة وإدامة الذكر ويقنعهم بالحجة والدليل ويزور مريضهم ويساعده على شراء العلاج إن أمكن ويدعو له بالشفاء ويدعوهم إلى طعامه ويستغفر لهم ولا يقبل نسيمة من أحد فيهم . قال الإمام علي عليه السلام : « خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكموا عليكم وإن عشتم حنوا أليكم » (١).

وان يحفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين ولا ينتقص أحداً منهم وان يمشي معهم بالنصيحة ويُعلّم جاهلهم ويرشد ضالهم وان يكون حسن الظن بهم مشغولاً عن عيوبهم وان يقوم بإصلاح ذات بينهم إذا اختلفوا واختصموا ، صادقاً أميناً معهم غير طامعاً إلا في محبتهم ، ولا يبرر إيذائه لإخوانه بتفسيرات روحية لان المشايخ لا يأمرؤن المرید إلا بالمعروف وهم وحدهم كفيلون بمحاسبة الخاطيء أو إعفائه لقوله

تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(١).

وصايا هامة للمريد

المريد الذي يسلك على يد الشيخ وينتسب إليه يجب أن يعكس الصورة الايجابية للمسلم وان يطبق ما يتعلمه من شيخه على حياته الواقعية طمعاً في التقدم على الطريق وحفظاً لسمعة الشيخ والطريقة وبذلك فأنا نوصي المريد السالك بـ :

- ١ . الالتزام بالفرض والسنة وصلاة الجماعة .
- ٢ . مخالفة الشيطان والنفس في كل الأمور .
- ٣ . التزام العبادة بجد وترك اللهو ورفاق السوء .
- ٤ . عدم العمل بأوراد غير الأوراد المكلف بها من قبل أستاذ الطريقة .
- ٥ . التزام مجلس الذكر والحضور إليه بشكل مستمر ودائم .
- ٦ . عدم مدح شيوخ العصر أو تحسين طريقة أخرى على طريقة شيخه .
- ٧ . عدم التحدث بالرؤيا أو العلوم الروحية التي ترد على المريدين بين الناس وعدم أخذ رأي إخوانه المريدين أو خليفته فيها لأنه لا يعرف تأويلها إلا أستاذ الطريقة .

كما نوصيه بأن :-

- ١ . يترك الغرور ويتجنب الآثام ويتعدى عن الحرام أكلاً وشرباً .
- ٢ . يتبع تعاليم الطريقة (مفاهيم القرآن الكريم) ويترك المعاصي ويكظم الغيظ ويتجنب الرياء .
- ٣ . يترك البغي والغيبة وشهادة الزور والكبر والعجب والتملق .

- ٤ . يقلل الجدل ويترك الدسائس والافتخار والتجبر والكذب .
- ٥ . يبتعد عن مجلس النساء ويترك الحسد وظن السوء والنميمة .
- ٦ . يؤدي حقوق الناس ويتحمل الأذى ويغض البصر ولا يغفل عن ذكر الله .
- ٧ . يقلل الأكل والنوم ويؤنب نفسه على ما مضى ويلزم الاستغفار والزهد والتقوى
- ٨ . يحترم الكبير ويعطف على الصغير ولا يتكلم إلا إذا أذن له ولا يكثر الكلام .
- ٩ . يسلم على الجالسين ويجلس في المكان الخالي ولا يزاحم أحداً في مجلسه ويستمع لمن يتحدث ولا يقاطع المتكلم ولا يعلق إلا بعد الانتهاء .
- ١٠ . لا ينجّل صبيّاً ولا يعنّف فقيراً ولا يحقّر ضعيفاً .
- ١١ . يسعى مع الأرملة والمسكين ويساعد المحتاجين ويزرع المحبة وينشر السلام أينما حل .
- هذه هي آداب وأخلاق المريد الكسنزاني وكل من يلتزم ولم يتحلّ بهذه الأخلاق فهو خارج عن الطريقة غير مكتوب مع مرديها .

الباب السادس

* الذكر

- أقسام الذكر
- دليل الذكر في القرآن الكريم
- الذكر في الأحاديث النبوية الشريفة
- الذكر المفرد والجماعي
- الذكر الجهرى
- أقوال في فضل الذكر
- آداب الذكر

* الذكر الكسنزاني

* السماع في الطريقة

- دليله في الكتاب والسنة
- السماع عند من أجازوه
- السماع عند الغزالي
- آداب السماع

أيها المرید: لانزیر باب الله
ووجه قلبك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
واجعل الاستمداد من بابہ العالی بواسطۃ شیخک المرشد

(السيد الشيخ السلطان حسین الکسنزان قدس الله سره)

الذكر

قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله في الذكر : يا مغترّاً بغناه وصفائه
فعن قريب ينقلب صفاؤك كدرّاً وغناك فقراً وسعتك ضيقاً لا تغترّ بما أنت فيه
عليك بالمواظبة على حلقات الذكر وحسن الظن بالشيخ العمال بالعلم والاستماع
منهم والإصغاء لما يقولون ، يا غلام إني أراك قرين الشيطان وخليفته وقد أمنت على
نفسك وصادقته وهو يأكل لحم دينك وتقواك ويُضيع رأس مالك وما عندك خبر ،
ويحك ادفعه عنك ، وهربه من عندك بالذكر الدائم فإنه يهلكه ويهزمه ويفرق
جمعه . اذكر الحق وَعَلَيْكَ بلسانك تارةً وبقلبك تارةً ، غير طعامك وشرابك ، استعمل
الورع في جميع أحوالك استعن على هزم الشيطان بقول لا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم ما شاء الله ، لا اله إلا الله الملك الحق المبين سبحانه الله وبحمده ،
وبهذا ينقلب وتتكسر شوكته وينهزم جنوده ، عرش إبليس على البحر وهو يبعث
جنوده على الأرض ، أعظمهم عنده حرمة أشدهم فتنة لابن آدم .

عن النبي ﷺ قال : ﴿ ان هذه القلوب لتصدئ وجلأؤها قراءة القرآن
الكريم وحضور حلقات الذكر ﴾ .

مجالس العلماء العمال بالعلم تجلو القلوب وتُصَفِّيها وترقيها وتزيل قساوتها ،
شكى رجل إلى الحسن البصري رحمته الله قساوة قلبه فقال له : دُم في ذكر الذاكرين الله
وَعَلَيْكَ العلماء به ، الأولياء له ، هم الملوك على الحقيقة عن الملك فُسَعُوا إليه ملوك
رأوا الآخرة فصغرت الدنيا في قلوبهم ورأوا الحق وَعَلَيْكَ فصغر الخلق عندهم العزة في
طاعة الله تعالى وترك معاصيه ، يا عُصاة لا تقنطوا من رحمة الله وَعَلَيْكَ ، ولا تيأسوا
من روح الله وَعَلَيْكَ ، يا موتى القلوب ، داوموا على ذكر ربكم وَعَلَيْكَ ، وتلاوة كتابه
الكريم وسنة نبيه ﷺ وحضور حلقات الذكر ، وقد حيت قلوبكم كما تحيا الأرض
الميتة بنزول الغيث عليها . إذا داومَ القلبُ على ذكر الله وَعَلَيْكَ وجاءت إليه المعرفة

والعلم والتوحيد والتوكل والإعراض عما سواه **وَعَجَلِك** في الجملة ، دوام الذكر سبب لدوام الخير في الدنيا والآخرة ما دمت فيها مع الدنيا والخلق فأنت متأثر بالحمد والذم لأنك موجود في نفسك وهواك وطبعك فإذا وصل قلبك إلى ربك **وَعَجَلِك** وصار أمرك إليه ، زال تأثرك بهما واسترحت من ثقل عظيم . إذا اشتغلت بالدنيا مع اعتمادك على حولك وقوتك ، انقطعت وتمزقت وتعبت وسخطت ، وهكذا إذا اشتغلت بالآخرة تفوتك وتنقطع . وإذا اشتغلت بالحق **وَعَجَلِك** جاءك الخير في الدنيا والآخرة . استفتح باب المعاش بيد قوته **وَعَجَلِك** والتوكل عليه واستفتح باب الطاعات بيد توفيقه ، فإذا وصلت إلى مقام طلبه ، فاطلب منه القوة والصدق في طلب قوته ومعونته ، تثبت أقدام قلبك وسرك بين يديه مع الفراغ من شغل الدنيا والآخرة .

« والذكر لغة الحفظ للشيء ، تذكر الشيء أجراه على اللسان والذكر جرى الشيء على لسانك . أما عند أهل الطريقة فهو الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف أو لكثرة الحب ، وهو بساط العارفين ونصاب المحبين العاشقين وحقيقته ان تنسى ما سوى المذكور » (١).

أقسام الذكر

أ . ذكر اللسان : وهو المستمد من القلب يردده المحب ويستعذب ترداده ويحب سماعه .

ب . ذكر السر : وهو من مقامات الواصلين من خاصة الخاصة ومعناه غياب الذكر في المذكور بالجملة حتى لا يبقى رسم فيكون هو الذاكر .

وذكر اللسان هو البداية والذكر ذكر القلب ولا يعتبر السالك ذاكرًا إلا ان يذكر بقلبه ومما يؤيد هذا الكلام قول السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني **رحمته الله** :

١ - ابن منظور - لسان العرب ج ١ ص ١٧١ .

« من كان ذاكراً لله وَعَجَّلَ بقلبه فهو الذكر ومن لم يذكر بقلبه فليس بذكر ، اللسان غلام القلب وتبع له «(١).

واجمع شيوخ الطريقة على إن عمدة الطريق الإكثار من ذكر الله وَعَجَّلَ وان لا دواء ولا أي عمل مهما شرف مقامه انجح من ذكر الله وَعَجَّلَ في الوصول والفلاح في الطريق ، يقول أبو السعود ابن أبي العشائر : « الأصول التي يبني عليها المرید أمره أربعة أشياء : اشتغال اللسان بذكر الله وَعَجَّلَ مع حضور القلب إلى أن يقول ... والأكبر الذي يقلب عين طينة العبد ذهباً خالصاً هو الإكثار من ذكر الله تعالى مع الإخلاص «(٢).

إن مشايخنا الكرام قدس الله أسرارهم قد جعلوا الذكر أساس الطريق وعملوا على اشتغال المرید بذكر الله على الدوام طوال حياته لأنه سبب اليقظة من الغفلة والدواء السريع المفعول لجلاء القلب ، يقول الشيخ علي المرصفي رحمه الله : « قد عجز الشيوخ فلم يجدوا للمرید دواء أسرع في جلاء قلبه من مداومة ذكر الله وَعَجَّلَ ، فحكم الذاكرين كمن يجلي النحاس المصدي بالحصى وحكم غير الذاكرين من سائر العبادات كمن يجلي النحاس بالصابون «(٣).

والذكر هو الوسيلة التي بواسطتها يهزم الشيطان فالذاكر إذا تمكن من القلب صار الشيطان يصرع إذا دنى من الذاكر كما يصرع الإنسان إذا دنى منه الشيطان . قال الرسول الأعظم ﷺ : ﴿ اضنوا شياطينكم بقول لا اله إلا الله محمد رسول الله فان الشيطان يضني بها كما يضني أحدكم بغيره بكثرة ركوبه وشيل أحماله عليه ﴾ .

« والذكر ينتقل من اللسان إلى القلب إذا داوم المرید على ذكر الله وَعَجَّلَ وأصبح يستعذب تردادده ويجب سماعه ويستأنس به حتى يمتزج بروحه ، فيحس المرید ويشعر

١ - الشيخ عبد القادر الكيلاني - الفتح الرباني والفيض الرحاني ص ١٠٦ .

٢ - الإمام الشعراني - الأنوار القدسية للشعراني ج ١ ص ١١٥ .

٣ - المصدر نفسه ج ١ ص ٧٠ .

بذلك الانتقال حيث يشعر بحرارة تدخل القلب ، وعند ذاك يشغل القلب بذكر الله ﷻ دائماً وفي جميع الأحوال ما لم يتعرض لعارض أو لسبب ما أو غفلة ، وكيف يغفل عن ذكر الله من كان الذكر له مفتاح الغيب وأنيس المستوحش وجاذب الخير «(١)».

دليل الذكر في القرآن الكريم

وردت كلمة الذكر في القرآن الكريم على عدة معان حسب ورودها في الآيات الكريمة فقد وردت بمعنى القرآن لقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّآ لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢).

ووردت بمعنى صلاة الجماعة في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٣).

وجاءت الكلمة بمعنى العلم في قوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤).

وفي معظم الآيات القرآنية الأخرى وردت اللفظة وأريد بها ذكر الله ﷻ في بضع وثلاثين آية تقريباً قال تعالى : ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ واشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (٥). وفي هذه الآية الكريمة جعل الله ﷻ ذكر العبد له من أجل ذكر الله تعالى للعبد ، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام : « وجعل ذكر الله تعالى من أجل ذكره تعالى إياك فانه ذكرك وهو غني عنك ، فذكره لك أجل واشرف واسنى وأتم من ذكرك له » (٦).

١ - أبو نعيم الاصفهاني - حلية الأولياء ج ٦ ص ١٧١ .

٢ - الحجر : ٩ .

٣ - الجمعة : ٩ .

٤ - النحل : ٤٣ .

٥ - البقرة : ١٥٢ .

٦ - عادل خير الدين - العالم الفكري للإمام جعفر الصادق ص ١٣٩ .

وقال سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله في تفسيره هذه الآية الكريمة :
« اذكروني بالشوق والمحبة أذكركم بالوصل والقربى وقيل اذكروني بالحمد والثناء
أذكركم بالمن والجزاء ، وقيل اذكروني بالتوبة أذكركم بغفران الحوبة ، اذكروني بالدعاء
أذكركم بالعطاء ، اذكروني بالسؤال أذكركم بالنوال ، اذكروني بلا غفلة أذكركم
بلا مهلة ، اذكروني بالندم أذكركم بالكرم ، اذكروني بالمعذرة أذكركم بالمغفرة ...
اذكروني بالقلوب أذكركم بكشف الكرب ، اذكروني بلا نسيان أذكركم بالأمان ،
اذكروني بالافتقار أذكركم بالاقتدار ، اذكروني بالقلب أذكركم بكشف الحجب ،
اذكروني ذكراً فانياً أذكركم ذكراً باقياً ، اذكروني بالصدق أذكركم بالرفق ، اذكروني
بالتعظيم أذكركم بالتكريم ، اذكروني من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا ، ولذكر الله
أكبر »^(١).

ولقد عاتب الله ﷻ المؤمنين حينما استبطأ خشوعهم لذكر الله وما نزل من
الحق بالآية الكريمة : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ
مِنَ الْحَقِّ ﴾^(٢). كما بشر الله ﷻ المخبتين أي المطمئنين بذكر الله بقوله تعالى :
﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾^(٣). أي خافت هيبة الله
ﷻ ، وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾^(٤). أي اذكروه ذكراً حسناً كما
هداكم هداية حسنة فالله ﷻ ذكر عباده بمنته عليهم عندما هداهم إلى النور بعد
الظلمة والصرط المستقيم بعد الضلال ، أفلا يحق للعباد أن يذكروا صاحب الفضل
والهداية عليهم ؟

وثمة آيات تحث المؤمنين على الذكر الكثير ، والكثرة هنا غير محددة بعدد ولا
كم ولا بصيغة أو كيفية وقد وضع المشايخ الكرام أصول ونظام الذكر وكيفيته .

١ - الشيخ عبد القادر الكيلاني - الغنية لطالبي طريق الحق ج ٢ ص ٩٠٩ .

٢ - الحديد : ١٦ .

٣ - الحج : ٣٤ ، ٣٥ .

٤ - البقرة : ١٩٨ .

قال تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾^(٤).

وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾^(٥).

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ﴾^(٦).

وكذلك وردت الآية الكريمة لتبين ان الذكر لا يكون في وضع محدد للذاكر قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾^(٧).

فيحق للذاكر ان يذكر الله وهو قائم أو قاعد أو مضطجع على جنبه .

كما تبين الآيات القرآنية الآتية بان ليس ثمة وقت محدد للذكر فأمر الله تعالى بالذكر في أوقات مختلفة . في الغدو والآصال ، بالعشي والإبكار . بكرة وأصيلاً .

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾^(٨).

١ - غافر : ٥٥ .

٢ - الأحزاب : ٣٥ .

٣ - الأحزاب : ٢١ .

٤ - الأحزاب : ٤١ .

٥ - طه : ٣٣ ، ٣٤ .

٦ - الانفال : ٤٥ .

٧ - النساء : ١٠٣ .

٨ - الاعراف : ٢٠٥ .

وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾^(٤).
وهناك من ادعى ان الذكر يكون في دبر كل صلاة ويقتصر على ذكر محدد كما ورد في الحديث النبوي الشريف فنقول بان الذكر ورد في الآيات الكريمة قبل الصلاة ، وفي آيات أخرى بعد الصلاة بل وفي الصلاة لكون الصلاة تشتمل على الأذكار .

وقال تعالى : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾^(٥). أي لتذكرني فيها .

وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾^(٦). أي ان الذكر قبيل الصلاة ولان افتتاح الصلاة كذلك جائز بكل اسم من أسمائه وَعَلَيْهِ.
وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ ﴾^(٧).

وهناك آيات أوجب فيها البارئ وَعَلَيْهِ الذكر في مواضع محددة وصيغة محددة أوضحتها السنة النبوية الشريفة .

قال تعالى : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾^(٨).

١ - الإنسان : ٢٥ .

٢ - النور : ٣٦ .

٣ - آل عمران : ٤١ .

٤ - طه : ١٣٠ .

٥ - طه : ١٤ .

٦ - الاعلى : ١٤ ، ١٥ .

٧ - النساء : ١٠٣ .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾^(٣). أي فإذا فرغتم من عباداتكم في الحج وتفرغتم فأكثرُوا من ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾^(٤). أي أيام التشريق وعند الجمار .

وقد وردت آيات قرآنية في الوعيد لمن لم يذكر الله تعالى والتحذير للعباد من النسيان أو اللهو عن ذكر الله .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾^(٥).
وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾^(٦).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ ﴾^(٧).
وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(٨).

١ - الحج : ٢٨ .

٢ - آل عمران : ١٣٥ .

٣ - البقرة : ٢٠٠ .

٤ - البقرة : ٢٠٣ .

٥ - الجن : ١٧ .

٦ - الزخرف : ٣٦ .

٧ - المائدة : ٩١ .

٨ - المنافقون : ٩ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾^(٣). أي ضيقاً قال ابن جبير يسلبه القناعة فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض أحدكم عن ذكر الله إلا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه^(٤). وليس هناك خير من أن نختم الآيات الكريمة وإن لم نكن قد آتينا عليها جميعاً بقوله تعالى وهو خير القائلين : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(٥).

الذكر في الأحاديث النبوية الشريفة

وردت أحاديث نبوية شريفة كثيرة في فضل الذكر وما اعد الله للذاكرين من ثواب ومغفرة ودرجات عليا وحفظ في الدنيا والآخرة كما وردت أحاديث أخرى حذر فيها الرسول ﷺ من ترك الذكر وهي وإن اختلفت ألفاظها عند أئمة الحديث إلا أن ذلك لا يغير من المعنى شيئا . قال الرسول ﷺ في الحديث القدسي قال الله تعالى : ﴿ لَا يَذْكُرُنِي عَبْدٌ فِي نَفْسِهِ إِلَّا ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأَ مِنْ مَلَائِكَتِي ، وَلَا يَذْكُرُنِي فِي مَلَأَ إِلَّا ذَكَرْتَهُ فِي الرِّفِيقِ الْأَعْلَى ﴾^(٦).

• وروى الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه مرفوعاً عن النبي الأعظم ﷺ يقول الله ﷻ : ﴿ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ

١ - الكهف : ٢٨ .

٢ - النساء : ١٤٢ .

٣ - طه : ١٢٤ .

٤ - تفسير النسفي ج ٣ ص ٦٨ .

٥ - الرعد : ٢٨ .

٦ - رواه الطبراني بإسناد حسن .

ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملاً ذكرته في ملاً خير منه ، وإن تقرب مني شبراً
تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإن أتاني مشياً أتته
هرولة ﴿١﴾ .

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان رسول الله صلی الله علیه وسلم يسير في طريق مكة فمر على جبل
يقال له جمدان فقال : ﴿ سيروا هذا جمدان ، سبق المفردون ﴾ قالوا وما المفردون
يا رسول الله قال : ﴿ الذاكرون الله كثيراً والذاكرات ﴾ ﴿٢﴾ .

• روى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه مرفوعاً عن النبي صلی الله علیه وسلم : ﴿ إن الله
يحب أن يقول أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه ﴾ ﴿٣﴾ .

• وروى الترمذي وابن حبان في صحيحه وابن ماجه والحاكم وقال صحيح
الإسناد أن رجلاً قال يا رسول الله ان شرائع الإسلام قد كثرت علي فاخبرني
بشيء أتثبت به ، قال : ﴿ لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله ﴾ ﴿٤﴾ .

• وروى ابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال آخر كلام
فارقت عليه رسول الله صلی الله علیه وسلم ان قلت أي الأعمال أحب إلى الله تعالى قال : ﴿ أن
تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى ﴾ ﴿٥﴾ .

• وروى الشيخان مرفوعاً عن النبي صلی الله علیه وسلم : ﴿ مثل الذي يذكر ربه والذي لا
يذكر ربه كمثل الحي والميت ﴾ ﴿٦﴾ . ذلك لان ذكر الله إحياء للقلوب ومن كان
قلبه حياً فهو حي ومن مات قلبه فهو الميت .

١ - رواه مسلم في الصحيح ج ٤ ص ٢٠٦٢ .

٢ - رواه مسلم في الصحيح ج ٤ ص ٢٠٦٢ .

٣ - رواه ابن ماجه في السنن ج ٢ ص ١٢٤٦ .

٤ - المصدر نفسه .

٥ - رواه الطبراني .

٦ - رواه احمد في مسنده .

- وروى الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد مرفوعاً عن النبي ﷺ : ﴿ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ ﴾^(١).
- واخرج أحمد والطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله : ما غنيمة مجالس الذكر ؟ فقال ﷺ : ﴿ غَنِيْمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ الْجَنَّةُ الْجَنَّةُ ﴾^(٢).
- وروى الطبراني والبيهقي بإسناد جيد مرفوعاً عنه ﷺ : ﴿ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا ﴾^(٣). وأهل الجنة فرحون بما أتاهم الله تعالى ولكن نوع التحسر هنا إنما يكون عند أول دخولهم الجنة حين يرون مقام من فوقهم من الذاكرين .
- وروى الإمام أحمد مرفوعاً عن الرسول ﷺ انه قال : ﴿ مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تعالى لَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٌ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَوْمُوا مَغْفُورًا لَكُمْ قَدْ بَدَلْتُ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ ﴾^(٤).
- وروى الترمذي وقال حديث حسن مرفوعاً عن النبي ﷺ انه قال : ﴿ إِذَا مَرَرْتُمْ بَرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعَوْا ﴾ قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال : ﴿ حُلُقُ الذِّكْرِ ﴾^(٥).
- وروى الطبراني والإمام أحمد عن معاذ بن أنس قال أن رجلاً قال يا رسول الله : أي مجاهدي أفضل وأعظم أجراً قال : ﴿ أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرًا ﴾ . قال فأبي الصائمين أعظم أجراً قال : ﴿ أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرًا ﴾ ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول أكثرهم لله تبارك

١ - رواه الطبراني وأسنده أحمد بن حنبل .

٢ - رواه الطبراني في المعجم الكبير .

٣ - رواه الطبراني في المعجم الكبير .

٤ - رواه أحمد بن حنبل .

٥ - رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وتعالى ذكراً فقال أبو بكر لعمر : يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله ﷺ : ﴿ اجل ﴾ .

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ ان النبي ﷺ قال : ﴿ ان الله تبارك وتعالى ملائكة سيارة يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً بأجنتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال فيسألهم الله ﷻ وهو اعلم بهم من أين جئتم ؟ فيقولون جننا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألوني ؟ قالوا يسألونك جنتك قال وهل رأوا جنتي ؟ قالوا لا يا رب قال فكيف لو رأوا جنتي ؟ قالوا ويستجيرونك قال ومم يستجيرونني ؟ قالوا من نارك يا رب قال وهل رأوا ناري ؟ قالوا لا ، قال فكيف لو رأوا ناري ؟ قالوا ويستغفرونك فيقول قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا ﴾^(١) .

• عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : ﴿ يقول الله أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام ﴾ .

• وروى أبو داود والترمذي والحاكم انه ﷺ قال : ﴿ اقرب ما يكون العبد من ربه في جوف الليل فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن ﴾ .

• وروى الترمذي وقال حديث حسن مرفوعاً : ﴿ من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة ، قال رسول الله ﷺ تامة تامة تامة ﴾ .

١ - رواه البخاري طبعة ميري ، ٨ / ٨٦ - ٨٧ .

• وفي رواية لابن أبي الدنيا مرفوعاً : ﴿ من صلى الفجر ثم ذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس لم يمس جلده النار أبداً ﴾ .

• وروى الطبراني بإسناد حسن مرفوعاً : ﴿ ثلاثة يحبهم الله ﷻ ويضحك لهم ويستبشر بهم ... فذكر منهم والرجل له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل ويذر شهوته ويذكر ربه ولو شاء رقد ﴾ .

• وروى الترمذي وصححه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهما في حديث طويل مرفوعاً ﴿ ... وأمركم بذكر الله كثيراً ومثل ذلك كمثـل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره حتى أتى حصناً فأحرز نفسه فيه وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله ﴾ .

• وروى الطبراني مرفوعاً : ﴿ من لم يكثر ذكر الله فقد برئ من الإيمان ﴾ .

الذكر المفرد والذكر الجماعي

من خلال الأحاديث النبوية الشريفة يظهر دليل على وجود الذكر الجماعي وهو عند أهل الطريقة أفضل من الذكر المفرد لان فيه تلتقي قلوب الذاكرين ويكون التعاون والتجاذب بينها فيستقي الضعيف من القوي والمظلم من المنور والكثيف من اللطيف لذلك كانت طريقتنا الكسنزانية أكثر الطرق الجماعية في تأدية الأذكار والأوراد اليومية بعد الصلوات الخمس وورد العصر ، هذا بالإضافة إلى الذكر الرسمي مساء يومي الخميس والاثنين ، أما الذكر المفرد فهو جائز كذلك لان العبادات لا تكون دائماً وتعتمد على همة المريد وسعيه في العبادة والتزود في الأذكار والقيام في الليل والأسحار .

وقد نقل الشعراني رأي الإمام الغزالي في هذا المجال حيث يشبه الغزالي ذكر الجماعة بأذان الجماعة يقول : « فكما ان أصوات المؤذنين جماعة تقطع جرم الهواء أكثر من صوت مؤذن واحد كذلك ذكر الجماعة على قلب واحد أكثر تأثيراً ، في رفع الحجاب من شخص واحد وأما الثواب فلكل واحد ثواب نفسه وثواب سماع

رفيقه ، ثم يقول ووجه كون الذكر جماعة أكثر تأثيراً في رفع الحجب الكثيفة كون الحق تعالى شبه القلوب بالحجارة ومعلوم ان الحجر الكبير لا ينكسر إلا بقوة جماعة مجتمعين لان قوة الجماعة أشد من قوة الشخص الواحد ومن هنا اشتروا في الذكر ان يكون بقوة تامة «(١)».

الذكر الجهرى

الذكر بنوعيه مستحب وهو مستحب حسب الزمان أو المكان أو الظرف المعين ، ويستحب للذاكر الذكر الجهر في مواقع وأحوال ولا يستحب له في غيرها ، وورد عنا بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤيد الذكر الجهرى ، وإن القرآن الكريم مشتمل على أنواع كثيرة منها (لا اله إلا الله) ومنها أسماء الله ﷻ وقد دلت الأحاديث النبوية الشريفة على ان الجهر بقراءة القرآن وتحسين الصوت به جائز ومستحب عند الله ولما كان القرآن مشتمل على أنواع الذكر إذن يستحب كذلك الجهر بما أشتمل عليه القرآن .

• اخرج الإمام أحمد في مسنده والبخاري والطبراني من طريق يعلى بن شداد بن اوس قال حدثني أبي شداد بن اوس وعبد الله بن اوس فصدقه قال بايعنا رسول الله ﷺ فقال : ﴿ ارفعوا أيديكم فقولوا لا اله إلا الله ﴾ فرفعنا أيدينا ساعة . زاد الطبراني ثم رفع النبي ﷺ يده ثم قال : ﴿ الحمد لله اللهم انك بعثني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وانك لا تخلف الميعاد ﴾ ثم قال : ﴿ ابشروا فان الله قد غفر لكم ﴾ . وهذا الحديث صريح يظهر انه ﷺ جهر بالتلقين واسمعهم وأنهم رددوا جهراً .

• اخرج البيهقي عن زيد ابن اسلم قال ابن الادرع : انطلقت مع النبي ﷺ ليلة فمر برجل في المسجد يرفع صوته فقلت يا رسول الله عسى ان يكون هذا مرئياً قال : ﴿ لا ولكنه أواه ﴾ . قال ابن اسحق حدثني محمد بن إبراهيم التميمي قال

١ - الإمام الشعراي - الأنوار القدسية ج ١ ص ٤٦ - ٤٧ .

كان عبد الله ﷺ - وهو ذو البجادين - يتيماً في حجر عمه فبلغ عمه انه اسلم فنزع منه كل شيء أعطاه حتى جرده ثوبه فأتى أمه فقطعت له بجاداً لها قطعتين فاتزر نصفاً وارتدى نصفاً ثم أصبح فقال له النبي ﷺ : ﴿ أنت عبد الله ذو البجادين فالتزم بابي ﴾ ، فلزم بابه وكان يرفع صوته بالذكر فقال عمر أمراء هو ؟ فقال رسول الله ﷺ : ﴿ بل هو احد الأوابين ﴾ .

• اخرج الإمام أحمد وابن عدي والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ اذكر الله حتى يقولون مجنون ﴾ . ولا يقول الناس عن الذاكر مجنوناً ما لم يرفع صوته بالذكر ويجهر به .

• عن ابن عباس ﷺ عن الطبراني قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ أكثروا من ذكر الله حتى يقول المنافقون أنكم مرءون ﴾ ، وكذلك حديث أبي الجوزاء مرسلًا عن سعيد بن منصور والإمام أحمد والبيهقي الحديث واللفظ نفسه وهذا دليل على الذكر الجهري حيث ان المنافقين لا يقولون للذاكرين إنكم مرءون ما لم يجهروا بذكر الله وإلا كيف عرف المنافقون ان الذاكرين يذكرون الله .

• ذكر شيخنا السيد عبد الكريم الكسنزان رحمته الله أفضلية الذكر الجهري فقال : (تأثير الجهر على القلب كضرب المطرقة على الحديد الأعوج وتأثير الذكر الخفي كضرب قطعة خشب خفيفة على الحديد) .

أقوال في فضل الذكر

• قال الإمام علي عليه السلام : « إن الله تعالى جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة وتنقاد به بعد المعاندة » (١) .

وقال أيضاً : « ان الله تعالى يتجلى للذاكرين عند الذكر وتلاوة القرآن ولا يروونه لأنه اعز من ان يرى واطهر من ان يخفى ، فتفردوا بالله تعالى واستأنسوا بذكره » (١) .

- وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : « من كان ذاكرًا لله على الحقيقة فهو مطيع ومن كان غافلاً فهو عاص » (٢).
- واخرج ابن أبي الدنيا عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال : « لا تشغلوا أنفسكم بذكر الناس فانه بلاء عليكم ، وعليكم بذكر الله فانه شفاء وإياكم وذكر الناس فانه داء » (٣).
- واخرج بن مبارك عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه قال : « لو ان قلوبنا طهرت لم تمل من ذكر الله » (٤).
- وقال عبد الله بن عباس : « لم يفرض الله تعالى فريضة إلا وجعل لها حداً معلوماً ثم عذر أهلها في حال العذر ، غير الذكر فانه لم يجعل له حداً ينتهي إليه ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله » (٥).
- وقال سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله : « إذا داوم القلب على ذكر الله وَعَبَّاهُ جاءت إليه المعرفة والعلم والتوحيد والتوكل والأعراض عمن سواه ، وفي الجملة دوام الذكر سبب لدوام الخير في الدنيا والآخرة » (٦).
- وقال الشيخ محيي الدين بن عربي : فانك إذا أشعرت قلبك ذكر الله دائماً في كل حال لا بد ان يستنير قلبك بنور الذكر فيرزقك ذلك النور الكشف فانه بالنور يقع الكشف للأشياء وإذا جاء الكشف جاء الحياء بصحبته .
- قال الإمام الشعراني : « الذكر سيف المريدين به يقاتلون أعداءهم من الجن والأنس وبه يدفعون الآفات التي تطرقهم » (٧).

١ - الشيخ احمد الرفاعي - حالة أهل الحقيقة مع الله ص ١١٨ .

٢ - عادل خير الدين - العالم الفكري للإمام جعفر الصادق ص ١٣٩ .

٣ - محمد يوسف الكاندهلوي - حياة الصحابة ج ٣ ص ٢٣٥ .

٤ - المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٣٥ .

٥ - المصدر نفسه .

٦ - الناشر الشيخ محمد الكسنزان - جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر ص ٤٤ .

٧ - الإمام الشعراني - الأنوار القدسية .

• وقال : « الذكر منشور الولاية ومرسوم من الله للعباد بالولاية كمراسيم ملوك الدنيا بالوظائف - والله المثل الأعلى - فمن وفق لدوام ذكر الله فقد أعطي المرسوم بأنه ولي الله ومن يسلب من الذكر فقد عزل من الولاية » (١).

• وسمع أبو بكر الشبلي في مجلسه (٢).

ذَكَرْتُكَ لَا أُنِي نَسِيتُكَ لِحَقَّةٍ وَأَيْسَرُ مَا فِي الذِّكْرِ ذِكْرُ لِسَانِي
وَكَدْتُ بَلَا وَجَدِ أَمَوْتُ مِنَ الْهَوَى وَهَامَ عَلَى الْقَلْبِ بِالْخَفَقَانِ
فَلَمَّا أَرَانِي الْوَجْدُ أَنْكَ حَاضِرِي شَهِدْتُكَ مَوْجُوداً بِكُلِّ مَكَانٍ
فَخَاطَبْتُ مَوْجُوداً بِغَيْرِ تَكَلُّمٍ وَلَا حِظْتُ مَعْلُوماً بِغَيْرِ عَنَانٍ

آداب الذكر

كل عبادة خلت من الآداب فهي ناقصة ، والأدب سنة الرسول ﷺ وهو القائل : ﴿ أَدْبِي رَبِّي فَأَحْسِنْ تَأْدِييَ ﴾ .

والأدب رأس مال الأخلاق والأخلاق من أرقى صفات النبي ﷺ الذي وصفه ربه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣). فالعبد لا يصل إلى حضرة الرسول ﷺ إلا بعد أن يكون قد جلله الأدب الذي قد يليق به للوصول إلى حضرة المصطفى ﷺ ، أما كيف يكون أدبه للوصول إلى الخالق العظيم فلا بد له من جهد عظيم حتى يصل إلى القدر المطلوب من الأدب وهذا عمل المشايخ الكرام مع المريدين حيث يقومون بتصفياتهم وتربيتهم وتعليمهم حدود هذا الأدب .

وقد عد الشيوخ آداباً كثيرة يجب أن يتحلى بها المرید الصادق منها :

١ . التوبة النصوح .

٢ . الغُسل والوضوء كلما أراد الذكر ، اخرج ابن جرير عن ابن عمر رضی اللہ عنہما قال ان استطعت ان لا تذكر الله إلا وأنت طاهر فافعل .

١ - المصدر نفسه .

٢ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية .

٣ - القلم : ٤ .

٣ . ان يربط مع شيخه روحياً ولا يغيب عنه ليحصل له الاتصال مع الرسول
ﷺ روحياً عن طريق سلسلة المشايخ .

٤ . ان يرى ان استمداده من شيخه هو حقيقة من رسول الله ﷺ .

وهذه آداب تكون قبل الذكر ، أما الآداب التي تكون أثناء الذكر فهي :

١ . الجلوس في مكان طاهر بوضع يشبه الصلاة وليس ضرورياً ان يستقبل
القبلة وإنما يستحب ذلك في حالة الذكر المفرد أما إذا كان الذكر جماعياً فيتكئون
على شكل حلقة .

٢ . ان يغمض عينيه ليسد طرق الحواس الظاهرة شيئاً فشيئاً ، وسدها يكون
سبباً لفتح حواس القلب .

٣ . الإخلاص وتصفية العمل من كل شوب فبالصدق والإخلاص يصل
العبد إلى مقام الصديقية .

٤ . تفريغ القلب من كل موجود سوى الله حال الذكر فالحق تعالى غيور لا
يجب ان يرى في قلب الذاكر غيره إلا بإذنه .

٥ . ألا يظهر المرید حاله الذي يطرأ عليه أثناء الذكر ويكتمه قدر المستطاع .
وهناك آداب أخرى بعد الذكر وهي :

١ . ان يسكن المرید بعد الانتهاء ويخضع لعله يرد عليه وارد فيعمر وجوده في
تلك اللحظة .

قال الإمام الغزالي : وهذه السكينة آداب أحدها استحضر العبد ان الله تعالى
مطلع عليه وانه بين يدي الله وثانيهما جمع الحواس بحيث لا يتحرك منه شعرة ،
وثالثها نفي الخواطر كلها وإجراء معنى الله الله على القلب .

٢ . ان يذمه نفسه مراراً وبقدر ثلاثة أنفاس إلى سبعة أو أكثر حتى يدور
الوارد في جميع حواسه فتتنور بصيرته وتقطع عنه خواطر النفس والشيطان .

٣ . عدم شرب الماء البارد بعد الانتهاء من الذكر مباشرةً لان الذكر يورث
حرقة وهيجاناً وشوقاً والماء يبرد ذلك .

الذكر الكسنراني

الذكر يعني تمجيد الله ﷻ وترديد أسمائه بتركيز تام وترابط كامل قلباً ولساناً
فعن الرسول ﷺ انه قال : ﴿ من قال لا اله إلا الله دخل الجنة ﴾ أي انه من اقر
بلسانه وصدق بقلبه بأنه لا اله ولا معبود ولا موجود ولا خالق ولا حاكم ولا رقيب
سوى الله تبارك وتعالى أي انه آمن وعمل وطبق ما بين دفتي الكتاب (القرآن
الكريم) من إيمان بالله تعالى وكتبه ورسله وبما جاء به سيدنا محمد ﷺ نور رب
العالمين وسيد المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين وسار على هديه ونهجه القويم وسيرته
وسيرة أهل بيته الطاهرين مستقيماً عدلاً محباً متفانياً في حب الله تعالى وحبيبه
العظيم محمد ﷺ وآله الطيبين حتى وافاه الأجل المحتوم وتلقته المنية فإنه لا ريب من
أهل السعادة والجنة والنعيم وفي مقام كريم عند ربه الجليل تصديقاً لقول الرسول
ﷺ الآنف الذكر .

وتقام حلقات الذكر الرسمي يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع بعد صلاة
العشاء فيقف المريدون بشكل حلقة ، ثم يقف مسؤول الحلقة في وسطها ويستعد
الجميع بتركيز تام ورابطة روحية مع الشيخ ﷺ .

ثم يبدأ الجميع بإشارة من مسؤول الحلقة ترديد الأوراد الآتية ويتم الانتقال من
ورد إلى آخر بإشارة من مسؤول الحلقة :

- ١ . الله استغفر الله دائم استغفر الله .
- ٢ . لك الحمد يا قدوس لا اله إلا الله .
- ٣ . يا الله دائم الله .
- ٤ . يا دائم الله دائم .
- ٥ . يا حي أنت الحي ليس الباقي إلا حي .
- ٦ . يا باقي أنت الباقي ليس الباقي إلا الله .

٧ . يا هادي أنت الهادي ليس الهادي إلا الله .

وتكون تلاوة هذه الأوراد غير محددة بعدد وإنما على مسؤول الحلقة تقدير ذلك .

ثم يدعو مسؤول الحلقة بهذا الدعاء (اللهم يا حي يا قيوم ، يا بديع السموات والأرض يا مالك الملك ويا ملك الملوك يا ذا الجلال والإكرام نسألك اللهم يا ربنا ان تحيي قلوبنا وسمعنا وأبصارنا وأرواحنا بنور معرفتك أبداً دائماً باقياً هادياً يا الله) .

وما ان ينتهي المسؤول من هذا الدعاء حتى يردد الجميع (يا الله) وهم ينحنون إجلالاً وتعظيماً لله ﷻ ثم يعتدلون وهكذا لعدة مرات حتى يشير مسؤول الحلقة بالانتقال إلى الأذكار الآتية :

يا الله دائم الله .

يا دائم الله دائم .

الله الله الله هو هو ، هو الله هو . وتلفظ كلمة (هو) الأخيرة بصوت مرتفع . الله ، الله ، الله هو هو ، هو الله . ويلفظ لفظ الجلالة (الله) بصوت مرتفع . ثم يردد الجميع ورد (يا كريم) بصوت منخفض وهم ينحنون ذلاً وخشوعاً أمام الله ﷻ .

ثم يقول مسؤول الحلقة (يا الله ، يا دائم ، يا كريم ، يا ستار ، يا رحمن ، يا رحيم ، يا الله) وتردد الجموع ورد (حي الله ، الله) بعد كل اسم من أسماء الله الحسنى ، فإذا وصل المسؤول إلى لفظ الجلالة (يا الله) استمرت الجموع بترديد (حي الله ، الله) إلى ان يشير مسؤول الحلقة بالانتقال إلى ورد آخر وهو قراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات قراءة جماعية وبصوت جهوري ، ثم تسكن الجموع ويسود الهدوء فيتقدم مسؤول الحلقة لطلب الإمداد ، فيقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، حمداً أزلياً بأبديته ، أبدياً بأزليته ، سرمداً بإطلاقه ،
متجلياً في مرايا آفاقه ، حمد الحامدين ودهر الداهرين . يقول (الذاكرون) (مدد)
بصوت عالي)

• وصلوات الله وملائكته وحمله عرشه وجميع خلقه من أرضه وسمائه على سيدنا
ونبينا أصل الوجود وعين الشاهد والمشهود ، وأول الأوائل وأدل الدلائل ، ومبدأ
الأنوار الأزلي ومنتها العروج الكمالي ، غاية الغايات بالنشآت ، أب الأكوان
بفاعليته ، وأم الامكان بقابليته ، المثل الأعلى الإلهي ، هولي العوالم الغير متناهي ،
روح الأرواح ونور الأشباح ، فالق صباح الغيب ورافع ظلمة الريب متحد التسعة
والتسعين ، رحمة للعالمين سيدنا في الوجود صاحب لواء الحمد والمقام المحمود ،
المبرقع بالعماء ، حبيب الله مُحَمَّد المصطفى ﷺ . (يقول الذاكرون) (مدد) بصوت
عالي) .

• وعلى سر الأسرار ومشرق الأنوار ، المهندس في الغيوب اللاهوتية ، أنموذج
الواقع ، وشخص الإطلاق ، المنطبع في مرايا الأنفس والآفاق ، سر الأنبياء
 والمرسلين ، وسيد الأوصياء والصديقين ، الصورة الالهية ، مادة العلوم الغير
المتناهية ، الظاهر البرهان ، الباطن بالقدر والشأن ، بسملة كتاب الوجود ، حقيقة
النقطة البائية ، المتحقق بالمراتب الإنسانية ، حيدر آجام الإبداع الكرار في معارك
الاختراع ، السر الجلي والنجم الثاقب ، إمام الأئمة ، علي ابن أبي طالب عليه السلام .
(يقول الذاكرون) (مدد) بصوت عالي) .

• مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني القطب الرباني
والهيكل الصمداني والقنديل النوراني والسر السبحاني جامع الأسرار والمعاني شيخ
الإنس والجان محيي السنة والدين باز الله الأشهب أبا صالح حضرة السيد الشيخ
عبد القادر الكيلاني رحمته الله . (يقول الذاكرون (مدد) بصوت عالي) .

• مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني العارف بالله حق
العرفان وخادم القرآن من نسل عدنان صاحب مراتب الكمال حضرة السيد الغوث
إسماعيل الولياني رحمته الله . (يقول الذاكرون (مدد) بصوت عالي) .

• مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني جامع الأسرار
والمعاني شيخ الإنس والجان ومرشد الزمان منبع العلم والعرفان حضرة السيد الغوث
عبد الكريم الشاه الكسنزان رحمته الله . (يقول الذاكرون (مدد) بصوت عالي) .

• مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني شيخ الكسنزان
شيخ الأصغر والأكابر في دين الله مهاجر حضرة السيد الشيخ الغوث عبد القادر
الكسنزان رحمته الله . (يقول الذاكرون (مدد) بصوت عالي) .

• مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني شيخ الكسنزان
غوث الثقلين مربي المريدين وقدوة السالكين حضرة السيد الشيخ الغوث السلطان
حسين الكسنزان رحمته الله . (يقول الذاكرون (مدد) بصوت عالي) .

• مدد يا سيدي وسندي ومرشدي وتاج رأسي ونور عيني العارف بالله حق
العرفان صاحب مراتب الكمال حضرة السيد الشيخ الغوث عبد الكريم الكسنزان
قدس سره . (يقول الذاكرون (مدد) بصوت عالي) .

• ثم يستمد مسؤول الحلقة من أستاذ الطريقة الحاضر . ثم يقول مسؤول
الحلقة ، كلکم عونٌ وغوثٌ ومدد . ويشير إلى ضارب الطبله فتضرب بحركة متوسطة
بين السرعة والبطء وتردد الجموع بصوت واحد ذكر (حي الله ... حي الله)
الجهري مع تحريك الرأس يميناً وشمالاً ، إلى أن يشير مسؤول الحلقة للانتقال إلى ذكر
آخر هو ذكر (حي الله ... حي الله) المخفي وهو ذكر سيدنا الغوث الأعظم
السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره ، وحركته تشبه حركة الذكر الأول مع انحناء
بسيط إلى الإمام ، ثم ينتقل إلى ذكر آخر هو ذكر (حي ، حي ، حي الله ...
حي ، حي ، حي الله) الجهري وتطبيقه كما يأتي :-

(حي) الأولى مصحوبة بحركة الرأس يميناً ، (حي) الثانية مصحوبة بحركة
الرأس شمالاً ، (حي الله) الأخيرة مصحوبة بحركة الرأس يميناً مع مد صوت لفظ
الجلالة (الله) . وعند تكرار هذا الذكر في المرة الثانية يكون ما يأتي :-
(حي) الأولى مصحوبة بحركة الرأس شمالاً ، (حي) الثانية مصحوبة بحركة
الرأس يميناً ، (حي الله) الأخيرة مصحوبة بحركة الرأس شمالاً .

وتستمر الجموع على هذا الذكر إلى أن يتم الانتقال إلى ذكر (دائم ، دائم)
الذي يُسمع دويّه من الذاكرين أشبه بصوت منشار ينشر الخشب ، وفي هذا الذكر
تُسرع ضربات الطبله ، وحركة هذا الذكر يميناً وشمالاً ، ثم يشير مسؤول الحلقة إلى
الانتقال إلى آخر هو ذكر (حي ، حي ، حي الله) وتُخفف ضربات الطبله ، ثم
يُنتقل إلى ذكر آخر هو ذكر (دائم ، دائم) ، بعدها يشير مسؤول الحلقة إلى
جلوس الذاكرين مع ترديدهم هذا الذكر ، بعدها يُختم هذا الذكر ويُشار إلى إيقاف

الطبله ويردد الجميع ذكر (يا الله يا حي يا قيوم) بعدد خمسين مرة ، ثم تُقرأ الفاتحة .

إن الحركة في الذكر الكسنزاني واجبة حيث قال الله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾^(١). وإن هذه الحركة يميناً وشمالاً مندوبة ذلك لما روى الحافظ أبو نعيم بن عبد الله الاصبهاني بسنده عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه وصف الصحابة يوماً فقال كانوا إذا ذكروا الله مادّوا كما تميد الشجر في اليوم الشديد الريح وجرت دموعهم على ثيابهم .

السمع في الطريقة

هو تلقي الأصوات بجميع أنواعها بأذان السامعين عن طريق تردد الموجات الصوتية الصادرة من مصادرها الأساسية مثل الطبل أو الآلات الموسيقية الأخرى . فالنفس الإنسانية لها ميل وتعلق شديد بالأصوات العذبة الحسنة ولاسيما في أوقات حلقات الذكر أو قراءة القصائد أو المدائح النبوية الشريفة .

وإذا كان الصوت عذبا حلواً منغماً والقصيدة جيدة مختارة مؤداة بصوت رخيم وأسلوب مؤثر جذاب سرعان ما تندفع النفوس إلى الانفعال الروحي مع هذا الحال الذي تُكوّنه أجواء الذكر المفعمة ببركات المشايخ الوفيرة التي تعم الذاكرين جميعاً وتنتابهم أثر ذلك السكر الإلهية الروحية التي تتحقق بحضور أرواح المشايخ الكرام ، حيث ينتقل المرید إلى عوالم جديدة من الطرب والغبطة والحضور سابحين في العالم العلوي : ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ ﴾^(١) . فيتمايلون يميناً وشمالاً ويقومون بحركات غير إرادية ناتجة عن الجذبة الحاصلة من سمو أرواحهم والتقاءها بأرواح المشايخ وتلقي الفيض الرباني منها . قال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾^(٢) .

وتكمن أهمية السماع للقصائد الدينية في وجد الرسول ﷺ وتمايل جسده النوراني لدرجة سقوط البردة المباركة عن كتفه الشريف عند سماعه الآيات الآتية :

يا من يُحب أنين العبد والندم	يا من لديه دواء الداء والسقم
نام العيون وعين العبد ساهرة	تبكي ببابك وسط الليل في الظلم
لا تقطعن رجائي فيك يا صمدي	يا غافر الذنب للمراجعين بالكرم
ارحم بفضلك لا تنظر إلى عملي	إن الكريم كثير العفو عن خدم

١ - آل عمران : ١٧٠ .

٢ - الإسراء : ٣٦ .

ويروى انه عليه السلام لم يلبس بردته تلك بعد ذلك وتم تقسيمها بين الصحابة تبركاً
ثم نزل جبريل عليه السلام في الحال فقال : أن الله يقرؤك السلام ويطلب قطعة من البردة
لتعليقها في العرش .

ولقد افردنا هذا المجال للسمع نظراً لأهميته في سلوك أهل الطريقة واعتمدنا
آراء العلماء والأئمة ومشايخ الطريقة في إجازة السماع وهم يحتجون بأحاديث نبوية
شريفة أو عمل شريف من سنة الرسول عليه السلام .

فالسمع في كلام العرب مصدر ، يقال سمع يسمع سمعاً وسماعاً بدليل قولهم
أخذ العلم عنه سمعاً وسماعاً أي مشافهة ومكاملة ، ويقال أيضاً عن الفهم سمعاً كقوله
تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾^(١) . أي افهمهم .

أما تعريف أهل الطريقة للسمع فليس ثمة تعريف محدد يمكن الركون إليه فقد
اختلف المشايخ الكرام في تعريفه باختلاف درجاتهم واختلاف مشاربهم .

قال ذو النون المصري : « السماع وارد يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى
إليه بحق تحقق ومن أصغى إليه بنفس تزندق »^(٢).

وقال الجنيد رضي الله عنه : « السماع فتنة لمن طلبه وترويج لمن صادقه »^(٣). وقد عرّفه
الشيخ أبو بكر الشبلي رضي الله عنه فقال : « السماع ظاهره فتنة وباطنه عبدة فمن عرف
الإشارة حل له استماع العبدة وإلا فقد استدعى الفتنة »^(٤).

وعرّفه محيي الدين بن عربي فقال : « الانتباه بالقلب إلى ما يحمد شرعاً
واستماع القول الذي أثنى الله عليه وأمر باستماعه وإتباع أحسنه »^(٥).

١ - الأنفال : ٢٣ .

٢ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية .

٣ - المصدر نفسه .

٤ - المصدر نفسه .

٥ - د . كوكب عامر - السماع عند الصوفية ص ٢٦ .

وقال أبو علي الروذباري : « السماع مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب
«(١). وعرفه الإمام محمد الباقر عليه السلام في معرض رأيه عن السماع : إن موت القلوب
من شهوات النفس وحياة القلب في رفض شهوات النفس كلما رفض العبد شهواتها
نال من الحياة وإن سماع دليل على حياة القلوب فهو للأحياء لا للأموات ، قال
تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾^(٢). والأحياء هم الذين يحيون حياة روحية
مرتفعة عن الشهوات والأهواء فالسماع في نظر الإمام الباقر عليه السلام دليل على حياة
القلوب .

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني : اعلم إن السماع سر من أسرار الله تعالى
يظهر في الصادقين من العشاق ولا يعرفه حق المعرفة إلا من ذاقه وقسمه على
نوعين :-

١ . سماع تقليدي : هو ما يفعله المتشبه ليلتحق بأرباب الأحوال والمواجيد
فمن تشبه بهم فهو منهم .

٢ . سماع حقيقي : هو ما قال فيه الحق تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ﴾^(٣). وهو عنده يقسم إلى
قسمين :-

أ . سماع طبيعي : هو ما يحدث بالأصوات الحسنة والنفحات وصاحبه يسمع
بطبعه ونفسه وهواه فيكون حظه من مسموعه ما وافق طبعه وهو لا يصلح إلا لمن
كان قلبه صافياً ونفسه قد تهذبت .

ب . سماع روحاني : فهو سماع الخاصة لكلمات الله تعالى وإدراكها وفهما
وتدبر معانيها والانفعال بها وهو سماع مطلق لأصحاب الهمم العالية والنفوس الزكية
والقلوب المتنورة بنور الله وهؤلاء لا تؤثر فيهم النفحات .

١ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية .

٢ - النمل : ٨٠ .

٣ - الزمر : ١٨ .

وعرّفه أبو بكر الكلاباذي بقوله : « السماع استجمام من نصب الوقت وتنفس لأرباب الأحوال واستحضار الأسرار لذوي الأشغال »^(١).

وعرّفه أبو يعقوب النهرجوري بقوله : « السماع حال يدي الرجوع إلى الأسرار من حيث الاحتراق »^(٢).

وعرّفه الإمام الغزالي بقوله : « السماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا تصل نفس السامع إليه إلا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه »^(٣).

دليله في الكتاب والسنة

إن أهل الطريقة من السالكين لم يفعلوا فعلاً ما لم يكن فيه تصريح من كتاب الله الكريم أو من سنة رسوله الكريم ﷺ فالسماع وإن كان لا زال في نقاش عند بعض من أنكره من الذين يأخذون الأمور بظواهرها ، يبقى ركناً مهماً من أركان الطريقة لأن فيه حياة القلوب ، وإثارة الشوق للمحبوب وهو الله ﷻ أو لرسوله ﷺ أو لأوليائه من المشايخ الكرام الذين هم وسيلة السالك للوصول إلى الله تعالى .

وهو قبل هذا وأهم من كل ما قيل : المتمعن بآيات الله الكريمة عند سماع القرآن وآياته ، ففي الصوت الحسن والقراءة الجيدة يكون وقع كلمات الله على القلب أكثر شدة وتأثيراً وأكثر شوقاً لسماع المزيد والاستئناس بكلمات الله العلي القدير . وشدة الخوف والخشية من بعض الآيات الكريمة ، حتى أن بعضهم يقع مغشياً عليه من الخوف أو يخر صعباً ، وكيف لا ؟ والله ﷻ يقول في القرآن الكريم : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ

١ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية .

٢ - المصدر نفسه .

٣ - الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٨٧ .

الله ﴿١﴾. ولكن القلوب الصدئة الميتة لا تؤثر فيها قراءة القرآن شيئاً ، فأولئك مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، أما الذين إذا ما سمعوا آية نزلت على رسول الله ﷺ فاضت أعينهم من الدمع فأولئك في مقام الصدق والإخلاص وبشرهم الله ﷻ بقوله : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٢). فلقد ربط ﷻ بين السماع : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ﴾ وبين الهدى وأنهم هم ﴿ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ أي أصحاب العقول فمن يكن ذا عقل فهو عالم ومن كان عالماً بالله خضع من قول الله قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٣). وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٤). وقد قيل في تفسير هذه الآية : وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لأنه تارة يثير حزناً والحزن حار وتارة يثير شوقاً والشوق حار ويثير ندماً والندم حار فإذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين أبكى وادمع ، لان الحرارة والبرودة إذا اصطدما عصرا ماءً .

وقال تعالى : ﴿ تَفْشَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ (٥). فإذا ألمَّ سماع بالقلب يخف ألماً أحياناً فيظهر أثره في الجسد ويقشعر منه الجلد .

وفي وصفه تعالى لـ (عباد الرحمن) قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (٦). أي يسمعونها ويتأثرون بها . وقد سأل الشيخ الجنيد رحمته الله : ما بال الإنسان يكون هادئاً فإذا سمع السماع اضطرب ؟ فقال : إن الله تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ

١ - الحشر : ٢١ .

٢ - الزمر : ١٧ ، ١٨ .

٣ - فاطر : ٢٨ .

٤ - المائدة : ٨٣ .

٥ - الزمر : ٢٣ .

٦ - الفرقان : ٧٣ .

قَالُوا بَلَى ﴿١﴾. استغرقت عذوبة سماع الكلام والأرواح ، فلما سمعوا السماع حركهم ذلك .

إن تدبر القرآن الكريم ضرورة إيمانية والإنصات كذلك وهو أمر الهي أمرنا به ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢). ثم قال ﷺ : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٣).

أما الأحاديث النبوية الشريفة التي يفهم منها إباحة السماع تصريحاً أو تلميحاً فهي كثيرة تُستقى من الحوادث التي قيلت فيها هذه الأحاديث الشريفة سواء ما كان منها مخصوص بقراءة القرآن الكريم أو الأشعار أو القصائد أو الغناء في مناسبات .

قال ﷺ : ﴿ حسنوا القرآن بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً ﴾ وقال ﷺ : ﴿ لكل شيء حيلة وحيلة القرآن الصوت الحسن ﴾ وفي رواية انه قال ﷺ لأبي موسى الأشعري : ﴿ لو رأيته وأنا استمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت زمزماً من مزامير داود ﴾ (٤).

• وروى عن عبد الله بن مسعود قال ، قال رسول الله ﷺ : ﴿ اقرأ عليّ القرآن ﴾ قال فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال : ﴿ أني اشتهي أن اسمعه من غيري ﴾ فقرأت النساء حتى إذا بلغت : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾ (٥). غمز لي رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه ﷺ تسيل .

١ - الاعراف : ١٧٢ .

٢ - الاعراف : ٢٠٤ .

٣ - الحج : ٢٤ .

٤ - رواه مسلم في صحيحه .

٥ - النساء : ٤١ .

• وروى ابن ماجة في سنته عن عبد الرحمن بن السائب قال : قدم علينا سعد بن أبي وقاص وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من أنت ؟ فأخبرته ، فقال : مرحباً يا ابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا وتفننوا به ، فمن لم يتفنن به فليس منا ﴾^(١).

أما سماعه ﷺ استمع إلى حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ ويقول له : « إن روح القدس مع حسان ما دام ينافح عن رسول الله ﷺ »^(٢).

وقد انشد النابغة الجعدي :

ولا خير في حُكم إذا لم يكن له بوادٍ تحمي صفوة أن يُكدرا
ولا خير في أمرٍ إذا لم يكن له حكيمٌ إذا ما أوردَ الأمرُ أصدرًا

فقال ﷺ : ﴿ أحسنت يا أبا ليلى لا يفيض الله فاك ﴾ فعاش النابغة أكثر من مائة سنة وكان أحسن الناس ثغراً^(٣).

• وروى عن أنس بن مالك إن النبي ﷺ مرَّ ببعض المدينة فإذا هو بجوارٍ يضرب بالدفوف ويتغنين ويقلن : جوار من بني النجار يا حبذا مُحَمَّد من جار فقال النبي ﷺ : ﴿ الله يعلم إني لأحبكن ﴾^(٤).

السماع عند من أجازوه

• أباح الشيخ الجنيد البغدادي شيخ الطريقة وحامل لوائها السماع وإنشاد القصائد الدينية ويرى أن رسول الله ﷺ قد سمع الغناء وأذنَّ به ولا حرمة في أمر

١ - سنن ابن ماجة ج ١ ٤٢٤ .

٢ - الشيخ عمر السهروردي - عوارف المعارف ص ١٠٨ .

٣ - سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٦١٢ .

٤ - المصدر نفسه .

يريح النفس ما دام ليس فيهما يخالف الشرع ، والغناء الديني يُقَرَّب العبد إلى ربه ويشوقه إليه فله في ذلك ثواب أعظم وخير أوفر^(١).

• الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله : تطرق إلى السماع في كتاب الغنية وذكر باباً في آداب السماع بما لا يدع مجالاً للشك بجواز السماع عنده .

• الشيخ ذو النون المصري رحمته الله : يرى إن السماع يبعث على الوجد ويرقق القلب ويعرج به إلى الحق في حال صفائه ونقاؤه إذا كان صاحبه صادقاً ويقول : « من يستمع الغناء طلباً للمتعة وإثارة الشهوة فانه عمل غير جائز وصاحبه زنديق »^(٢).

• الشيخ محيي الدين بن عربي رحمته الله : أوضح معنى السماع وآدابه ودوره كرياضة عملية في إثارة وجد السامعين كما أوضح درجات السامعين ومقاماتهم . وأكد على اجازته شرعاً .

• الشيخ عمر السهروردي رحمته الله : « يرى إباحة سماع القصائد التي تذكر بالجنة والنار وتشوق إلى دار القرار وتصف نعيم الملك الجبار مما يثير العزائم والوجد »^(٣).

• الإمام القشيري رحمته الله : أجاز السماع مستنداً في ذلك إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فيقول في تفسير الآية الكريمة : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾^(٤). إن الله ذكر القول على وجه العموم ومعنى العمومية إن الغناء متضمن في القول لذلك فهو جائز ولا حرمة فيه أما الأشعار فمن الثابت أنها أنشدت بين يدي رسول الله صلوات الله عليه وانه سمعها ولم ينكرها ، فإذا جاز سماع الشعر بغير لحن فيجوز كذلك الحكم بأن تسمع الألحان ، ويروي القشيري في حفر الخندق إن الأنصار كانوا يحفرون فجعلوا يقولون :

١ - د . كوكب عامر - السماع عند الصوفية ص ١٩٦ .

٢ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية .

٣ - الشيخ عمر السهروردي - عوارف المعارف .

٤ - الزمر : ١٧ ، ١٨ .

نحن الذين بايعوا محمداً
على الجهاد ما بقينا أبداً
فأجابهم الرسول ﷺ :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة
فأكرم الأنصار والمهاجرة
ويروى أن السلف الصالح وخيار الصحابة سمعوا الأبيات الشعرية بالألحان مثل
الإمام مالك وأهل الحجاز كلهم أجمعوا على إباحة الحداء للإبل في المسير وهو نوع
من الغناء .

• الحافظ بن طاهر المقدسي : أجاز السماع فقال : إن الحلال ما أحله الله
ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله وعلينا أن نقتدي بالرسول ﷺ والخلفاء
الراشدين من بعده وقد اعتمد في إجازة السماع على أدلة من الكتاب والسنة ، كما
أستدل بما روي عن عائشة رضي الله عنها : « إن رسول الله ﷺ سافر سافراً فنذرت جارية
من قريش إن رده الله ﷻ أن تضرب في بيت عائشة بدف فلما رجع ﷺ جاءت
الجارية فقالت عائشة للنبي ﷺ هذه فلانة بنت فلان نذرت إن ردك الله تعالى أن
تضرب في بيتي بدفٍ قال : ﴿ فلتضرب ﴾ (١). ويقول ﷺ : ﴿ لا نذر في
معصية ﴾ فلو كان الضرب بالدف معصية لما سمح الرسول ﷺ أن تفعل .

وكذلك استدل بأصحاب رسول الله ﷺ فقال : « قال ابن عبد الرحمن
خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحج الأكبر حتى إذا كنا بالروحاء كلم الناس
رباحاً بن المعتز وكان حسن الصوت بغناء الأعراب فقالوا أسمعنا وقصر علينا
الطريق فقال أني أفرق من عمر ، فكلم القوم عمراً فقالوا إنا كلمنا رباحاً يسمعنا
ويقصر عنا المسير فأبى إلا أن تأذن له فقال يا رباح اسمعهم وقصر عنهم المسير فإذا
أسحرت فارفع وخذ لهم من شعر ضرار بن الخطاب ، فرفع عقيرته يتغنى وهم
مُحَرَّمُونَ » (٢).

١ - أخرجه احمد وصححه الترمذي ج ٢ ص ٢٧١ .

٢ - الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٧٠ .

السمع عند الغزالي

يفتح الغزالي كلامه عن السمع فيقول : (دل النص والقياس جميعاً على إباحته) ثم يفصل الغزالي فيقول : « إما القياس فهو أن الغناء اجتمعت فيه معاني ينبغي أن تبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فان فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الأعم انه صوت طيب ثم الطيب ينقسم الموزون وغيره والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات » (١).

ويقول الإمام الغزالي : إما سماع الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس ، أما النص فيدل على إباحته سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده إذ قال : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ (٢). ف قيل هو الصوت الحسن . وفي الحديث : ﴿ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الصَّوْتِ ﴾ (٣). وفي الحديث في معرض المدح للنبي داود عليه السلام انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يحمل في مجلسه أربع مائة جنازة وما يقرب منها في بعض الأوقات . ثم يقول وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (٤). يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز أن يقال إنما أبيح بشرط أن يكون بالقرآن الكريم للزم أن يحرم سماع صوت العندليب لأنه ليس من القرآن .

أما القياس فهو أن يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به ، وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك وان مدركات تلك الحاسة ما

١ - نفس المصدر .

٢ - فاطر : ١ .

٣ - أخرجه الترمذي في الشمائل .

٤ - لقمان : ١٩ .

يستلذ ، فلذة النظر في المبصرات الجميلة كالخضراء والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الألوان الجميلة ، وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة .

وللشم الروائح الطيبة وهي مقابلة المستكره ، وللدوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة المستشعبة ، وللمس لذة اللين والنعومة وهي مقابلة الخشونة والضراسة ، وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة ولذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كأصوات العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغير .

ثم يقول النظر في الصوت الطيب الموزون فان الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب ، والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة :

أ . تخرج من جماد كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطلل وغيره .
ب . تخرج من حنجرة حيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقمارى فهي من طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها ، فسماع الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة وموزونة .

ولا يستثنى من هذه إلا الملاهية والأوتار والمزامير التي ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها إذ لو كان المنع للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان ولكنها محرمة تبعاً لتحريم الخمر وذلك لعل ثلاث إحداها انه يدعو إلى شرب الخمر ، الثانية أنها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب فهي سبب انبعاث الشوق إذا قوى فهو سبب الإقدام ، الثالثة الاجتماع عليها لما صار من عادة أهل الفسق فتمنع التشبه بهم .

ج . الموزون والمفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فيقطع إباحته لأنه ما زاد إلا كونه مفهوماً غير حرام ، والصوت الطيب الموزون غير حرام فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع ؟ .

ثم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه أمر محظور حرم نثره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بالحنان أو لم يكن ، والحق فيه ما قال الشافعي رحمه الله إذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح .

إن الشعر على الرغم من إن الرسول ﷺ لم ينظمه كما جاء في الآيات الكريمة : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾^(١) . يبقى حقيقة انه قد انشد بين يدي رسول الله ﷺ كما أسلفنا بل وثبت تشجيعه للشعر وثبت كذلك بما لا يدع مجالاً للشك إن الإمام علي كرهه ، وهو وزير النبي ﷺ قد نظم الشعر نظماً ورجزاً مدحاً للرسول ﷺ وهجاء لأعداء الإسلام وله في ذلك ديوان كامل مطبوع كما ثبت كذلك إن بضعة المختار فاطمة الزهراء عليها السلام قد قالت الشعر في رثاء أبيها ﷺ في البيت المشهور :

صُبْتُ عليَّ مصائبٌ لو أنها صُبْتُ على الأيامِ عُذْنَ لياليا

كما أنشدت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها :

ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيتُ في خلفٍ كجلدٍ الأجرِ

ولقد انشد الشعر كثير من الصحابة إلا من لم يستطع قول الشعر فهو خارج عن القاعدة والبقية يقولون البيت والبيتين والقصيدة الكاملة ، فمن الذي يقول بان الشعر حرام ؟ اللهم إلا ما كان غرضه قذف المسلمين وهجاؤهم .

وقد خلص الغزالي إلى القول فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حراماً محضاً وقد يكون مباحاً وقد يكون مكروهاً وقد يكون مستحباً .

آداب السماع

ذكر المشايخ الكرام عدة آداب للسماع عند مُريدي الطرق نختار ما ذكره سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله في كتاب الغنية :

١ . ينبغي ألا يتكلفوا (أي الفقراء) السماع ولا يستقبلوه بالاختيار فإذا اتفق السماع فمن حق المستمع أن يقعد بشرط الأدب ، ذاكراً لربه يلقاه مشغلاً بحفظ قلبه من طوارق الغفلة والنسيان .

٢ . وإذا كان في القوم شيخ حاضر في السماع ، فالواجب على الفقير السكوت ما أمكنه مراعاة لحشمة ذلك الشيخ فان ورد عليه أمر غالب فبقدر الغلبة ويسلم إليه الحركة فإذا سكنت الغلبة فالأولى له السكوت مراعاة لحشمة الشيخ .

٣ . ولا ينبغي للفقير أن يتقاضى القارئ ولا القوال أن استبدل القول الذي هو أدنى بالذي هو خير على ما هو عادة أهل الزمان فلو صدقوا في قصدهم وتجردهم وتصرفهم لما انزعجوا في قلوبهم وجوارحهم بغير سماع كلام الله وعز وجل .

٤ . وينبغي للفقير أن لا يتقاضى القارئ والقوال بال تكرار والإعادة بل يكل ذلك إلى الحق سبحانه إن شاء قيض من ينوب عنه في التقاضي أو يهّم القوال بالتكرار إذا كان الفقير المستمع صادقاً وله التكرار دواء مصلحة .

وقد ذكر الإمام الغزالي أداباً أخرى للسماع منها :

١ . مراعاة الزمان والمكان والأخوان ومعناه لا يجوز الاشتغال به في أوقات معينة مثل حضور الطعام أو الصلاة ، ولا يجوز أن يكون في شارع وإذا حضره رجل متكبر من أهل الدنيا .

٢ . أن يكون مصغياً إلى ما يقول القارئ حاضر القلب قليل الالتفات إلى الجوانب متحرزاً عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من الوجد .

٣ . أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه .

٤ . موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء .

هـ . أن يوافق إشارات الشيخ في الهدوء والسكينة أو القيام إذا قام وإن لا يغيب عن النظر إلى الشيخ دائماً .

الباب السابع

* أعلام الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

– السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني

– السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان

– السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان

– السيد الشيخ حسين الكسنزان

– السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان

* السبحة حبل النجاة

* أورااد الطريقة الكسنزانية

* التكية بيت الذكر

* سلسلة مشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

* سلسلة النسب الشريف

* نداء إلى الناس جميعاً

الدنيا

ناعمة الملمس حادة الأسنان سامة اللسان،

مرأس مالتا فيها العبادة

السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان (قدس الله سره)

أعلام

الطريقة العلية القادمية الكسنراية

السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكيلاني قدس الله سره العزيز

هو شيخ الشيوخ القنديل النوراني والهيكل الصمداني غوث الإنس والجان محيي السنة والدين باز الله الأشهب ، حضرة الغوث عبد القادر الكيلاني السيد الشريف وَلَدَ من أبوين زاهدين وكان أبوه من الأشراف السيد عبد الله الزاهد بن يحيى بن مُحَمَّد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عليه السلام أجمعين . والدته الكريمة هي أم الخير أمة الجبار فاطمة بنت السيد عبد الله الصومعي الزاهد بن الإمام جمال الدين السيد مُحَمَّد بن الإمام السيد محمود بن الإمام أبي العطاء عبد الله بن الإمام كمال الدين عيسى بن الإمام السيد أبي علاء الدين مُحَمَّد الجواد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام مُحَمَّد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عليه السلام أجمعين .

ونقل عنها إنها كانت تقول : لما وضعت ابني عبد القادر كان لا يرضع ثديَّه نهار رمضان ، وغمَّ على الناس هلال رمضان فأتوني وسألوني عنه فقلت لم يَلْقَم اليوم ثدياً ، ثم أتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان واشتهر ذلك في بلاد جيلان ، انه وَلَدَ للأشراف وَلَدٌ لا يرضع في نهار رمضان وقيل إن أمه حملت به وهي بنت الستين سنه ويقال : لا تحمل لستين سنة إلا قريشية ولا تحمل لخمسين إلا عريية .

ولد شيخنا قدس سره سنة (٤٧٠ هـ) الموافق (١٠٧٧ م) في قصبة من بلاد جيلان وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان ، وقال الشيخ شمس الدين الدمشقي ولد ببلدة الجيل سنة سبعين وأربعمائة للهجرة ، وقال الجيل موضعان أحدهما اسم لصقيع واسع مجاور لبلاد ديلم مشتمل على بلاد كثيرة ، والآخر بلدة الشيخ عبد القادر الكيلاني . وكان أبوه من جملة مشايخ جيلان وكان مجاب الدعوة وإذا

غضب انتقم الله عَجَلِك سريعاَ وإذا أحب أمراً فعله الله عَجَلِك كما يختار وكان مع ضعف قوته وكبر سنه كثير النوافل دائم الذكر ، ظاهر الخشوع صابراً على حفظ حاله ومراعاة أوقاته وقد كان يُخبرُ بالأمر قبل وقوعه ويقع كما يخبر .

بداية رحلته

تربى الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله في هذه العائلة الزاهدة العابدة حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره فطلب من أمه عليها السلام أن تهبه الله عَجَلِك ففعلت ، وخرج قادماً إلى بغداد موطن أهل العلم ، وذكر صاحب قلائد الجواهر انه لما دخل إلى بغداد وقف له الخضر عليه السلام ومنعه الدخول وقال له : ما معي أمرٌ أن تدخل إلا بعد سبع سنين فأقام على الشط سبع سنين يلتقط من البقالة من المباح حتى صارت الخضرة تبين من عنقه ثم قام ذات ليلة فسمع الخطاب يا عبد القادر أدخل إلى بغداد ، فدخل وكانت ليلةً مطيرة باردة فجاء إلى زاوية الشيخ حماد الدباس فقال الشيخ أغلقوا باب الزاوية وأطفئوا الضوء ، فجلس الشيخ عبد القادر على الباب فألقى الله تعالى عليه النوم فنام ، فلما كان عند الصبح فتح الباب فدخل الشيخ عبد القادر فقام إليه الشيخ حماد فأعتنقه وضمه إليه وبكى وقال له يا ولدي عبد القادر الدولة اليوم لنا وغداً لك فإذا وليت فاعدل بهذه الشيبة .

سلوكه طريق التصوف

أخذ رحمته الله الخرقه الشريفة ولبسها من القاضي أبي سعيد المبارك المخرمي وكان الشيخ المخرمي في ذلك الحين شيخ الطريقة ومجمع أهل الحقيقة وقد أخذها عن الشيخ علي الهكاري وأخذها عن الشيخ أبي فرج الطرطوسي وأخذها عن الشيخ عبد الواحد اليماني وأخذها عن الشيخ السري السقطي وأخذها عن الشيخ معروف الكرخي وأخذها عن الشيخ داود الطائي وأخذها عن الشيخ حبيب العجمي وأخذها عن الشيخ الحسن البصري وأخذها من بحر الطريقة ومجمع أهل الحقيقة

سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وﷺ أجمعين وأخذها عن السيد
السند العظيم مُحَمَّدٌ ﷺ وأخذها سيدنا الرسول الأعظم مُحَمَّدٌ ﷺ من جبريل عليه السلام
وأخذها من الحق ﷻ وتقدسست أسماؤه .

مدرسته

وكان لأبي سعيد المخرمي مدرسة لطيفة في باب الازج ففوضت إلى سيدنا عبد
القادر الكيلاني قدس سره فتكلم فيها على الناس بلسان الوعظ والتذكير ، وظهرت له
كرامات وصيت وقبول وضافت المدرسة بالناس من ازدحامهم على مجلسه ومن كثرة
الازدحام والضيق كان يجلس للناس عند السور مستنداً إلى باب الرباط على
الطريق ، ثم وسعت بما أضيف إليها من المنازل والأمكنة التي حولها وبذل الأغنياء
في عمارتها أموالهم وعمل الفقراء فيها بأنفسهم .

واكتملت المدرسة في سنة (٥٢٨ هـ) وصارت منسوبة إليه وتصدرها
للتدريس والفتوى والوعظ مع الاجتهاد في العلم والعمل .

وكانت لسعة علمه يفتي على المذاهب الأربعة وقُصدَ بالزيارات والنذور من
جميع الأقطار والبلاد واجتمع عنده بها من العلماء والصلحاء فحملوا عنه وسمعوا
منه وانتهت إليه تربية المريدين في العراق واختلفت الألسن ببدايع أوصافه .

وتخرج في مدرسته عدد كبير من الأولياء والعلماء وانتشروا في أرجاء المعمورة
يحملون تعاليمه السديدة بإرشاد الخلق وقد تاب على يديه معظم أهل بغداد واسلم
معظم اليهود والنصارى ، وكان يصدع بالحق على المنبر وينكر على من يولي
الظلمة .

ولما ولي المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين القاضي يحيى ابن سعيد المشهور بابن
المزاحم الظالم قال الشيخ على المنبر وليت على المسلمين اظلم الظالمين ، ما جوابك
غداً عند رب العالمين ارحم الراحمين ؟ فأرتعد الخليفة وبكى وعزل القاضي المذكور
لوقته .

كتبه ومؤلفاته

وله مؤلفات كثيرة مثل كتاب الغنية ، المواهب الرحمانية ، تفسير القرآن الكريم ، الرسالة الغوثية ، تنبيه الغبي إلى رؤية النبي ﷺ ، سر الأسرار في التصوف ، فتوح الغيب ، الفتح الرباني والفيض الرحماني ، رسالة الوصايا ، الفيوضات الربانية .

انتقاله

انتقل الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله بعد أن قضى عمره بالطاعة والعبادة ببغداد ليلة السبت الثامن من شهر ربيع الآخر سنة (٥٦١ هـ) - (١١٦٥ م) .

ودفن في الليل بمدرسته بباب الازج ببغداد ولكثرة الازدحام ولم يبق أحدٌ إلا جاء وامتلأت الحلبة والشوارع والأسواق والدور فلم يتمكن من دفنه في النهار رضي الله تعالى عنه .

منزلته

لقد أعطي الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله ما لم يُعط غيره من درجات القرب والتكريم فقد أعطي التمكين والتصريف وخضع له أكابر الأولياء ورجع إليه العارفون بالله وزفته العناية الإلهية زفافاً يُشعرُ بعظيم جلالته وحُمل بين يديه عَلم القطبية وتوج بتاج الغوثية وألبس خلعة التصريف العام النافذ في جميع الوجود ومشت أكابر الأولياء من الصديقين والبُدلاء تحت ركابه بأمر الإله المعبود وجمع بين علمي الظاهر والباطن ولم يبق أحدٌ ممن عُقد له لواء الولاية في أقطار الأرض أدناها وأقصاها إلا وشاهد ذلك وخضع له وسمع الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله يقول : قدمي هذه على رقبة كل ولي ووضع رأسه وذلك قلبه له في وقت واحد حتى الأبدال العشرة .

كراماته

• روي من طرق كثيرة بروايات شهيرة عن جماعة من المشايخ والأكابر والعلماء الأفاضل والأخيار والثقات انه قال عليه السلام في مجلسه وهو الكرسي يتكلم على الناس : قدمي هذه على رقبة كل ولي لله وكان في مجلسه حينئذ عامة مشايخ العراق منهم الشيخ أبو النجيب السهروردي والشيخ قضيب ألبان الموصلي والشيخ أبو السعود أحمد بن أبي بكر وغيرهم ولم يبق في ذلك الوقت من الحاضرين والغائبين في جميع آفاق الأرض إلا حنى رقبتة إلا رجلاً باصبهان فإنه لم يفعل فسلب حاله .

• وروي بالإسناد عن الشيخ عبد القادر عليه السلام انه قال حججت أول ما حججت بغداد وأنا شاب على قدم التجريد وحدي فلما كنت على المنارة المعروفة بأمر القرون لقيت الشيخ عدي بن مسافر وحده وهو شاب يومئذ فقال إلى أين ؟ قلت إلى مكة ، قال هل لك في الصحبة ؟ قلت أني على قدم التجريد ، قال وأنا كذلك فسرنا جميعاً فلما كنا ببعض الطريق إذا نحن بجارية حبشية نحيفة البدن مبرقة فوقفت بين يدي وحَدَّقت النظر في وجهي وقالت من أين أنت يا فتى قلت من العجم قالت قد أتعبتني اليوم قلت ولم ؟ قالت لأني كنت الساعة في بلاد الحبش وأشهدت أن الله تعالى تجلى على قلبك ومنحك من وصله ما لم يمنح بمثله غيرك فيما اعلم فأحببت أن أعرفك ثم قالت أنا اليوم اصطحبكما وافطر الليلة معكما قال فَجَعَلْتُ تمشي في جانب الوادي ونحن نمشي في الجانب الآخر فلما كان العشاء إذا نحن بطبق نازل من السماء فلما استقى بين أيدينا وجدنا فيه ستة أرغفة وخلاً وبقلاً فقالت الحمد لله الذي أكرمني وأكرم ضيفي انه ينزل عليّ كل ليلة رغيفان فأكل كل واحد منّا رغيفين ثم نزل علينا أيضاً ثلاثة أباريق فشربنا منها ماءً لا يشبه ماء الأرض لذة وحلاوة ثم ذهبت عنا في ليلتها تلك .

• وقال عليه السلام كنت في زمن مجاهدتي اسمع قائلاً يقول لي يا عبد القادر ما خلقت للنوم قد أحبيناك ولم تك شيئاً فلا تغفل عنا وأنت شيء .

• وقال أيضاً : والله ما أكلت حتى قيل لي بحقي عليك كل ولا شربت حتى قيل لي بحقي عليك اشرب وما فعلت شيئاً حتى أمرت بفعله .

• وعن عدي بن مسافر رضي الله عنه قال أمطرت السماء مرةً والشيخ محيي الدين عبد القادر رحمه الله يتكلم فتفرق بعض أهل المجلس فرفع رأسه نحو السماء وقال أنا اجمع وأنت تفرق ؟!! فسكن المطر عن المجلس وبقي على حاله يسقط خارج المدرسة ولا يقطر على المجلس قطرة .

• قال الشيخ أبو القسم عمر بن مسعود البزاز جاء شيخٌ ومعه شاب إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر رحمه الله وقال له ادع له فإنه ولدي ولم يكن ولده بل كانا على سريرةٍ غير صالحة فغضب الشيخ وقال قد بلغ أمركم معي إلى هذا الحد ؟ ودخل داره فوقع حريق في أرجاء بغداد من وقته وكلما أطفأ مكانٍ اشتعلت النار في مكان آخر ، قال ورأيت البلاء نازلاً على بغداد كقطع الغمام بسبب غضب الشيخ محيي الدين عبد القادر رحمه الله فأسرعت بالدخول عليه فوجدته على حاله مغضباً فجلست إلى جانبه وجعلت أقول له : يا سيدي ارحم الخلق قد هلك الناس حتى سكن غضبه فرأيت البلاء قد انكشف وأطفأ الحريق كله .

• قالوا زادت دجلة في بعض السنين حتى أشرفت بغداد على الغريق فأتى الناس إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني رحمه الله يستغيثون به فأخذ عُكازه واتي إلى الشط وركزه عند حد الماء وقال إلى هنا فنقص الماء من وقته .

• وقال عمر البزاز خرجت مع سيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله إلى الجامع يوم الجمعة الخامس عشر من جمادي الأولى سنة ست وخمسين وخمسائة فلم يسلم عليه أحد فقلت في نفسي يا عجبا نحن كل جمعة لا نصل إلى الجامع إلا بمشقة من ازدحام الناس على الشيخ فلم يتم خاطري حتى نظر أليّ الشيخ مبتسماً وهرع الناس إلى السلام عليه حتى حالوا بيني وبينه فقلت في نفسي ذاك الحال خيرٌ

من هذا الحال فألتفت أليّ مسابقاً لخاطري وقال يا عمر أنت الذي أردت هذا ،
أما علمت إن قلوب الناس بيدي إن شئتُ صرّفتها عني وإن شئتُ أقبلتُ بها إليّ .
وكرامات الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمته الله كثيرة لا تعد ولا تحصى ولو حاولنا
ذكرها لاشتملت عليها مجلدات عديدة ولكننا آثرنا أن نذكر القارئ الكريم ببعض
منها وله أن يرجع إلى الكتب التي تحوي كراماته إذا أراد الاستزادة .

السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان قدس الله سره العزيز

ولد حضرة السيد الشيخ الغوث عبد الكريم الشاه الكسنزان قدس سره عام (١٢٤٠ هـ) في المنطقة الشمالية من العراق وعرفت الطريقة الكسنزانية بهذا الاسم نسبة إليه ، وكان شاباً متوقد الذهن مقبلاً على الله بكل ما أوتي من عزم وهمة وكان نموذجاً رائعاً وقدوة مثلى وشعلة وهاجة تبدد الظلام ونبراساً يضيء الدرب أمام السالكين سائراً على هدي جده سيدنا محمد صلوات الله عليه لترسيخ القواعد الإسلامية وبناء النفس البشرية على الأسس الروحية للقرآن الكريم فأقبل على ربه بكل ما أوتي من عزم وإيمان نابذاً وراءه ما يشغله عن ذكر ربه من الأمور الدنيوية فبعد أن أخذ البيعة من خاله الشيخ عبد القادر قازان قايه اعتزل الناس وانفرد بمناجاة ربه ذاكراً لله متأملاً في خلقه محققاً الوصول إلى القرب من حضرته جل وعلا سالكاً طريقاً ما سبقه إليه أحد قبله فمكث في خلوته ألفاً وستمئة يوم يمارس مختلف المجاهدات ترقية لنفسه وسمواً بها إلى عالم الحق والتجلي .

لقد تحققت النبوءة التي بُشِّرَ بها أبوه قبل أن يتزوج بعدة أعوام بأنه سيُرزَق مولوداً يكون محبباً للدين ، ورمزاً لتوجيهات إلهية قدسية ، وواجهةً لخلفية محمدية ملحّة ، ونبراساً مضيئاً يُوقد بفيض من أسرار المعاني القرآنية وقيم الإسلام المؤصلة وركائز المداولة الإلهية للأيام وقوانين السنن الكونية الداعمة والشارقة .

ظهرت بدايات سلوكه ومجاهداته في شبابه حيث اعتكف بخلوة في جبل (سه كرمه) ، اختفى عن أنظار الناس ولم يعلم أحد مكانه طيلة مكوثه في خلوته مدة أربع سنوات يقتات من ورق النباتات وقطع الطين النقية ، جالساً نهاره يذكر الله ، قائماً ليله وجَلَّ القلب راکعاً ساجداً متقرباً إلى ربه جل وعلا .

لقد أُمِيط اللثام عن السر المكتوم سر اختفاء هذا الغوث الذي اعتقد كل الناس آنذاك بأنه قد مات ولكن لله في خلقه شؤون حيث انعم الله على أخيه برؤية عرف منها مكان اختفائه وخلوته ، فنهض الأخ مسرعاً متلهفاً لرؤيته قاصداً

الغوث المرشد إلى أن انتهى إليه فتعجب لما رأى وكادت روحه أن تزهق ، وحين سأله عن طعامه طيلة فترة مكوثه فناولته قطعة من الطين الأحمر مخلوطة بقطع من ورق الأشجار فأشار إليه أن يأكلها فما أن أكلها إلا أن أحس بلذة حلاوة ما بعدها لذة وبقي مدة أسبوعين مكتفياً من الأكل لا يشعر بجوع ورمق .

لقد عُرف السيد الشيخ الغوث عبد الكريم بلقب (شاه الكسنزان) والتي تعني (سلطان الغيب) ، قال تعالى : ﴿ اَلَمْ ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيْمُوْنَ الصَّلٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ ﴾^(١) . وقد اقترن اسم الطريقة العلية القادرية به فسميت من زمانه إلى يومنا هذا بـ (الطريقة الكسنزانية) .

استقر السيد الشيخ الغوث عبد الكريم شاه الكسنزان في قرية (كربجنه) في شمال العراق وأصبحت مركزاً لإرشاده الديني ، فبنى بها التكايا وأنشأ المدارس الدينية وأصبحت بحق قبلة كل المريدين والأتباع ومنبراً للعلم والنور ومقصداً لطلاب الحق والحقيقة من كل بقاع العالم .

صفاته

كان الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان رحمته الله رجلاً تقياً متصوفاً كثير الزهد والورع وكانت سيرته جهاداً دائماً للنفس وتجريداً للجسد من جميع الصفات المذمومة والتمسك الشديدة بسنة الرسول الأعظم صلوات الله عليه فاتخذ المجاهدة نهجاً له وأمر تلميذه أن ينهجوا نهجه الشريف في المجاهدة والتطهير والصفاء حتى يصبح الواحد منهم كومة من تراب يطأ عليها البر والفاجر وهي لا تنبت إلا الطيب وكان يكرر في قوله حديث الرسول صلوات الله عليه : ﴿ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ﴾ .

أقواله قدس الله سره

١ - البقرة : ١٧٠ ، ١٧١ .

• قال عليه السلام : يا ولدي إن الدنيا خيال وما فيها إلى زوال هم أبناء الدنيا إلى دنياهم وهم أبناء الآخرة آخرتهم إياك والدعوى الكاذبة .

• وقال أيضاً : الدنيا أولها ضعف وفتور وآخرها موت وقبور ، فاربط قلبك بالله واعرض عما سواه ، واجعل سلوكك في طريق الفقراء واستقم على قدم الشريعة واحفظ نيتك من دنس الوسواس وامسك القلب عن الميل إلى الناس وكل خبزاً يابساً وماءً مالحاً من باب الله ولا تأكل لحماً طرياً وعسلاً من باب غير الله وتمسك بسبب لمعيشتك بطريق الشرع من كسب حلال .

أيها المريء إياك من كسر قلوب الفقراء وصل الرحم وأكرم الأقارب واعف عمن ظلمك وتواضع لمن تكبر عليك أكثر من زيارة الفقراء ومصاحبتهم وقم بقضاء حوائج اليتامى وأكرمهم .

بعد أن أرسى قواعد الطريقة وإحياء سنة الرسول ﷺ وأعاد مجد الإسلام اختير سلطان الغيب السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان إلى جوار ربه عام (١٣٢٠ هـ) وأجاز بعده الجلوس على سجادة المشيخة ولده السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان .

كراماته

• بينما كان الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان جالساً في أحد مجالس التصوف ذات يوم ، رأى أحد الطيور الجارحة وهو يهاجم عصفوراً صغيراً ليأكله فرفع الشيخ يده وقال للعصفور تعال أحملك منه وإذا بالعصفور يلقي بنفسه في يد الشيخ عليه السلام .

• كان أحد أتباعه مُريداً زاهداً إذ طلب ذات مرة من حضرة الشيخ أن يرى الرسول ﷺ في المنام لأنه كان في غاية التشوق لرؤيته ، فقال له الشيخ إن الوصول إلى حضرة الرسول ﷺ ليس بالأمر اليسير ، فأذهب إلى كهف كذا في جبل كذا فلما دخل المريء الكهف رآه مليئاً بالذهب وبالأشياء الثمينة فقال له الشيخ أي

اعلم بأنك رجل فقير الحال ، خذ من الذهب ما تصبح به غنياً وتنجو من الفقر الذي أنت فيه فهذا مال الله ، قال المريـد أنـي اشتغلت بمجاهدة نفسي مدة عشرين سنة ولن أبـدل الآخرة بالدنيا وأنـي راضٍ بفقرـي ولا اطلب الغنى ، فقال له الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان رحمـه الله نجحت في الامتحان ، نم هذه الليلة فتشرف بحضور سيد الكائنات صلـي الله عليه وآله وسلم فنام المريـد وإذا بحضرة الرسول الأعظم صلـي الله عليه وآله وسلم يُشرف المريـد بحضوره ويقول له : (ادنُ مني لقد انتخبك ابني عبد الكريم لتحظَ برؤيتي) .

• توجه رجلٌ يهودي إلى قرية كربجـنه في زمن الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان ظاناً أنه يجد عند الشيخ الشاه الكسنزان علم السيمياء لتحويل المعادن إلى ذهب دون أن يعلن سبب مجيئه وذات يوم بينما كان الشيخ ذاهباً إلى حوض الماء الذي كان يتردد عليه للوضوء والصلاة الواقع خارج القرية رأى اليهودي في طريقه فقال له : إن الذي أتيت من اجله ليس هدفنا ولكن انظر إلى الصخرة التي أمامك فأشار إليها الشيخ بإصبعه فتحولت إلى ذهب خالص وقال خذها واذهب فتعجب اليهودي من ذلك وسأل الشيخ لماذا لا يستعمل هذا العلم للعيش برخاء فأجاب الشيخ أننا لو رغبتا في ذلك لما منحنا هذه الرتب . فاسلم اليهودي وتاب على يد حضرة الشيخ ... وهكذا انصرف الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان كلياً عن ملذات الدنيا وترفها وبذخها فعوضه الله تبارك وتعالى عن ذلك بعلم من لدنه الذي كان يحول به الأشياء إلى ذهب خالص متى شاء ولكنه زاهد فيها ومستغن عنها بالقرب من جناب الحضرة الإلهية .

• توجه الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان رحمـه الله إلى برزنجة لزيارة أجداده وحينما وصل إلى مشارف القرية استقبله عدد كبير من أهالي برزنجة بما فيهم العلماء ورجال الدين فلما رآه احد العلماء قال في نفسه كيف يكون شيخاً مثل الشاه الكسنزان بلا حية ، ولما انتهى الشيخ من زيارة أضرحة أجداده وهو محاط بعدد

كبير من المريدين والزوار توجه بنظره إلى ذلك العالم وقال له : يا ملا إن اللحية ليست هي أصل العبادات وعمدتها بل العبادة في إخلاص النية لله والعمل والتقوى والجهاد في سبيل الله .

• ولما كان القحط قد وقع في سنة من السنين وكان الناس يموتون جوعاً ذهب الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان رحمته الله إلى قرية مجاورة ليشتري حاجته من الشعير وكان معه ابن أخته فقال له يا خالي لا شك انك من أقطاب دهرك فلم لا تطلب من الله أن يغنيننا ويعطينا مالاً في هذه السنة التي يموت فيها الناس من الجوع ؟ فلما سمع الشيخ كلامه أشار بعصاه إلى حجر كبير في الطريق فأنشق الحجر وخرجت منه مجموعة من الليرات الذهبية فقال ابن أخته كفانا يا خالي لقد أصبحنا أغنياء عندئذٍ ضحك الشيخ وأشار ثانية إلى الحجر فاخفت بداخله الليرات الذهبية وقال يا بني تكفيننا حقة الشعير أما الذهب فإنه لأهله وطلابه .

• كان عند الشيخ خادم يخدمه وذات ليلة ذهب الشيخ بعد منتصف الليل إلى الجبل للتعبد وذهب الخادم إليه فرأى الشيخ يصلي وبالقرب منه حجر كبير يصلي معه فجلس الخادم بالقرب منه وإذا بطائر مثل الحمامة يهبط ببطء أمامه يتكلم بلغة لم يفهمها ، فمسح الشيخ عبد الكريم رأس الطير بيده وأجابه بلغته ، ولما رأى الشيخ خادمه جالساً بجواره قال له لا تفش هذا السر إلا من بعد موتي .

• حكى عن رجل انه قال كنت مصاباً بتشمع الكبد سنة (١٩٦٧ م) فراجعت الأطباء مدة طويلة ولكن دون جدوى وكان والدي احد مُريدي الشيخ عبد الكريم الكسنزان رحمته الله قد بلغ من العمر ما يزيد على الثمانين وهو رجل متصوف قال لي يوماً يا ولدي اطلب الاستمداد من روح الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان رحمته الله وقرأ له سورة الفاتحة هدية لروحه الطاهرة ففعلت ما أمرني به والدي ونمت في تلك الليلة فرأيت رجلاً يقول لي لم ناديتني يا بني ؟ قلت له من أنت ؟

قال لي أنا الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان ثم مسح بيده على بطني وقال لي قم
معافى مشافى بإذن الله فاستيقظتُ من النوم ولم يبقَ بي من أثر المرض الخطير شيء .

السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكسنزان قدس الله سره العزيز

عرف السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكسنزان رحمته الله بجهاده المتواصل وكراماته العديدة فكان غوثاً وزاهداً قد اشتهر بالحلم والكرم والسخاء والعطف على الأيتام ومساعدتهم ورعايتهم رعاية تامة وذلك تبعاً لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾^(١). وخلال الحرب العالمية الأولى هاجر الغوث عبد القادر الكسنزان رحمته الله مع أسرته وجمع من المريدين إلى إيران بعد أن كادت الشعوب الإيرانية تنسى أمور دينها عائدین إلى جاهليتهم

فقد أشرقت أرض إيران بنور هذا الغوث العظيم الذي أنار المنطقة بأجمعها وثبت الأيمان في قلوبهم وبعث فيهم نور الإسلام من جديد ، وكان يعلمهم أخلاق الرسول صلی اللہ علیہ وسلم وسنته الشريفة وأفعاله الكريمة حتى أصبحت أنوار الطريقة سارية في جميع بقاع إيران ، وبقي رحمته الله في إيران حتى انتقل إلى جوار ربه عام (١٣٤٠ هـ) ولذلك أطلق عليه لقب (الغوث المهاجر في دين الله) أسوةً بهجرة جده المصطفى صلی اللہ علیہ وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وخلف الغوث المهاجر بعده على مشيخة الطريقة ولده السيد الغوث السلطان حسين الكسنزان ونزولاً عند رغبة المريدين وإلحاحهم أعيدت جنازته إلى العراق ودفنت في قرية (كربجنة) .

أقواله

ومن مواعظه رحمته الله كان يقول أيها المرید ألبس ثوب التوبة قميصاً نقياً صافياً فمن لم يكن متشرعاً متحققاً عفيفاً فانه ليس من مُريدنا فعلى مُريدنا أن يكون ملازماً للشرعية والطريقة والزهد والورع وقلة الطمع .

وقال عليه السلام : إن من كظم غيظه وعفى عمن ظلمه وآذاه رقاؤه الله إلى مراقبي الرجال . وقال عليه السلام إذا أردتم أن تغتابوا أحداً فاغتابوا والديكم فأئهما أحق بحسناتكم من غيرهم .

وقال أيضاً والدعاوى الكاذبة فأئها تسود الوجوه وتعمي البصر ، إياكم أن يدعي أحدكم انه من الصالحين وهو يقع في الأفعال الرديئة ويأكل من طعام أهل الرشاوي والربا والظلم وأعوانهم إذ لا يكون من الصالحين من يقع في الكذب والغيبة والوقعة بين الناس في أعراضهم ، وكيف يطلب أن يكون عند الله صادقاً وهو يقع في المتاهات إياك وادعاء المشيخة وأنت تعصي ربك ، فأنت الله سيقول لك أما تستحي من دعوة القرب مني وأنت لم تغسل ثيابك المدنسة لمجالستي أنت تملأ بطنك من الحرام وتنقل أقدامك إلى الآثام وأنت مدع كاذب .

ورعه

وكان من ورع الشيخ عبد القادر عليه السلام عندما سكن في إيران في قرية تعود ملكيتها لعائلة فقيرة وقد اغتصبها أحد الإقطاعيين انه حرم على نفسه حتى الماء من تلك القرية أو استعماله لأي من حاجياته اليومية واكتفى بماء يذاب من الثلج طيلة السنين التي عاشها فيها ، لأنه اعتبر ماء القرية حراماً مغتصباً من صاحبه الشرعي .

كراماته

كان للشيخ عبد القادر الكسنزان عليه السلام كرامات كثيرة ومشهورة :

- كان أحد الإقطاعيين الظالمين قد اعتدى على رجل من آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ذهب السيد المعتدى عليه إلى الشيخ واشتكى له ظلم الظالم فقال له الشيخ الجليل : مهلاً إن الله يمهل ولا يهمل وإن الله بالمرصاد لكل الظالمين ستبقى أنت عندنا وسنوصل الشكوى إلى جدنا سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وبعد فترة قصيرة بدّل الله جميع مظاهر جسد الظالم إلى جسد امرأة وقد برزت عليه اثدية وتغير صوته وملامح

وجهه وقد حاول الرجل معالجة نفسه بشتى الوسائل دون جدوى وأخيراً لم يبقَ له سوى الالتجاء إلى السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان رحمته الله ، فجاءه يبكي ويتوسل إليه ويقول هذه ضربة منك يا شيخ عبد القادر لأنني كنت معتدياً على ذلك الرجل ولم يزل يتوسل إليه حتى قال له الشيخ رحمته الله : تب إلى الله توبة صادقة لا رجعة بعدها إلى الظلم فأن الله غفور رحيم ، فتاب توبةً نصوحاً عادت بعدها إليه حالته الطبيعية .

• ومن كراماته أيضاً إن إقطاعياً ظالماً كان قد سلب بقرة من رجل فقير ، فذهب الفقير إلى الشيخ واشتكى فطلب الشيخ من الظالم أن يرد البقرة للرجل ولكن الظالم أبى ، وقال له لا أستطيع رد أموال مثل هؤلاء الذين هم مثل العبيد لنا بالنسبة لنا ، فلما سمع الشيخ كلام الظالم أنكره وأحمر محياه من الغضب وقال له أيها الظالم أن الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين رئيس ومرؤوس لا غني ولا فقير إلا بالتقوى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(١) . أما أنت أيها الظالم فلن يصلح حالك حتى يطلع القرن من رأسك وتأكل من فضلات الكلاب ، اذهب والله المنتقم ، ولم تمض فترة طويلة حتى مرض الظالم وظهر على رأسه قرنان كقرون الحيوانات وذُمل رأسه وتعفن من القيح فندم على ما فعل واستغاث قائلاً احملوني إلى السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان إن هي إلا ضربة منه ، ولما جيء به إلى الشيخ صار يبكي ويتوسل ويقول يا ابن رسول الله عالجني ، فقال له الشيخ تب توبةً لا رجعة بعدها وعاهد الله أن ترد المظالم فستعود مشافى بأذن الله وبعد توبته على يد الشيخ وتعهده بترك الظلم طيلة حياته أصبح مشافى ومعافى .

• رأى أحد الروسيين في جمهوريات الإتحاد السوفيتي حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزان في المنام فحصل لديه الجذب الروحي من قبل حضرة الشيخ فنهض متوجهاً إلى العراق وكان يرى في طريقه إشارات نورانية تهديه إلى الطريق حتى وصل

إلى السليمانية فألقي القبض عليه من قبل جماعات الشيخ محمود الحفيد واتهم بالتجسس وحكم عليه بالإعدام وقبل تنفيذ الحكم به رأى الشيخ محمود الحفيد حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزان في المنام فأمره بإطلاق سراحه لكونه أحد المريدين المنجذبين إلى حضرته فأطلق سراحه وأرسل معه رجلين من أتباعه فلما وصل إلى الشيخ قادر اسلم وتاب على يديه فسماه الشيخ قادر سيف الله وأمر بتعليمه أمور الدين والطريقة ولا تزال ذرياته باقية في السليمانية وسجل اسمه في دائرة النفوس باسم سيف الله الشيخ قادر .

• بينما كان الشيخ عبد القادر الكسنزان رحمته الله ماشياً رأى في طريقه عصفوراً ميتاً وكان معه عدد من تلاميذه وأتباعه فأمر أحد تلاميذه بجلب ذلك العصفور إليه فلما جاء به إلى حضرته قال هذا ليس بميت وإنما نسي تسايحه فهمس في أذنه ثم نفخ عليه فطار العصفور

• بينما كان أحد الفلاحين عائداً بثيرانه من الحقل بعد انتهاء العمل خرج أحد الثيران من الطريق وتوجه إلى مكان تواجد حضرة الشيخ قادر فلبث فترة مطرقاً رأسه ثم رفعه شاكياً صاحبه بلسان الحال فلما تبعه صاحبه قال الشيخ قادر : إن ثورك هذا يشكو من أنك تحمله أكثر من طاقته فأرأف به ، هكذا يجب أن يكون شيخ الطريقة قدوةً في الرحمة والشفقة والرأفة بالحيوان الذي لا حول له أمام الإنسان .

• حين أشد الخلاف بين سكان مدينة مريوان وعشيرة الهواريين أرسل الشيخ عبد القادر الكسنزان ولده الشيخ عبد الكريم الكسنزان فُدست أسرارهم للإصلاح بينهما وكان شاباً في ذلك الوقت وأثناء جلوس الطرفين للتفاهم والمناقشة حول السبل التي تحقق السلام بينهم أشد الخلاف بينهما مرةً أخرى واستأنف القتال والتجأ كل طرف إلى سلاحه وحاول إطلاق النار فوجدوا إن بنادقهم لا تعمل

فعبجوا من ذلك وعلموا أنها من كرامات الشيخ فأقبلوا يقبلون يد الشيخ عبد الكريم ويطلبون السماح والعفو منه وتم الإصلاح بينهم فأصبحوا إخواناً .

• مما ذكر عن كراماته إن رجلاً متكبراً كان يناصب العداء للمريد فقير كثير الذكر لله وما كان يقول إن هذا المريد ينبح مثل الكلب ، فلما سمع السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان هذا الكلام قال : اللهم اجعل هذا الظالم ينبح مثل الكلب وبعد فترة جُن الرجل وصار يعوي وينبح مثل الكلب أمام الناس وبدون إرادة ثم جاء به أهله إلى الشيخ رحمه الله متوسلين إليه فقال له الشيخ الجليل يا طاغي أيكفيك ما أنت فيه كيف تجرؤ على تمثيل ذكر الله بنباح الكلاب ، هذه إرادة الله المنتقم تب إلى الله واترك الظلم ، فتاب وشفى على أثر توبته ثم أصبح بعد ذلك من المريدين الذاكرين كثيراً ، ومثل هذه الأمور التي تروى عن الشيخ عبد القادر الكسنزان رحمه الله كثيرة جداً حيث تاب المئات من الطاغين على يده وأصبحوا نادمين على ظلمهم وغدوا رجالاً صالحين .

• كان يسكن في قرية (كرجنة) شرطي تركي الأصل وكان يتردد كثيراً على حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزان رحمه الله وحدث أن توفيت زوجته فحزن عليها كثيراً والتجأ إلى الشيخ السلطان عبد القادر الكسنزان وهو يحمل القرآن الكريم حيث توسل به لدى حضرته قائلاً أنشدك بحق هذا القرآن الكريم يا سلطان عبد القادر أن تدرك زوجتي فقد ماتت . وما إن رآه الشيخ على هذه الحال حتى نهض من مقامه مسرعاً حافي القدمين تعظيماً للقرآن وهو يقول : أين هي ؟ فسار الرجل أمامه حاملاً القرآن والشيخ يتبعه حتى وصل إلى بيت الرجل فوجدهم يغسلونها فأمر بتغطية جسدها وترك عينيها مكشوفتين ثم تقدم نحوها وأشار إلى وجهها بعصاه المباركة قائلاً إنها ليست ميتة إن شاء الله وكرر ذلك ثلاث مرات ففتحت عينيها بعد ذلك وعادت إلى الحياة وحينما سألوها عن موتها أجابت لقد خرجت روحي وصعدوا بها إلى السماء وإذا بهاتف يهتف أرجعوها إلى جسدها

لان الشيخ السلطان عبد القادر الكسنزان يطلبها فما انتبهت إلا وأنا واعية بينكم .

• كان قطع من الماشية يعود من المرعى إلى قرية (كرجنة) وأثناء مرور القطيع داخل القرية انحرفت إحدى البقرات فمدت فمها فتناولت قبضةً من العشب الطري فوق سطح أحد بيوت الأيتام فرآها حضرة الشيخ سلطان قادر فصاح عليها بقوة ماذا فعلت إنها من مال الأيتام فرمت البقرة ما في فمها بأسرع ما يكون وولت هاربة .

وهكذا كان حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزان حريصاً على مال اليتيم وحمايته حتى من قبل الحيوانات لأنه محرم ولا يجوز تناوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) .

السيد الشيخ الغوث السلطان حسين الكسنزان قدس الله سره العزيز

ولد السيد الشيخ السلطان حسين الكسنزان قدس سره عام (١٣٠٦ هـ) الموافق (١٨٨٥ م) في قرية (كربجنة) وتربى تربيةً دينيةً حيث درس القرآن الكريم وعلوم الفقه ، وكان شاباً مجاهداً قوي العزم عالي الهمة اشتهر برد المظالم إلى أهلها ومناصرة الضعيف .

كان الشيخ حسين الكسنزان قدس سره كثيف الشغف بالجبال والتنقل فيها حتى لقب (بسلطان الجبال) وكان كثير الزهد والتعبد حتى انه كان في صوم دائم في فترة السنوات الأخيرة من حياته وكان قدس سره سخياً كثير العطاء ينفق كل موارده على الفقراء والأيتام والأرامل ، وذات مرة سأله أرملة شيئاً من المال لأيتامها ولم يكن يملك شيئاً في وقتها فخلع أسنانه الذهبية وأعطاهم للأرملة كي تبيعها وتنفق ثمنها على أيتامها ، وكان قدس سره يذهب للتعبد في الجبال بعد منتصف الليل ويرقد بين الشوك حتى الصباح ترويضاً لنفسه ، وقد خصص من ماله الخاص مخصصات مالية شهرية لعدة عوائل من الفقراء والأيتام مع انه كان لا يأكل سوى خبز الشعير والحنظل^(١).

أقواله

ومن مواعظه قدس سره انه قال : إن طريقتنا تعتمد على القرآن والسنة وحب الحق وتهذيب النفس والصدق والصبر على المكارِه والمصائب والوفاء بالعهد وعدم الفرح بمصائب المسلمين وان تقابل الإساءة بالإحسان وان ترحم الأيتام وتستتر العريان وتطعم الجائع وتكسو المعدم وتقوي الضعيف وتبتعد عن المظالم .

وقال أيضاً : أيها المريد ابتعد عن حب الدنيا فان حبها يتلف العابد كما يتلف الحُرُّ العسل ، يا مُريدي كن مع المظلومين ولا تكن مع الظالمين فان الدنيا مع الكفر قد تدوم ولكنها مع الظلم لا تدوم .

١ - الحنظل : نبات بَرِّي مشهور بمرارته اللاذعة .

خدمته لأهل الفقه والعلماء

أسس السيد الشيخ السلطان حسين قدس سره مدرسة دينية في قرية (كرجنة) وعين على نفقته مدرسين دينين وتلامذة يدرسون فيها الحديث الشريف والنحو والفقه وسائر العلوم الدينية ، حيث كان عدد التلاميذ يتلقون العلم في هذه المدرسة أكثر من عشرين تلميذاً ويتخرج في هذه المدرسة سنوياً علماء متخصصون في شتى العلوم .

انتقل السيد الشيخ السلطان حسين الكسنزان إلى العالم الآخر في عام (١٣٦٠ هـ) الموافق (١٩٣٩ م) ، بعد أن خلف على سجادة المشيخة أخاه السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان قدس سره وكان لذلك الانتقال ضجة كبيرة واثراً عميقاً بين المريدين خاصة والمسلمين عامة لان الإسلام فقد بانتقاله رجلاً عظيماً مصلحاً كبيراً في عصرٍ كان الإسلام فيه بأشد الحاجة لمثل هؤلاء الرجال العظماء الذين خدموا الدين الإسلامي اكبر خدمة وهاهي نصيحته للمريدين المحبين المخلصين التي يقول فيها أيها المرید لازم باب الله ووجه قلبك لرسول الله صلی اللہ علیہ وسلم واجعل الاستمداد من بابه العالي بواسطة شيخك بإخلاص واذهب معه لمسلك الآداب واحفظ غيبته وتقيد وأكثر الخدمة في منزله واقلل الكلام في حضرته ، وقم بنصيحة الأخوان وألف بين قلوبهم وعمر قلبك بالذكر وجمل قلبك بالفكر واستعن بالله واصبر على ما أصابك ، وأكثر من الصلاة على الرسول صلی اللہ علیہ وسلم واجلس في بيتك ولا تكثر الخروج للأسواق ومواضع الفرح واعتصم بحبل الله ، فمن ترك الدنيا نال الفرح ، وأكرم ضيفك وارحم اهلك وولدك وزوجتك وخادمك واذكر الله في كل أمر واخلص لله في السر والجهر واعمل للأخرة عملاً حسناً .

هذه نصيحتي لك أيها المرید ، فما أحوجنا اليوم لالتزام نصيحته قدس سره وطاب

ثراه .

كراماته

إن لسلطان الأولياء الشيخ حسين عليه السلام كرامات عديدة وأعمال خارقة كثيرة شهدها أناس كثيرون منها :

• أمر الشيخ أحد مُريديه المسمى (عزيز) بالذهاب إلى الموصل من أجل الإرشاد ولكن هذا المريد الفقير تحدث في قلبه مع حضرة الشيخ حسين يتعذر بحاله وضعفه وعدم معرفته باللغة العربية ولا الطريق إلى الموصل ومع ذلك جاء التكليف بالذهاب واصطحب مُريداً آخر معه كان أعرجاً وضعف منه ، مما زاد الأمر تعقيداً وحرَجاً عليه ، لم يكن السفر في ذلك الوقت ميسور الوسائط ولا الطرق معبدة وإنما سيراً على الأقدام أو ركوباً على الدواب ، ولكنهما وصلا إلى الموصل بسهولة ويسر ، وهكذا أمر الله لمن أراد أن يسير طريق الإرشاد وأخيراً استقر بهم المقام مع رجل فقير في دار خربة وكان جار ذلك الفقير من النصارى فيهم امرأة عجوز مصابة بمرض الزمها الفراش لأكثر من عشر سنوات ، ولما علموا بقدوم هذين المريدين سألاهما الدعاء لشفاء مريضتهم وان يدفعوا لهم خمسين ليرة ذهبية ، فقالا لهم إنما أعمالنا لوجه الله تعالى ولا نريد جزاء ولا شكوراً وحال جلب العجوز ضربها الخليفة بالعصا طالباً المدد من حضرة الشيخ حسين عليه السلام فقامت في الحال بإذن الله مشافاة . وبعد سماع أهل الموصل به كثر ترددهم فجاء إليه أصحاب الحوائج والمرضى مما أثار حفيظة بعض أصحاب الطرق الأخرى فقدموا إليه طالبين منهما ترك الموصل .

• ومن كراماته عليه السلام إن أكثر الناس كانوا يسمعون صوت الجن حوله وهم يذكرون الله سمعاً واضحاً ولما سئل عنها عليه السلام قال : أنهم من الجن المسلمين المتصوفين .

• ومن كراماته أيضاً ما حدث لرجل من أهالي اسطنبول في تركيا كان مريضاً بداء لم تنفع معه مراجعة الأطباء في أكثر العواصم الأوربية وفي ذات ليلة جاءه رجل في الرؤيا يقول تعال إلى (كربجنة) في العراق وعندما تدخل في طريقتنا ستشفى ، وعندما استيقظ في نومه قرر أن يشد رحاله وجاء إلى (كربجنة) ، فلما وصل إليها ورأى حضرة السلطان حسين عليه السلام جالسا مع مُريديه أنكب على يده يقبلها قائلاً أنت

الذي ناديتني فجئت ، فقال له الشيخ رحمه الله : لقد آن لك أن تأخذ البيعة (الطريقة)
وتدخل الخلوة أربعين يوماً ، فيستجيب الرجل لكلام الشيخ ولم تمض فترة طويلة حتى
تمائل للشفاء .

• كان محمد خان سليمان من رؤساء عشيرة الجاف وكان لا يؤدي فريضة الزكاة
من ماله والحج المفروض عليه فجاء لزيارة الشيخ في كربجنة فأعطى خمس ليرات
ملفوفة بخرقة لأحد مريدي الشيخ السلطان حسين رحمه الله هدية للتكية فلما وضعها
أمام حضرة الشيخ قال أعيدها إلى محمد خان سليمان وقولوا له أن التكية لا تقبل
المال الحرام فليؤد زكاته وحجه ثم يقدم ما يشاء للتكية .

• توجه الخليفة محمود وبصحته عدد من المريدين من جمجمال إلى كربجنة
وذلك لزيارة الشيخ السلطان حسين رحمه الله وكان في حوزتهم كمية من مال التكية
فاشترى ابنه محمد شايأً للتكية وبقي من المال (عانة واحدة) فاخبر محمد والده خليفة
محمود بالمال الذي بقي لديه فقال له خليفة محمود اذهب واشتر بها شايأً أيضاً ولا
تبق من مال التكية فلما وصلوا إلى حضرة الشيخ وتمت الزيارة والتبرك بحضرته رفع
رأسه نحو الخليفة محمود وقال له : يا خليفة محمود إن مشايخ الطريقة لا يغيب
عنهم حتى عانة واحدة من أموال التكية لأنها مخصصة لفقراء التكية وهي بيت مال
المسلمين .

• روى الشيخ محمد صالح ابن حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزان رحمه الله قال
كنت حاضراً في مجلس الشيخ السلطان حسين الكسنزان رحمه الله قبل أداء ورد العصر
وكان الشيخ مصطفى الشيخ أحمد وهو ابن عم الشيخ السلطان حسين يقول
للسلطان حسين أرى إن أورد العصر ثقيلة على المريدين فيجيبه الشيخ السلطان
حسين الكسنزان رحمه الله بأن هذه الأورد هي أمرٌ من الشيخ عبد القادر الكيلاني
رحمه الله فكرر على حضرته هذا الكلام ثلاث مرات وكان يجيبه في كل مرة بأنه أمر
وحيثما بدأنا بذكر العصر رأينا طير الباز حط على جدار خلف ظهر الشيخ حسين

الكسنزان وبقي هناك حتى وصلنا إلى الذكر (يا رحيم) فطار ، عندها قال الشيخ السلطان حسين عليه السلام للشيخ مصطفى هل بقي لديك حجة ؟ قال لا فقد علمت الجواب .

• عن ملا نجم الدين عن محمد قيت مريد سلطان حسين عليه السلام قال : كانت الكلاب تتجمع يومياً باتجاه مقبرة في كربجنة وتنبح في أكثر الأوقات وكأنها ترى أو تسمع شيئاً غريباً فقال حضرة الشيخ السلطان حسين عليه السلام إن هذه الكلاب تنبح على فلان وهو في قبره لأنه كان يأكل مهر بناته وقد أدى لي خدمة في حياته فتعالوا معي إلى قبره لندعو له لعل الله يرحمه ويعفو عنه فلما اقتربنا من القبر قال الشيخ السلطان حسين عليه السلام : اسمعوا فسمعنا بأذاننا صوت كلب ينبح داخل القبر فصلى الشيخ عليه السلام ركعتين ثم دعا له فما لبثنا قليلاً حتى اختفى الصوت نهائياً ولم نعد نسمعه ففرحنا بذلك وعاد الشيخ وعدنا معه .

السيد الشيخ الغوث عبد الكريم الكسنزان قدس الله سره العزيز

ولد السيد الشيخ عبد الكريم بن السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان سنة (١٣٣٦ هـ) الموافق (١٩١٥ م) في قرية كرجنة في عائلة دينية ، حيث كان والده شيخ الطريقة والإرشاد ، وعقب والده وأخوه الشيخ حسين فتربى على يد شيخين جليلين قدست أسرارهم جميعاً .

ولقد كان منذ نشأته كريم النفس رقيق القلب إذ يروى عنه انه كان في طفولته يطلب من أبيه أن يعطيه خروفاً ليذبحه ويوزعه على أطفال القرية الذين كانوا كلهم أصحابه ولما كان بعض الكبار يتدخل لرده كان والده السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان رحمته الله يقول لهم : نفذوا أوامره فأن لهؤلاء الأطفال حقاً عليه يراه هو ولا تروونه أنتم ، وكان أكثر ما يحب من أطفال القرية الفقراء والمعدمين ويحب خدمتهم وهو لما يزل دون العاشرة من عمره ويقف إلى جانبهم ويطعمهم من طعامه وكثيراً ما يؤثرهم على نفسه .

ويراه الناس على قدرٍ كبير من الحكمة بالرغم من صغر سنه فكان يتدخل لحل المنازعات بين أصحابه ويصلح ذاتهم مما كان يجلب انتباه الناظرين إليه يتابعونه وينقلون تصرفاته إلى والده الذي كان يراعه كثيراً ويشجعه .

هكذا كان هذا الغصن اليافع من الشجرة الطيبة تخلق به تلك الروح الملائكية اللطيفة ، وهذه هي بدايته كان يحب أن يكون مثل بقية المريدين في الوقوف بين يدي الشيخ بكل تواضع وأدب حتى أصبحوا هم يقلدون سلوكه ، ولما بلغ أشده مارس التدريب على الفروسية وتحلى بجميع فضائلها فكان يخرج للصيد على جواده وكان في الغالب لا يصحب أحداً لأنه أحب الانفراد والخلوة إلى نفسه ، ولقد تمسك تمسكاً شديداً بالقرآن العظيم وسنة الرسول الأعظم صلوات الله عليه ، فأحب العبادة والاختلاء ومجاهدة النفس حتى نال درجة عالية من الولاية ، لقد كان السيد الشيخ السلطان حسين الكسنزان رحمته الله يحبه حباً شديداً لما كان يرى فيه من عظمة

وتواضع وقابلية في خدمة الدين الخفيف ، وكان كثيراً ما يصطحبه معه عندما كان يذهب ليلاً إلى الجبل ليتعبد فيه فيمكث معه أياماً وليالي وكان هو الشخص الذي يرافقه في خلوته ويقوم على خدمته حتى أصبح في أواخر أيام الشيخ الوسيلة التي تربط بين شاه الخلوة المعتكف والمريدين في الخارج فكان يقول له السلطان حسين قدس سره : أنت مكلف بشؤون المريدين ، وبذلك أجلسه على سجادة المشيخة وهو مازال على قيد الحياة وأمر المريدين بالاتجاه نحو شيخهم الجديد واخبرهم بأن جميع أمور الطريقة والإرشاد منوطة بالسيد الشيخ عبد الكريم وأما هو فقد ظل مستمراً على الخلوة والاعتكاف حتى وافاه الأجل وذهب لملاقاة ربه ، وهكذا استمر المريدون يجتمعون عند الشيخ عبد الكريم قدس سره الذي تولى أمرهم وقام بشؤونهم خير قيام .

وكان السيد الشيخ السلطان حسين الكسنزان قدس سره قد أوصى قبل وفاته قائلاً : إني رأيت رسول الله صلوات الله عليه وآله في المنام وأشار بأن استخلف أخي السيد الشيخ عبد الكريم مقامي .

صفاته

إن مثالية السيد الشيخ السلطان حسين ووالده وجده ممثلة في شخصية السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان ، لقد كان الشيخ عبد الكريم كما ذكرنا يحب الفروسية وكان كريماً وشجاعاً قوي البنية شديد المراس عليه علامات الهيبة والوقار وإلى جانب ذلك كان صبوراً لا يحقد ولا يغضب على أحد إلا في حدود ما شرع الله كما كان صريح البيان ويحب الإيجاز في الحديث ، إذا تحدث في الله فرح ولان وإذا نصح صرّح وهان ، ومجالسته ترد القلوب بالودّ إلى علام الغيوب كريم الخلق للفقراء ، إذا جلسوا عنده مازحهم ولاطفهم وتودد إليهم ، يحبهم ويقربهم في مجلسه .

يعطف على الأيتام والأرامل وينفق عليهم بسخاء لا يخاف الله لومة لائم ، شديد على الظالمين والمتكبرين فلا يدخل مجلسه من كانت فيه إحدى هاتين

الخصلتين خوفاً من صراحته إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ، وقد خطى الخطوات التي خطاها أخوه ووالده وجدة من قبل في تدبير شؤون الطريقة والوعظ والإرشاد . ويهتم كثيراً بتطبيق تعاليمهم بين المريدين لأنه المرجع الأعلى والأصيل للطريقة القادرية الكسنزانية .

وكان يفرغ العلم الروحي والأحوال على المريدين ما يأخذ المريد بالهمة تدريجاً للصفاء الروحي وكثيراً ما كان يوصي بحسن الخلق وقوة العقيدة .

سماحته

لقد كان يحب التائب ويفرح به ويدعو له ، وهو ذو رأفة بالمريدين يأخذهم باللين والسماحة ويشوقهم إلى الله وَيُطْمَئِنِّهِمْ بِهِ وَيُفْرِحُ قُلُوبَ الْفُقَرَاءِ ، كثيراً ما يسامح المعتدين وإذا ما جاءه شك صبره وقال له : إن الله يرانا ويراهم فاصبر واحتسب نسأله الهداية لهم ، فما أن يصل كلامه إلى آذان المعتدين والظالمين حتى ترق قلوبهم فتشدهم إليه شداً ، فنراهم في اليوم التالي قد تابوا وأصلحوا لأنه نور الله عارف بدواء العلل وله في كلامه صولة ، صولة حق فيها رغبة ورهبة يرغبها أهل الحق ويرهبها غير أهله ، وياله من صوت روحي يدفع الباطل فإذا هو زاهق .

توكله

كان كثير التوكل على الله فهو لا ييأس ولا يقنط قط وحاشاه من ذلك ، فإذا ما سأله عن شيء .. أي شيء .. ملتمساً منه الدعاء يبادرك قائلاً على الله .. الله كريم ابني ، فتكون عبارته هذه دواءً لكل العلل ، كريم في كل شيء شريطة أن لا يؤثر على سلوك المريد ونهجه ، فكان كثيراً ما يُحذر من الدنيا ويصفها بأوصاف ذميمة لأنه لا يرغبها لمريديه .

اعتكافه

كان يعتكف في غرفة صغيرة مخصصة له فيها حصير يجلس عليه وأمام الحصير رحلة صغيرة يعلوها المصحف الشريف وخلفه على الجدار سيف معلق ، وكان

يقضي اغلب يومه منفرداً يقرأ القرآن ويتلو أوراده الخاصة به ويصلي وكان كثير النوافل حتى انه ليسجد السجدة بعد نافلة المغرب لا يرفع رأسه منها حتى آذان العشاء ، وتسمع له بكاءً وحنيناً ، فهو قليل من الليل ما يهجع وله أدعية خاصة يقرأها ، كثير التوسل إلى الله وَعَلَيْكَ ، كثير البكاء قليل الضحك ، وكان يقضي اغلب أيامه صائماً ويكتفي أحياناً بشربة ماء ولم يسغ إلا النزر اليسير من الطعام البسيط ولم يكثر من تناول شيء سوى الشاي .

زهده

كان زاهداً لا يرغب في الدنيا وله أقوال كثيرة في الزهد دائماً يحذر من الدنيا ويقول إنها ناعمة الملمس حادة الأسنان سامة اللسان وأن رأس مالنا فيها ما خلقنا لأجله في الآية الكريمة : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١).

كما ترى زهده في بساطة ملبسه حيث يرتدي الملابس البسيطة ويرغب الخشن منها وكانت تمر عليه سنة أو أكثر وتراه في ملابس واحد فهو لا يرغب الجديد ، ويتعل حذاءً خفيفاً من القطن مما يلبسه من عدم من الناس ، ولا يجدد ملابسه حتى ترى عليها أثراً لتهديب خيوطها ، ومن أعظم مآثر زهده انه ما جلس عنده وقام من مجلسه حتى أثر حياة الزهد وفضله على الترف ، فتراه يصبح سخيّاً زاهداً ملتفتاً عن الدنيا متجهاً إلى الآخرة داعياً لها محذراً الناس منها ، وهذه من بركات مجالسة الزاهدين فمن جلس مع أهل الدنيا قام بحبها ومن جلس مع أهل الآخرة قام بحبها وأرفع الهجرة إليها .

هجرته وإرشاده

هاجر السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان رحمته الله إلى قرية (ميرخاو) في إيران ، فدخل القرية وأقام بها واجتمع حوله آلاف المريدين والمحبين فكرس جهده لإرشاد

الخلق ونشر تعاليم الطريقة بين الناس ، وبقي في القرية ما يقارب السنة ثم هاجر بعدها إلى (سنندج) وقام فيها فترة من الزمن ولُقن الطريقة خلالها لآلاف من الناس وترك لهم خلفاء وتكايا عديدة وترك لهم تعاليمه السديدة التي لا يزال يتناقلها الأبناء عن الآباء والأحفاد عن الأجداد ، ثم انتقل بعدها إلى مدينة (مشهد) وقابل عدداً من رؤساء العشائر ووعظهم وأرشدهم وأصبحوا من أتباعه ومؤيديه ، واجتمع عنده آلاف من المريدين والمحبين فتزايد عدد أتباعه ومؤيديه حتى صار تنقله صعباً ومكلفاً لأن آلافاً يتبعونه حيثما حل وارتحل .

وهكذا تنقل الشيخ في أنحاء إيران وهو يحمل تعاليمه في الزهد والورع ويرشد المريدين ويُسدي النصح لعوام المسلمين ويبني التكايا والمساجد ويُصلح بين الناس ، حتى دخل طهران والتقى بعدد كبير من الناس ثم عاد بعد ذلك إلى (ميرخاو) ، ثم إلى (بنجوين) في العراق وأقام في قرية (بوبان) وبني تكيةً وبيتاً يسكن فيه مع عياله قريباً من الحدود بين العراق وإيران داعياً إلى الخلاص من الدنيا وزخرفتها ناقلاً الناس إلى الصفاء الروحي والنقاء الجسدي ، ولاقت الطريقة إقبالاً واسعاً فاستوعبت ملايين المريدين حتى راح سناها الروحي إلى بلاد كثيرة أخرى من المعمورة مثل أفغانستان وباكستان والهند وسرى شعاعها إلى بعض بلاد أفريقيا مثل زامبيا ففُتحت فيها تكايا وقام الخلفاء بالإرشاد .

وأخيراً انتقل السيد الشيخ عبد الكريم رحمته الله إلى قرية كربجنة حيث مقام الآباء والأجداد وأقام فيها فترة من الزمن ثم انتقل بعدها إلى كركوك واستقر فيها بعد جولات عديدة للإرشاد شملت معظم المحافظات العراقية مثل بغداد وبنوى وبابل والنجف الأشرف والأنبار وتكريت وأربيل والسليمانية وغيرها .

وقد بنى في تلك المحافظات عدداً كبيراً من التكايا وأثناء وجوده في كركوك جهّز حملة للحج انظّم لها عدد كبير من الفقراء والمريدين قاصداً بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج وزيارة المصطفى صلوات الله عليه وآله .

وما زال مرشداً حتى اختاره الله إلى جواره عام (١٣٩٩ هـ) فخلف وراءه على سجادة المشيخة ولده السيد الشيخ محمد الكسنزان .

كراماته

إن كرامات السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان رحمته الله كثيرة جداً لا تعد ولا تحصى لان حياته كانت كلها كرامات لخدمة الإسلام والمسلمين . ولكن لابد من ذكر بعض منها والتي تحققت على أيدي مُريديه بعد طلب الإجازة من سماحته كالقيام بفعاليات خارقة للعادة مثل مسك الأسلاك الكهربائية وأكل الأفاعي والعقارب والضرب بالطلق الناري والضرب بالخنجر في الرأس . وضرب السيوف والحرايب والدخول وسط النار ، بالإضافة إلى الكرامات الأخرى التي تحققت بدعائه كالشفاء من السرطان والعقم ، والشفاء من الصرع وأمراض القلب والكآبة والجنون وغيرها .

• ومن كراماته رحمته الله : انه حُكِمَ على أحد مُريديه بالسجن لمدة عشرين سنة في سجن الرمادي ولكثرة التوسل ومن قبل أهله بحضرة الشيخ أرسل الشيخ رسالة إلى أحد الخلفاء في الرمادي طالباً منه مساعدة السجين بالخروج من السجن وكانت المفاجأة عندما علم الخليفة أن السجين قضى من مدته ثلاث سنوات فقط ولكن إيمانه وعقيدته بهمة الشيخ دفعته إلى الذهاب إلى السجن وقدم إلى مدير السجن مستفسراً عن المدة التي قضاها السجين المذكور فجاء الجواب بعد التدقيق في سجلات النزول تبين انه أنهى محكوميته كاملة وسوف يطلق سراحه غداً وفي اليوم الثاني عاد الخليفة واصطحب معه السجين إلى داره .

• بينما كان حضرة الشيخ عبد الكريم الكسنزان رحمته الله خارجاً من غرفته دخل إلى التكية رجل من الآغوات محملاً على أيدي ذويه حيث قرر الأطباء انه مريض بالسرطان وقد أعجزهم علاجه وحالما رآه حضرة الشيخ عبد الكريم قال : هذا ليس مريضاً بالسرطان وإنما هو تأثير سم جرى في جسمه قبل أربعين عاماً فأجاب من

كان مع المريض بأنه فعلاً قد لسعته حية في ذلك الوقت عندها قال الشيخ رحمه الله :
أطعموه الحليب وأجلسوه في التكية فإنه مشافى إن شاء الله فما لبث المريض أياماً
حتى عاد سليماً يمشي كأن لم يصبه شيء .

• كان احد مُريديه رحمه الله وهو شريف مُحمَّد خاتون مصاباً بسرطان الأمعاء وقد
عجز الأطباء من علاجه وقرروا بأنه ميت لا محالة فأحضره عند حضرة السيد
الشيخ عبد الكريم الكسنزان قدس الله سره واخبروه بكلام الأطباء حول اليأس من
علاجه وبينما هو جالس عند حضرة الشيخ ألقى إليه الشيخ بـ (سيجارة) وقال
له : تناول هذه يا شريف فعلم شريف إن هذه السيجارة من الشيخ هي علاجه
المناسب فتناولها وبدأت صحته تتحسن تدريجياً حتى شفي شفاءً تاماً وعاش بعد
ذلك سنين طويلة .

• كان في زمنه رحمه الله مجموعة من المريدين عائدين من زيارته إلى ديارهم فنقد
الوقود من السيارة ولم يكن السائق من مُريدي الشيخ فضجر وتَسَخَط فترجل
المريدون وأقاموا حلقة ذكر ثم قالوا له حاول عسى أن يكون في الخزان قليلاً من
الوقود فَسَخِرَ منهم وقال أنا منذ الطفولة في هذا العمل واني أقول لكم الوقود قد
نفذ وألحوا عليه كثيراً حتى رضخ لهم وما أن أدار المحرك حتى بدأت السيارة تعمل
فرفع السائق أصابعه العشرة وقال أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد إن مُحمَّداً رسول الله
هذا عمل لم يحصل في التاريخ كله وتحركت السيارة بهم إلى أن وصلوا .

• حينما كان حضرة الشيخ عبد الكريم الكسنزان رحمه الله ساكناً في قرية
(عمروغان) العائدة إلى ناحية (قره داغ) في محافظة السليمانية وكان لدى
حضرتة عدد من علماء السليمانية الأفاضل وقد دارت أحاديث حول موضوع
الكرامات وذكروا حديث عمر بن الخطاب (يا سارية الجبل) فتبسم الشيخ وقال :
هذا أسهل ما يكون على الأولياء إذا شئتم أريكم مثل هذا فنأدى (تعال يا حاج
عزيز) وكان الحاج عزيز في قرية كريزه في شهرزور والتي تبعد مسيرة يوم واحد وفي

اليوم الثاني حضر الحاج عزيز فرحب به الشيخ وسأله : كيف جئت ، فقال : سمعتك تناديني فأتيت ، فتعجب العلماء الحاضرون من كرامة الشيخ .

• كان لحضرة الشيخ عبد الكريم رحمه الله صندوق صغير يودع منه أموال التكية وينفق منها ما تحتاجه التكية من النفقات اليومية ، وذات يوم راجعه رحمه الله فوجد فيه أحد مُريديه المختص بشؤون النفقات طالباً من حضرته نفقة التكية لذلك اليوم كعادته فابتسم الشيخ قليلاً ثم قال : يا رحمه الله إن المال نفدَ وأراه الصندوق فارغاً فاصبر قليلاً حتى يجد الله لنا مخرجاً ويرزقنا من حيث لا نحتسب ، قال رحمه الله : فأصبحت مطمئن القلب من قول حضرة الشيخ رحمه الله ، فما لبث قليلاً حتى نادى عليّ الشيخ وقال : يا رحمه الله لقد سمعت حركةً أو رفرةً داخل الصندوق فأسرع إليه لعل الله فتح علينا بابَ الفرج فأتيت بالصندوق إلى حضرته وفتحه بيده الكريمة فإذا الصندوق مملوء بالمال .

• بعد انتقال حضرته رحمه الله إلى عالم البقاء بفترة عازمت على القيام بالعمرة وزيارة الروضة المحمدية الطاهرة وبيت الله (الكعبة الشريفة) وتوجهت قبل ذلك لزيارة مرقد حضرة الشيخ (والدي) في قرية كربجنة وكان معي أكثر من خمسين رجلاً من المريدين فحال وصولنا إلى مرقد المشايخ الكرام ودخولي إلى مرقد الشيخ عبد الكريم رحمه الله أردت أن المسه تبركاً فاهتز بحركة واضحة ومستمرة شاهداً جميع من كان معي حتى كادت أن تسقط السترة الخضراء المغطية للمرقد ثم عاد يهدأ تدريجياً حتى استقر ثم ودعته وخرجت .

السبحة حبل النجاة

وردت كلمة التسييح في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾^(١). فجميع الحيوانات والنباتات والجمادات تسبح لله .

والسُّبْحَةُ الخرزات التي يُعد المسبح بها تسييحه وهي أيضاً التطوع من الذكر والصلاة . والسُّبْحَةُ الدعاء وصلاة التطوع والنافلة .

والمسبِّحَةُ بفتح السين وكسر الباء الإصبع التي تلي الإبهام^(٢). والتسييح ذكر الله ﷻ أمر مفروض في القرآن الكريم في أكثر من موضع ولما أكدت الآيات القرآنية على كثرة الذكر احتاج المؤمنون إلى وسيلة لضبط العدد الذي حددته السنة النبوية الشريفة لكل تسبيحة ، وكان التسييح يتم بعقد الأنامل ولما كانت هذه الطريقة تشغل فكر المسبح إلى العَد وتؤثر في خشوعه التجأ الصحابة إلى وسائل أخرى عديدة فمنهم من استعمل الحصى وآخر استعمل النوى وغيره استعمل العُقد في الخيط وهكذا ...

وقد استعمل هذه التساييح رجالٌ من الصحابة البارزين الذين أخذ عنهم الحديث النبوي الشريف وكان يُعتمد عليهم في وقتهم أعمدةً من قواعد البنيان الإسلامي كأبي سعيد الخدري وسعد ابن أبي وقاص وأبي هريرة وأبي الدرداء ، كما كان يفعل ذلك آل بيت النبي الأكرم ﷺ ومواليه وأزواجه ولم ينكره عليهم ﷺ وان من المناسب هنا أن نتبع الأحاديث والآثار النبوية في هذا المجال :

• روى ابن أبي شيبه وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رأيت النبي ﷺ يعقد التسييح .

١ - الإسراء : ٤٤ .

٢ - لسان العرب لابن منظور ج ٢ ص ٤٧٣ .

• اخرج الإمام أحمد في الزهد قال حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد عن يونس بن عبيد عن أمه قالت رأيت أبا صفية رجلاً من أصحاب النبي ﷺ وكان جارنا قالت فكان يسبح بالحصى .

• قال ابن سعد في الطبقات اخبرنا عبيد الله بن موسى اخبرنا إسرائيل عن جابر عن امرأة حدثتها فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنها كانت تسبح بخيط معقود فيه .

• واخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زاوية الزهد من طريق نعيم بن محرز بن أبي هريرة عن جده أبي هريرة انه كان له خيط فيه ألف عقدة فلا ينام حتى يُسَبِّح به .

• اخرج الإمام أحمد في زاوية الزهد حدثنا مسكين بن بكير اخبرنا ثابت بن عجلان عن القاسم بن عبد الرحمن قال كان لأبي الدرداء نوى في كيس فكان إذا صلى الغداة أخرجهن واحدة واحدة يُسَبِّح بهن حتى يُنفذهن .

• اخرج ابن سعد عن حكيم بن الديلمي إن سعد بن أبي وقاص كان يُسَبِّح بالحصى

• واخرج ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري انه كان يُسَبِّح بالحصى .

• اخرج الترمذي والحاكم والطبراني عن صفية بنت حُيَيٍّ رضي الله عنها قالت دخل عليَّ رسول الله ﷺ وبين يديَّ أربعة آلاف نواة أُسَبِّح بهن فقال : ﴿ ما هذا يا بنت حُيَيٍّ ؟ ﴾ قلت اسبح بهن قال : ﴿ قولي سبحان الله عدد ما خلق الله من شيء ﴾ . فلا يخفى على ذي لب أن أربعة آلاف أو أكثر يُصعب عدها بالأنامل فلا بد لهم من آلة أو وسيلة كانوا يستعينون بها .

• اخرج ابن أبي شيبة عن زاد انه قال أخذتُ عن أم يعقوب تسابيح لها فلما أوتيت عليها قال : أُرَدِّد على أم يعقوب تسابيحها .

• وفي سنن داود من حديث أبي بصرة الغفاري قال حدثني شيخ من طغاوة قال تنوَّيتُ أبا هريرة بالمدينة فلم أر رجلاً أشدَّ تشميراً ولا أقوم على ضيف منه قال

فبينما أنا عنده يوماً وهو على سرير له ومعه كيس فيه حصى وأسفل منه جارية سوداء وهو يسبح بها حتى إذا نفذ ما في الكيس ألقاه إليها فأعادته في الكيس ودفعته إليه ليسبح .

• ونقل السيوطي عن أبي مسلم الخولاني رحمه الله انه كان له سبحة فنام ليلة والسبحة في يده قال فاستدارت السبحة والتفت على ذراعه وجعلت تسبح فاتبه أبو مسلم والسبحة تدور على ذراعه وهي تقول : (سبحانك يا دائم الثبات ويا منبت النبات) فقال هلمي يا أم مسلم فانظري إلى أعجب الأعاجيب قال فجاءت أم مسلم والسبحة تدور وتُسبح فلما جلست سكنت السبحة .

وقد اتخذ السبحة وسيلةً للوصول لجميع مشايخ الطرق الصوفية وذلك لما أرادوا ضبط التسيّحات فاحتاجوا إليها ، وذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان انه شوهده في يد أبي القاسم الشيخ الجنيد البغدادي رحمته الله سبحة فقيل له أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة ؟ فقال طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه ، وذكر أبو القاسم هيبه الله بن الحسن الطبري في كتاب كرامات الأولياء قال الشيخ الإمام العارف عمر البزاز كانت سبحة الشيخ أبي الوفا عبد الرحمن أعطاها له السيد الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني رحمته الله إذا وضعها على الأرض تدور وحدها حبة حبة .

ونقل السيوطي قال رويت في ذلك حديثاً مسلسلاً وهو ما اخبرني به شيخنا الإمام عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد الله - وقد رأيتُ في يده سبحة - قال اخبرني الإمام أبو العباس أحمد ابن أبي المجالس يوسف بن البانياس بقراءتي عليه - ورأيتُ في يده سبحة - قال اخبرنا أبو المظفر بن محمد بن مسعود الترمذي - ورأيتُ في يده سبحة - قال اخبرني عبد الصمد بن أحمد عبد القادر - ورأيتُ في يده سبحة - قال اخبرني أبو محمد يوسف بن أبي الفرج عبد الرحمن بن علي - ورأيتُ في يده سبحة - قال اخبرني أبي - ورأيتُ في يده سبحة - قال قرأتُ على أبي الفضل بن ناصر - ورأيتُ في يده سبحة - قال قرأتُ على أبي محمد عبد الله بن أحمد

السمرقندي - ورأيتُ في يده سبحة - فقلت له وسمعتُ أبا بكر مُحمَّد بن علي السلمي الحداد ورأيتُ في يده سبحة ؟ فقال نعم ، ثم قال رأيتُ أبا نصر عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر المقرئ - ورأيتُ في يده سبحة - قال رأيتُ علي ابن أبي القاسم المترفق الصوفي وفي يده سبحة ، قال سمعتُ أبا الحسن المالكي يقول - وقد رأيتُ في يده سبحة - فقلت له يا أستاذي أنت إلى الآن مع السبحة ؟ فقال كذلك رأيتُ أستاذي الجنيد وفي يده سبحة فقلت يا أستاذي أنت إلى الآن مع السبحة ؟ فقال كذلك رأيتُ أستاذي السري السقطي وفي يده سبحة فقلت له يا أستاذي إلى الآن مع السبحة ؟ فقال كذلك رأيتُ أستاذي معروف الكرخي وفي يده سبحة فسألته عما سألتني عنه فقال كذلك رأيتُ بشر الحافي وفي يده سبحة فسألته عما سألتني عنه فقال كذلك رأيتُ أستاذي عمر المالكي وفي يده سبحة فسألته عما سألتني عنه فقال كذلك رأيتُ أستاذي الحسن البصري وفي يده سبحة فقلت يا أستاذي مع عظم شأنك وحسن عبادتك وأنت إلى الآن مع السبحة ؟ فقال لي هذا شيء كنا استعملناه في البدايات ما كنا نتركه في النهايات ، أحب أن اذكر الله تعالى بقلبي وفي يدي وفي لساني .

أوراد الطريقة القادرية الكسنزانية

بالإضافة إلى فروض الشريعة المعروفة من صوم وصلاة وغيرها يفرض نهج الطريقة على المريد فروضاً إضافية وهي عبارة عن أذكار وبأعداد محددة وضعها مشايخ الطريقة بعد أن تكشفت لهم أسرارها الروحية بفضل مكانتهم عند الله ﷻ وعلمهم الرباني الذي أكرمهم به ، ولهذه الأوراد فوائد عظيمة في تطهير قلب المريد من هوى النفس وكل ما نهى عنه الله ﷻ ومساعدته في السير على درب التزقي الروحي الذي أخذ العهد على سلوكه .

ونتيجة لمجاهدات مشايخ الطريقة الكسنزانية وعبادتهم وخلواتهم فقد انكشفت لهم سلسلة من الأوراد ذات الأسرار الروحية العظيمة القدر وهذه الأوراد هي زاد المريد في رحلته على نهج الطريقة الكسنزانية قال تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾^(١) . وتقسم الأوراد إلى قسمين :

١ . الأوراد اليومية : وعددها ثمانية ، خمسة منها بعد كل صلاة وواحد قبل صلاة المغرب بساعة واحدة ويسمى ورد العصر ، إضافة إلى قراءة سورة الفاتحة مئة مرة والصلاة على الرسول الأعظم ﷺ ألف مرة خلال اليوم الواحد بينما الاستغفار وقراءة الفاتحة هي أوراد فردية أي يقوم بها المريد لوحده وباقي الأوراد جماعية حيث يقوم بها المريدون المتواجدون في التكية بشكل جماعي ، ويجوز أن يؤديها المريد بشكل انفرادي إذا كان بعيداً عن التكية .

٢ . الأوراد الدائمة : وهي عبارة عن تسعة عشر ورداً يقوم بها المريد بشكل فردي ويتم تكرار كل واحد منها مئة ألف مرة وعند الانتهاء من الورد التاسع عشر يعود المريد مرة ثانية من الورد الأول وهكذا يدور حتى نهاية العمر لقوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾^(٢) . ويمكن للمريد أن يقوم بهذه الأوراد في أي

١ - البقرة : ١٩٧ .

٢ - الحجر : ٩٩ .

وقت باستثناء ليلة الجمعة ونهارها المخصصين للصلاة على الرسول ﷺ . وفيما يلي جدولاً بهذه الأوراد :

الأوراد اليومية

- ١ - بعد صلاة الفجر :
 - لا اله إلا الله (٣٠٠) مرة .
 - لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، في كل لحظة ونفس عدد ما وسعه علم الله (١٠٠) مرة .
 - الله (٣٠٠) مرة . (٣٠) مرة سورة الفاتحة .
 - استغفر الله العظيم (١٠٠) مرة .
- ٢ - بعد صلاة الظهر :
 - لا اله إلا الله (١٦٥) مرة . (٢٥) مرة سورة الفاتحة .
 - استغفر الله العظيم (١٠٠) مرة .
- ٣ - بعد صلاة العصر :
 - لا اله إلا الله (١٦٥) مرة . (٢٠) مرة سورة الفاتحة .
 - استغفر الله العظيم (١٠٠) مرة .
- ٤ - قبل صلاة المغرب بساعة واحدة (ورد العصر) :
 - يا الله يا حي يا قيوم (٦٦) مرة .
 - يا الله مولاي الله (٦٦) مرة .
 - يا هو (٦٦) مرة .
 - يا حي (٦٦) مرة .
 - يا واحد (٦٦) مرة .
 - يا عزيز (٦٦) مرة .

- يا ودود (٦٦) مرة .
- يا رحمن (٦٦) مرة .
- يا رحيم (٦٦) مرة .
- ٥ - بعد صلاة المغرب :
- لا اله الا الله (١٦٥) مرة . (١٥) مرة سورة الفاتحة .
- استغفر الله العظيم (١٠٠) مرة .
- ٦ - بعد صلاة العشاء :
- لا اله الا الله (٣٠٠) مرة .
- لا اله الا الله مُحَمَّد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، في كل لحظة ونفس عدد ما وسعه علم الله (١٠٠) مرة .
- الله (٣٠٠) مرة .
- (١٠) مرات سورة الفاتحة .
- (٢٠٠) مرة / سورة الإخلاص .
- (١٠٠) مرة / اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .
- استغفر الله العظيم (١٠٠) مرة .
- في كل يوم (١٠٠٠) مرة / اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .
- بعد كل صلاة مفروضة (٣) مرات / الله حاضري الله ناظري الله شاهد عليّ الله معي الله معيني وهو بكل شيء محيط .
- من غروب الاثنين إلى غروب الثلاثاء / اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

• من غروب الخميس إلى غروب الجمعة / اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

الأوراد الدائمة

وهي تسعة عشر ورداً يذكر كل واحد منها (١٠٠) ألف مرة وهذه الأوراد هي :

١ - لا اله إلا الله (١٠٠) ألف مرة / تطهرك من جميع السيئات ولو كانت كمثلاً زبد البحر .

٢ - الله (١٠٠) ألف مرة / توصلك إلى رحمة الله .

٣ - يا هو (١٠٠) ألف مرة / تثبت نور الإيمان وترفعك إلى مقام العلماء .

٤ - يا حي (١٠٠) ألف مرة / ترفع جميع الأوردة القذرة من على قلبك .

٥ - يا واحد (١٠٠) ألف مرة / ترفع الحجاب بين العبد وربّه إذا كان مخلصاً .

٦ - يا عزيز (١٠٠) ألف مرة / تنجيك من شر النفس والشیطان .

٧ - يا ودود (١٠٠) ألف مرة / تفتح السمع والبصر إذا كان مخلصاً .

٨ - يا رحمن (١٠٠) ألف مرة / تنجيك من كل هم وغم في الدنيا والآخرة .

٩ - يا رحيم (١٠٠) ألف مرة / تدخل في رحمة الله .

١٠ - سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر (١٠٠) ألف مرة / ثواب ألف حجة مقبولة .

١١ - اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً (١٠٠) ألف مرة / تنجيك من جميع المشاكل .

١٢ - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١٠٠) ألف مرة / يداويك ربك ٩٩ دواء .

- ١٣ - سورة الإخلاص (١٠٠) ألف مرة / يغفر الله لك ولوالديك .
- ١٤ - لا اله إلا الله الملك الحق المبين مُحَمَّد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صادق الوعد الأمين (١٠٠) ألف مرة .
- ١٥ - صلى الله سبحانه وتعالى عليك وسلم يا رسول الله (١٠٠) ألف مرة .

- ١٦ - لا مقصود إلا الله (١٠٠) ألف مرة .
- ١٧ - لا موجود إلا الله (١٠٠) ألف مرة .
- ١٨ - لا مطلوب إلا الله (١٠٠) ألف مرة .
- ١٩ - لا مراد إلا الله (١٠٠) ألف مرة .

التكية بيت الذكر

قال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣).

ما أعظم هذا البيت أو تلك البيوت التي ميزها الله عن غيرها من البيوت الأخرى وذلك بتخصيصها بذكره تعالى وشهد ﷺ بنفسه على قدسيتها وعظمة مكانتها عنده لان الله تبارك وتعالى جعلها موضعاً لتجليه وفيض أنواره ورفع منزلتها فوق كل البيوت برفع ذكر الله تعالى فيها وبأذن منه الذي علا به المقام وتنورت به البيوت .

وان من هذه البيوت المقدسة التي إذن الله أن يرفع فيها اسمه ، بيت النبي ﷺ وأهل بيته سيدنا علي وفاطمة عليهم السلام فقد روي عن النبي ﷺ انه حين سأله أبو بكر رضي الله عنه عن هذه البيوت قال : ﴿ بَيْتِي وَبَيْتُ فَاطِمَةَ وَعَلِي ﴾ ، ويستمر هذا الإذن في بيوت آل البيت من أولاد سيدنا علي عليه السلام وأحفاده الذين طهرهم الله بسابق عنايته في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (٤).

١ - النور : ٣٦ .

٢ - آل عمران : ٩٦ .

٣ - البقرة : ١٢٧ .

٤ - الأحزاب : ١٣ .

لأنهم حقاً هم ورثة الرسول الأعظم ﷺ ديناً وفيضاً وأنواراً ، فهم أعلام الهدى وخير الورى عبادة وتقوى وعلماً وحقيقة والتزاماً بنهج جدهم المصطفى ﷺ كيف لا والدين من بيت هؤلاء أهل بيته الطاهرين نالته الأمم واهتدت به .

وبعد ترسيخ الإيمان وتثبيتته في قلوب المؤمنين برز جماعة من الصحابة المؤمنين الصادقين الذين زهدوا في الدنيا والتزموا العبادة في المسجد فخصصت لهم زاوية خاصة بهم ونزل فيهم قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾^(١) ، الذين يسمون أهل الصفة أو أهل الزاوية ويتطور الأحداث خرج أهل الزاوية من المسجد واتخذوا لهم بيوتاً لذكر الله حملت اسم الزاوية أيضاً ثم بعد ذلك أصبح يطلق عليها اسم (الرباط) في زمن العباسيين أي مكان ربط قلوب المسلمين بالله تعالى عن طريق ذكره وعبادته في هذه البيوت ، وفي فترة الحكم العثماني أصبح يطلق عليها اسم (الخانقاه) أيضاً وهي في الأصل (الخانكاه) وتتكون من (خان) أي الأمراء والسلاطين و (كاه) وتعني المكان أي مكان الأمراء والسلاطين وبعد ذلك تطورت الأمور والمفاهيم وتوسعت دائرة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية بتوسع الإسلام من خلال الجهاد والإرشاد المستمرين واهتدى بسببهما الكثير من الناس إلى طريق الحق وانتشرت إلى مبادئ الدين الإسلامي في كثير من البلدان ونتيجة لهذا التطور وتلك الظروف أطلق على هذه البيوت اسم (التكية) وهي كلمة كردية تتكون من (تاك) ويعني الانعزال و (كاه) ويعني المكان أي أن التكية مكان الخلوة والانعزال عن الناس للعبادة .

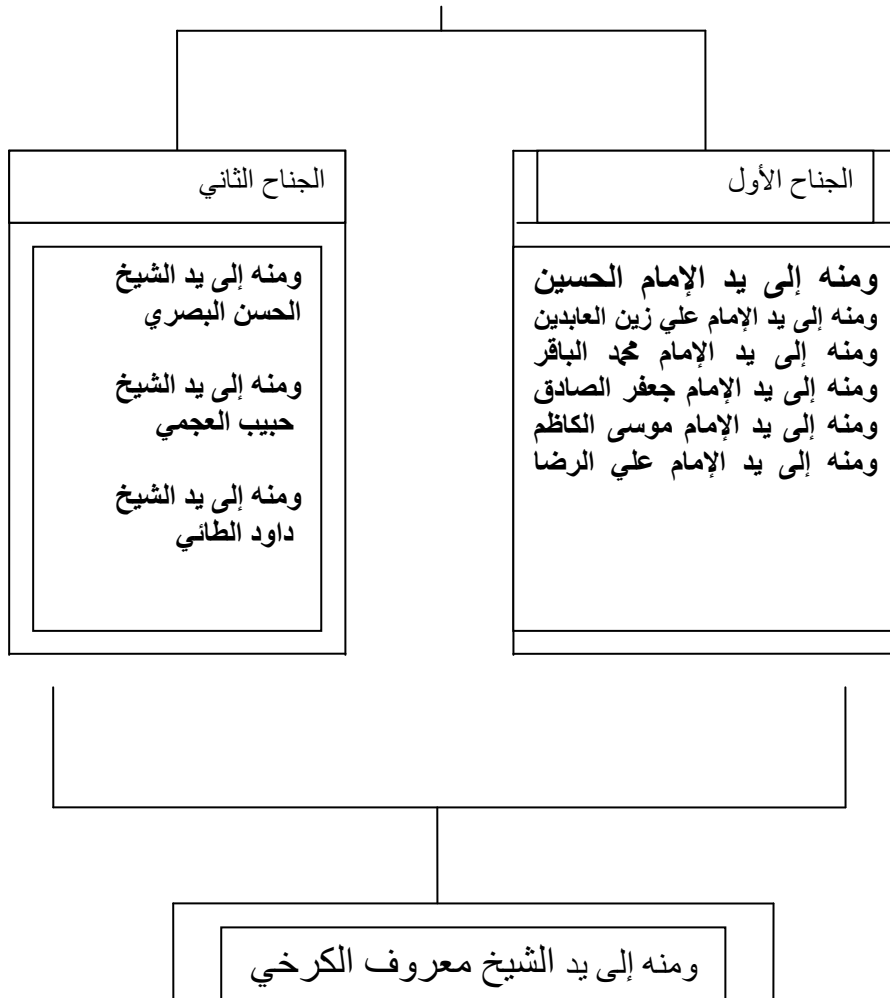
ورغم ظهور هذه التسميات العديدة لبيوت الذكر فان جميعها تشترك بمفهوم واحد هو إنها أماكن خاصة لذكر الله ولا يرتادها إلا أهل العبادة والزهاد .

سلسلة مشايخ الطريقة العلية القادمية الكسنزانية

أنزلت هذه الطريقة المباركة من الله تعالى إلى سيدنا ونبينا مُحَمَّد ﷺ ثم انتقلت منه إلى يد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومنه تفرعت بجناحين ثم التقى الجناحان عند الشيخ معروف الكرخي كما هو واضح في أدناه :

النبي الأعظم سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

ومنه إلى يد الإمام علي كرم الله وجهه



ومنه إلى يد الشيخ السري السقطي * ومنه إلى يد الشيخ الجنيد البغدادي
* ومنه إلى يد الشيخ أبي بكر الشبلي * ومنه إلى يد الشيخ عبد الواحد

اليماني * ومنه إلى يد الشيخ أبي فرج الطرسوسي * ومنه إلى الشيخ علي الهكاري * ومنه إلى يد الشيخ أبي سعيد المخزومي * ومنه إلى يد الشيخ الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني * ومنه إلى يد الشيخ عبد الرزاق * ومنه إلى يد الشيخ داود الثاني * ومنه إلى يد الشيخ مُحَمَّد غريب الله * ومنه إلى يد الشيخ عبد الفتاح السباح * ومنه إلى يد الشيخ مُحَمَّد قاسم * ومنه إلى يد الشيخ مُحَمَّد صادق * ومنه إلى يد الشيخ حسين البصري * ومنه إلى يد الشيخ احمد الاحسائي * ومنه إلى يد الشيخ إسماعيل الولياني * ومنه إلى يد الشيخ محيي الدين كركوك * ومنه إلى يد الشيخ عبد الصمد كله زرده * ومنه إلى يد الشيخ حسين قازان قايه * ومنه إلى يد الشيخ عبد القادر قازان قايه * ومنه إلى يد الشيخ الغوث عبد الكريم شاه الكسنزان * ومنه إلى يد الشيخ الغوث عبد القادر الكسنزان * ومنه إلى يد الشيخ الغوث عبد الكريم الكسنزان * ومنه إلى يد الشيخ الغوث عبد الكريم الكسنزان * ومنه إلى رئيس الطريقة الشيخ الحاضر مُحَمَّد الكسنزان (قدس الله أسرارهم أجمعين) .

وقد خلد هذه السلسلة المباركة الشيخ عبد الرحيم بن أحمد البُرعي في قصيدته الصوفية والتي سماها (خرقة الأنوار) حيث يمر على ذكر الجناح الأول المسمى بالسلسلة الذهبية بالطريقة وقصيدته هذه مطلعها :

لكل خطب مهم حسبي الله
أرجو به الأمن مما كنت أخشاه
إلى أن يقول :

لله خِرْقَةُ أَنْوَارٍ تَدَاوَلَهَا أئِمَّةٌ لَهُمُ التَّمَكُّيْنُ وَالْجَاهُ
سُرٌّ تَشْعَشَعُ مِنْ سِرِّ الْغُيُوبِ فَمَا زَالَتْ بِصَائِرُ أَهْلِ الْحَقِّ تَرْعَاهُ
مَا بَيْنَ جَبْرِيلَ وَالطَّهْرِ ابْنِ آمَنَةٍ إِلَى الْإِمَامِ عَلِيٍّ كَانَ مَسْرَاهُ

وفي الحسين وفي نجل الحسين فزن العابدين رحيم القلب أواه
فباقر العلم فالميمون جعفره فكاظم الغيظ موسى من كموساه
إلى علي رضا سامي الفخار وكم مستقبل السر من ماضٍ تلقاه
أئمة من بني الزهرا لهم شرف ينميه حيدر فيهم وزهراه
هم عرفوا الشيخ معروفاً أخا كرم أدنوه قبل سرى وهو أدناه
ثم يستمر الشاعر بهذه السلسلة المباركة ينظمها نظماً جميلاً ويخلد فيها أئمة
التصوف من آل بيت النبي ﷺ الذين ساروا على طريقه وهديه ﷺ .

سلسلة النسب الشريف

يرتفع نسب والدنا وشيخنا السيد عبد الكريم الكسنزان الحسيني إلى الدوحة النبوية الشريفة فهو : السيد عبد الكريم بن السيد عبد القادر بن السيد عبد الكريم الشاه الكسنزان بن السيد حسين بن السيد حسن بن السيد عبد الكريم بن السيد إسماعيل الولياني بن السيد مُحَمَّد النودهي بن السيد بابا علي الوندريته بن السيد بابا رسول الكبير بن السيد عبد السيد الثاني بن السيد عبد الرسول بن السيد قلندر بن السيد عبد السيد بن السيد عيسى الأحذب بن السيد حسين بن السيد بايزيد بن السيد عبد الكريم الأول بن السيد عيسى البرزنجي بن السيد بابا علي الهمداني بن السيد يوسف الهمداني بن السيد مُحَمَّد المنصور بن السيد عبد العزيز بن السيد عبد الله بن السيد إسماعيل المحدث بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام مُحَمَّد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين مُحَمَّد المصطفى

صلى الله تعالى
عليه وآله

نداء إلى الناس جميعاً

إن تجرد الإنسان وتحلله من كافة القيود والضوابط الاجتماعية وسيره تائهاً حائراً في متاهات الحياة المظلمة بدون مسؤولية ونظام أو هدف لا يحقق له شيئاً مما يريده للوصول إلى الحقيقة سوى الانغماس في مباحج الحياة ولذاتها وبدون وازع من ضمير وبلا حدود فتبلغ بذلك رغباته وغرائزه النفسية والجنسية ذروة الإشباع ، ولا يبقى أمامه ما يتنعم أو يلتذ به فيحدث له حينئذٍ ما يحدث من فراغ نفسي عميق بعيد عن حقيقة الحق ووجدانه ولا يدري مبعثه وهو ما يسمى بالفراغ الروحي الذي يحدثه فقدان الحقيقة (أي السعادة الأبدية) التي يبحث عنها كل إنسان بتطلعه إلى جلال الحق ، فإذا ما افتقدها الإنسان افتقد جوهر الحياة والتجأ بعدها إلى محو نفسه أو انتحارها لينقذها من برائن الحياة المزرية ولم يدُر بخلده ولم يعلم بأن الله تعالى لم يخلق الإنسان لمجرد الموت والحياة : ﴿ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾^(١). بل ليرى عظمة الخالق من خلال آياته الكبرى في التنظيم والإبداع حيث كانت جميع كتب المرسلين وصحائفها وإحكامها تؤكد ذلك المعنى الروحي المحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة عن طريق السعي الحثيث والإتباع الكامل لنهج القرآن ونهج تلك الشرائع السماوية ليرى بأَمِّ عينيه الحقيقة المخفية في سر ذات الله تعالى وسر منهجه المستقيم : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾^(٢).

لذا فقد وجب على الإنسان أن يسعى طول بقاءه في الدنيا للعمل الصالح وبلاستقامة على الطريقة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾^(٣).

١ - الملك : ٢ .

٢ - النجم : ٣٩ ، ٤٠ .

٣ - فصلت : ٣٠ .

أي أنهم يرون بأنفسهم آيات الله الكبرى فتطمئن قلوبهم وتهدأ نفوسهم حين يصلون إلى الحقيقة وينسُدُ أمامهم الفراغ الذي كانوا يعانون منه عندما يرون الدليل الساطع على صحة سيرهم إلى الله تعالى وهذا ما يفسر تبسم الصالحين أثناء انتقالهم إلى العالم العلوي لأنهم يرون مقاماتهم ودرجاتهم في عالم الخلود ، كما وجد سيدنا إبراهيم عليه السلام الحقيقة بعد تطلعه إلى آفاق السموات حتى شملته العناية الإلهية بالهداية وأراد أن يطمئن بوصوله إلى الحقيقة فطلب من الله تعالى أن يريه كيفية إحياء الموتى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ^(١).

فيا أيها الحائرون في متاهات الحياة وميادينها المجهولة دون تروٍ وتفكر ، هلموا يا بني البشر إلى منهج رواد الخلود من مشايخ الطريقة الذين يصلون بكم عن طريق التدرج إلى الحقيقة الأبدية (الخلود) التي حيرت عقول كثير من الفلاسفة والمفكرين في البحث عنها ، وتأملوا واتبعوا طريقة العمل الصالح والمثابرة والتقوى فأنكم لا محالة واصلون بعد ذلك إلى أملككم المنشود أي البقاء الذي لا فناء ولا موت بعده فتصبحون حينئذٍ في خلود دائم ونعيم مقيم لدى خالق الكون الذي ما خلق الإنسان عبثاً ولا سدى وإنما خلقه ليدرك سر هذا الوجود وكنهه فيكون في مرتبة الخالدين وما يتحقق ذلك إلا بما بينه تعالى في محكم كتابه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ^(٢). إن رب الأسرة في عائلته هو المسؤول الأول عن توجيه عقيدة أفراد أسرته نحو نهج الرسول ﷺ ﴿ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ﴾ ، لان تبليغ الرسول ﷺ هو أمر رباني : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ^(٣).

- ١

- ٢ - العنكبوت : ٦٩ .

- ٣

ولما كانت الطريقة هي امتداد لنهج الرسول الأعظم ﷺ ومشايخها وارثوا المقام
المحمدي رواد الوصول إلى الحقيقة فلا بد من إتباعهم والسير على نهجهم .

المصادر

- ١ - إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء ، أبو الفضل الحسني .
- ٢ - إحياء علوم الدين ، الإمام الغزالي .
- ٣ - أركان حقوق الإنسان ، د . صبحي الحمصاني .
- ٤ - الإشارات والتنبيهات ، ابن سينا .
- ٥ - إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، سعيد النورسي .
- ٦ - الانتصار لطريق الصوفية ، مُحمَّد صديق الغماري .
- ٧ - الأنوار القدسية ، الإمام الشعرائي .
- ٨ - إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ابن عجيبة .
- ٩ - البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي ، أحمد بن مُحمَّد صديق الغماري .
- ١٠ - بستان العارفين ، الإمام النووي .
- ١١ - تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، عبد الرحمن الجبرتي .
- ١٢ - تحفة السفرة ، ابن عربي .
- ١٣ - التصوف الإسلامي ، ماسينون .
- ١٤ - التعرف لمذهب أهل التصوف ، الكلاباذي .
- ١٥ - تعليقات على الرسالة القشيرية ، زكريا الأنصاري .
- ١٦ - تنوير القلوب ، الشيخ أمين الكردي .
- ١٧ - جلاء خاطر من كلام الشيخ عبد القادر ، الناشر السيد الشيخ مُحمَّد الكسنزان .
- ١٨ - حالة أهل الحقيقة مع الله ، السيد أحمد الرفاعي .
- ١٩ - الحقائق ديوان الشيخ مُحمَّد البكري .

- ٢٠ - حقائق عن التصوف ، عبد القادر عيسى .
- ٢١ - حقائق التوسل والوسيلة ، موسى مُحمَّد علي .
- ٢٢ - حلية الأولياء ، أبو نعيم الاصفهاني .
- ٢٣ - خزينة الأسرار - مُحمَّد حقي النازلي .
- ٢٤ - الخلوة ، ابن عربي .
- ٢٥ - الرسالة القشيرية ، الإمام القشيري .
- ٢٦ - الروح والنفس وشرح قواهما ، الإمام الرازي .
- ٢٧ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ﷺ ، الإمام النووي .
- ٢٨ - السماع عند الصوفية ، د . كوكب عامر .
- ٢٩ - السير والسلوك ، أحمد الجنيدي الشافعي .
- ٣٠ - شرح فصوص الحكم ، القاشاني .
- ٣١ - الصحاح ، إسماعيل بن حماد الجوهري .
- ٣٢ - طبقات الصوفية ، السلمي .
- ٣٣ - العالم الفكري للإمام جعفر الصادق ، عادل خير الدين .
- ٣٤ - علي إمام المتقين ، عبد الرحمن الشرقاوي .
- ٣٥ - عوارف المعارف ، السهروردي .
- ٣٦ - الغنية لطالبي طريق الحق - الشيخ عبد القادر الكيلاني .
- ٣٧ - الفتاوى الحديثة ، ابن حجر الهيتمي .
- ٣٨ - الفتح الرباني ، الشيخ عبد القادر الكيلاني .
- ٣٩ - الفروق بين العبادة والعبودية ، الترمذي .
- ٤٠ - الفتوحات المكية - ابن عربي .
- ٤١ - في رحاب الإمام علي ، مُحمَّد رضا الخفاجي .
- ٤٢ - قوت القلوب ، أبو طالب المكي .

- ٤٣ - كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ، حاجي خليفة .
- ٤٤ - كشف الغمة في معرفة الأئمة ، أبو الحسن علي الاربلي .
- ٤٥ - لسان العرب ابن منظور .
- ٤٦ - لطائف المنن والأخلاق ، الإمام الشعرائي .
- ٤٧ - اللمع ، الإمام الطوسي .
- ٤٨ - المحبة ، للمحاسبي .
- ٤٩ - مختار الصحاح ، الإمام الرازي .
- ٥٠ - مدارج السلوك عند الصوفية ، مُجَدِّ هشام .
- ٥١ - مذكرات في فقه السيرة ، د . مصطفى السباعي .
- ٥٢ - المسالك العشر ، مُجَدِّ علي السنوسي .
- ٥٣ - المعجم الصوفي ، د . سعاد الحكيم .
- ٥٤ - معجم المصطلحات الصوفية ، عبد المنعم الحفني .
- ٥٥ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مُجَدِّ فؤاد عبد الباقي .
- ٥٦ - معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس .
- ٥٧ - معراج التشوف إلى حقائق أهل التصوف ، ابن عجيبة .
- ٥٨ - مفاتيح الغيب ، الإمام الرازي .
- ٥٩ - مفتاح الفلاح ، ابن عطاء السكندري .
- ٦٠ - المقدمة ، ابن خلدون .
- ٦١ - مقدمة في التصوف وحقائقه ، النيسابوري - تحقيق يوسف زيدان .
- ٦٢ - مكاشفة القلوب إلى حضرة علام الغيوب ، الإمام الغزالي .
- ٦٣ - منازل السائرين ، نجم الدين أبي بكر .
- ٦٤ - المنقذ من الضلال ، عبد الحلیم محمود .
- ٦٥ - المنقذ من الضلال ، الإمام الغزالي .

- ٦٦ - الموسوعة في سماحة الإسلام ، مُحمَّد صادق عرجون .
- ٦٧ - الوابل الصيب من الكلم الطيب ، ابن قيم الجوزية .
- ٦٨ - نهج البلاغة ، شرح مُحمَّد عبده .

المحتويات

المقدمة	٢
الباب الأول	٥
عظمة الرسول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم	٧
فضل الصلاة على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم	١٩
مُعجزات الرسول الأعظم ﷺ	٢٢
الإسلام دين الجميع	٢٩
القرآن معجزة الإسلام العظمى	٣٥
قدسية القرآن وعظمته	٣٩
القرآن والمجتمع العالمي	٤١
الإنسانية في القرآن الكريم	٤٢
الأسرة في القرآن الكريم	٤٧
خليفة الله في الأرض	٥٦
منزلة آل البيت عليهم السلام	٦١
الحسين الرمز عليه السلام	٦٨
لماذا الحسين عليه السلام في كربلاء	٦٩
الحسين عليه السلام رمز الحرية	٧٠
الباب الثاني	٧١
الطريقة وتاريخها	٧٣
حقيقة الطريقة	٨٣
خصائص منهج الطريقة	٨٨
الطريقة والشريعة	٩٣
الطريقة والمجتمع	١٠٢
الطريقة والنفس	١٠٥
الروح والنفس	١١٠
النفس والجسد	١١١
منازل النفس في الطريقة	١١٢
العلم والطريقة	١١٩
الإمام علي عليه السلام	١٢١
الإمام علي عليه السلام إمام أهل الطريقة	١٢٣

١٢٥	 مناقبه عليه السلام
١٢٦	 منزلته العلمية
١٢٨	 ما قاله الإمام علي عليه السلام من الحكم
١٢٩	 ما قيل في حق الإمام علي عليه السلام
١٣١	 كراماته عليه السلام
١٣٤	 الخلود في الطريقة
١٣٦	 المرأة في الطريقة
١٤٢	 البيعة
١٤٣	 البيعة في القرآن الكريم
١٤٤	 البيعة في السنة النبوية
١٤٧	 البيعة أو العهد في الطريقة الكسنزانية
١٥٠	 الباب الثالث
١٥٢	 الشيخ (الوارث المحدث)
١٥٦	 رتبة الشيخ
١٥٧	 التدرج في السلوك
١٦٢	 الخوارق في الطريقة الكسنزانية
١٦٨	 المشيخة في الطريقة الكسنزانية
١٧٢	 الشيخ والثروة
١٧٦	 الاستقامة على الطريقة
١٧٩	 المجاهدة
١٨٥	 السلوك في الطريقة الكسنزانية
١٩١	 الخلوة في الطريقة الكسنزانية
١٩٣	 الخلوة الخاصة
١٩٤	 خوارق العادات
١٩٥	 دليل الكرامات في الكتاب والسنة
١٩٦	 كرامات الأولياء حق
١٩٦	 كرامات آل البيت عليهم السلام
٢٠٢	 كرامات الصحابة
٢٠٤	 الكرامات في طور جديد
٢٠٦	 الكرامات بعد انتقال المشايخ
٢٠٨	 حكايات الصالحين
٢١٨	 الباب الرابع
٢٢٠	 مقامات الطريقة

٢٢٠	التوبة
٢٢٣	التوكل
٢٢٨	الخوف
٢٣٣	الرجاء
٢٣٦	الصدق
٢٤١	الإخلاص
٢٤٦	الصبر
٢٥١	الورع
٢٥٥	الزهد
٢٦٠	الرضا
٢٦٩	الباب الخامس
٢٧١	الوسيلة والتوسل
٢٧٢	التوسل بالنبي الأكرم صلى الله تعالى عليه وسلم
٢٧٤	التوسل بالأنبياء وأهل البيت والصحابه والصالحين
٢٧٨	الشفاعة وسيلة
٢٨٠	الشفاعة في الأحاديث النبوية الشريفة
٢٨١	الرد على منكري التوسل
٢٨٤	الرد على منكري زيارة مرافد الأولياء والمشايخ الكاملين
٢٨٧	التقبيل والتبرك بآثار الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم
٢٨٩	التبرك بآثار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
٢٩٢	التبرك بأدوات الشيخ
٢٩٤	الطاعة
٢٩٥	ضرورة الشيخ الواحد
٢٩٦	تنبيه
٢٩٧	آداب المرید مع الشيخ
٣٠٢	آداب المرید مع المریدين
٣٠٣	وصايا هامة للمرید
٣٠٥	الباب السادس
٣٠٧	الذكر
٣٠٨	أقسام الذكر
٣١٠	دليل الذكر في القرآن الكريم
٣١٥	الذكر في الأحاديث النبوية الشريفة
٣١٩	الذكر المفرد والذكر الجماعي
٣٢٠	الذكر الجهرى

أقوال في فضل الذكر	٣٢١
آداب الذكر	٣٢٣
الذكر الكسنزاني	٣٢٦
السماع في الطريقة	٣٣٢
دليله في الكتاب والسنة	٣٣٥
السماع عند من أجازوه	٣٣٨
السماع عند الغزالي	٣٤١
آداب السماع	٣٤٤
الباب السابع	٣٤٦
أعلام	٣٤٨
الطريقة العلية القادرية الكسنزانية	٣٤٨
السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكيلاني قدس الله سره العزيز	٣٤٩
السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان قدس الله سره العزيز	٣٥٦
السيد الشيخ الغوث عبد القادر الكسنزان قدس الله سره العزيز	٣٦٢
السيد الشيخ الغوث السلطان حسين الكسنزان قدس الله سره العزيز	٣٦٨
السيد الشيخ الغوث عبد الكريم الكسنزان قدس الله سره العزيز	٣٧٣
السبحة حبل النجاة	٣٨١
أوراد الطريقة القادرية الكسنزانية	٣٨٥
التكية بيت الذكر	٣٩٠
سلسلة مشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية	٣٩٢
سلسلة النسب الشريف	٣٩٥
نداء إلى الناس جميعاً	٣٩٦
المصادر	٣٩٩
المحتويات	٤٠٣

المؤلفات التي طبع منها

- ١ . الأنوار الرحمانية في الطريقة العلية القادرية الكسنزانية
- ٢ . نشر كتاب - جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر
- ٣ . كتاب الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

٤ . موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان / ٢٤ مجلداً

٥ . مصطلح الطريقة في الشريعة الإسلامية

وعدد آخر تحت الطبع من الكتب والرسائل :

١ . الرؤى والأحلام في المنظور الصوفي

٢ . خوارق الشفاء الصوفي والطب الحديث

٣ . الكرامات في طور جديد

٤ . الكسنزان والإنسان

٥ . التصوف .. قانون السماء الأول

٦ . الدعاء مخ العبادة

٧ . إطالة الشعر في الإسلام

٨ . السبحة في الإسلام

٩ . الخلوة في الإسلام

١٠ . التكايا بيوت الله

١١ . المولد النبوي وأهميته في العصر الحديث

١٢ . البيعة والمعاهدة عند الصوفية

١٣ . مجلة الكسنزان — وهي مجلة فصلية